

جــامعـــة أم درمان الإسلامية كلية الدراسات العليا كلية اللغة العربية قسم الدراسات النحوية واللغوية

آراء ابن جني النحوية من خلال شرحه لديوان المتنبَّي (الفُسْر) – دراسة وصفية تحليلية بحث مقدم لنيل درجة الدّكتوراه في النّحو والصّرف

إعداد الطالبة/

كوكب الزّاكي أحمد محمّد الرّيدة

إشراف أ.د/

بكرى محمد الحاج

p2012 - **=**1433

بنسم الله الرَّمْنِ الرَّحيم

استهـــــلال

﴿ بِنَدِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيدِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَوَتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّهُ, كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ صدق الله العظيم

الآية (**72**) من سورة الأحزاب

اهـــــداء

أهدي جهدي هذا إلى روح والدي – عليه رحمة الله تعالى – الذي تخرّجت على يده عشرات الأجيال، فقد كان له الفضل الكبير بعد الله – عزّ وجل – في تكوين ثروتي اللغويّة وتنشئتي على حبّ العلم والاطّلاع، والصبّر في ذلك ، وكانت أمنيته أن يراني (دكتورة كبيرة)، ولكن أراد الله أن يختاره إلى جواره، والحمد لله الحيّ الذي لا يموت.

أما بعد ، فكل التّجلّة والامتنان ، لأُمّي (ثمرة حياتي) التي تفانت في مساعدتي ، ورفع الأعباء عنّي ، وهي صابرة، مسرورة، تدعو لي دائماً – راضية – بالعفو والتوفيق، فأنا أهديها كل هذا الجهد ، بوافر امتناني وهي راضية بالعفو والتوفيق، وبجميل شكري لها، أطال الله بقاءها، ومتّعنا وإياها بالعافية.

ولا أنسى إخوتي وأبناء إخوتي ، الذين نعموا بي ونعمت بهم في مسيرتي التعليمية والعملية – بعد الجامعة – فأتمنى لهم التوفيق والتميّز وهم معى وبعدي يحملون راية العلم، والحياة الكربمة الشربفة.

آمين

الباحثة

شُكر وتقدير

الحمدُ لله على سابغ نعمائه، والشكرُ له - سبحانه - على وافر آلائه، وصلاته وسلامُه على صفوة الصّفوة من أنبيائه سيدّنا محّمد - الله على صفوة الصّفوة من أنبيائه سيدّنا محّمد وسائر أوليائه.

اللّهم إنّي أحمدُك حمدَ المعترف بتقصيره ، المقرّ بخطاياه وذنوبه، المؤمل في واسع رحمتك ، وعظيم فضلك ، أن تشمله بعفوك، وتُسبل عليه جميل سترك، فإنّه لن يخيب راجيك، ولن يُرد سائلكُ.

بعد جزيل شكري لله – الأحد الصّمد – أُزجي شكري، وفائق تقديري لأسرة جامعة أم درمان الإسلاميّة ، أساتذة ، وموظفيّن وعمالاً (من قضى نحبه ومن ينتظر)، وأخص بالشكر الدكتور عميد الكلية ، ونائبه، وشكري ، موصولٌ لكليّة الدّراسات العليا ، والقائمين على أمرها، لرعايتهم لطلابهم ، لما يكفلونه ويقدمونه من خدمات؛ لتيسير أمر الدّراسة، حتّى يكمّلوا مسيرتهم التعليمية بنجاح وتوفيق.

أما بعد : أتقدم بشكري وامتناني لراعي هذا البحث، وموجّه هذه الدراسة، المربي الفاضل ، الأستاذ الدكتور / بكري محمد الحاج ، الذي أشرف على خطة الدراسة منذ مهدها ، إلى أن ترعرعت بين يديه ، صادقاً أميناً في ما يقدم من نصح وإرشاد بنكران ذات ، حتى غدت كما هي عليه الآن ، فلم يبخل بوقته ، ولا بعلمه على طلابه بتواضع وصبر منقطعي النظير.

وشكري موصولٌ بلا حدود لمكتبة الجامعة العملاقة، والعاملين فيها على حسن تعاملهم، وأخص بالشكر – إحقاقاً للحق – الأستاذ محمد بشير (راعي قسم المراجع)، على تجرده لخدمة الطلاب وتيسير كل ما هو موجودٌ بالمكتبة ، وتدريب الطلاب على البحث داخل المراجع، وشكري لأسرة مكتبة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، لما هم عليه من تعامل راق بجميع الأقسام مع الطلاب.

وشكري الجزيل لجميع أساتذتي بجامعة أم درمان من أسهم برأي أو بكتاب، أو بإرشاد ، أو بنقد؛ لتخرج هذه الأطروحة بثوبها الذي ترونه الآن، فكلي شكرٌ وعرفان وتجلة لهذه المصابيح التي أنارت لنا الدرب – حتى الذين ابتعدوا عن الجامعة –

وأخص الدكتور محمد صالح حسين المعار إلى أكاديمية السودان للعلوم المصرفية العليا، وأترحم على الذين فارقوا الحياة مخلفين وراءهم معيناً لا ينضب، وعلماً لا ينفذ، وأخيراً أشكر لجنة المناقشة الموقرة:

الأستاذ الدكتور / محمد غالب عبدالرحمن عميد كلية اللغة العربية والأستاذ الدكتور عبدالمنعم الشيخ عثمان الأستاذ المشارك في كلية اللغة العربية بجامعة القرآن الكريم؛ لتكرمهم بتقييم هذه الرسالة، التي أرجو أن تحقق أهدافها العلمية التي تصبو إليها الباحثة ، ولا يفوتني أن أزجي شكري لأسرة مركز جمعة الماجد للتراث والثقافة بدبي لإسهامه في تيسير ما تعسر وجوده من المصادر اللغوية المهمة .

والله من وراء القصد

مستخلص البحث

موضوع الدراسة هو ابن جنّي النّعوي النّحوي، الذي كان نبراساً وعلماً في الدراسات اللغويَّة والصّوتيَّة والنّحويَّة، في القرن الرّابع الهجري، الذي طبع ينبوًع الثقافات والعلوم التي ترجمة آنذاك من الحضارات اليونانيَّة، والفارسيَّة، والهنديَّة، وغيرها، وما كان لتلك الحقبذة من الزّمان، وظهور ابن جنّي مع شيخه أبي علي الفارس، وبعده مما ظهر منه من معارف واتجاهات ميزته عن غير من العلماء، وعاصر في هذا الوقت من الزّمان أبا الطيب المتنبّي الذي كان من فحول الشّعراء والعلماء باللغة ولهجات العرب قطرة، وكان ينطق بأساليب العرب ولهجاتها سليقة، مما جعل بعض أصحاب الترّاجم يعدونه من شيوخ ابن جنّي، الذي كان هو الآخر يدرك مرامي صاحبه، ومعاني شعره، لذا كان أوّل من شرح ديوان أبي الطيّب، معزّزاً أوواله لقواعد النّحو، وتراكيب الكلام في كتابين: أوّلهما الفسر الكبير الذي شرح به أبيات المعاني، وقد حقق الشرح ولصغير – في بغداد بجهود عبد العزيز ناصر المانع، أما الفسر الكبير، فقد حققه الصغير – في بغداد بجهود عبد العزيز ناصر المانع، أما الفسر الكبير، فقد حققه دكتور صفاء خلوصي في أوّل الأمر، ولما فيه من عيوب ذكرت في لب البحث، حققه بدمشق الدكتور رضا رجب في بداية السبعينيات.

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين وخاتمة حوي الفصل الأول الدَّراسة في إطارها النظري وينقسم إلا ثلاثة مباحث حول نشأة ابن جني وحياته الثقافية من مولد وميزات ومذهبه الفقهي ومنهجه النحوي مما أخذه عن شيوخ أفذاذ، ومن تتلمذ عليه من شيوخ كان لآرائهم باعٌ كبير.

والإطار التطبيقي بعنوان: (جهود بن جني النَّحوية من خلال شرحه شعر المتنبيّ)، ويحتوى على أربعة فصول: الأول: ماله علاقة بالأسماء وحوي ستة مباحث، والثَّاني: ماله علاقة بالأفعال وبه أربعة مباحث، والثَّالث: ماله علاقة بالحروف وحوي أربعة مباحث، والرَّابع كان عما له علاقة بالعوامل النَّحوية في مبحثين: أولهما العوامل اللفظيَّة، والتَّاني المعنوية وبكلَّ منهما أربعة مطالب، ونفذت هذه الخطة بواسطة المنهج الوصفي التحليلي بنماذج من شعر المتنبيَّ، يعد تعزيز

القواعد المراد دراستها بأقوال النّحاة مدعمة بما شاءوا من القرآن والحديث والشعر العربي.

وخرجتُ من هذه الدّراسة بنتائج أهمها:

- ابتدع ابن جني قسماً رابعاً للسماع هو المطرد في القياس والاستعمال، بتناول أضرب الكلام كلها لا الشّاذ، خلافاً لشيخه الذي عدّها ثلاثة.
- عدّ ابن جنّي الجرّ على الجوار من باب حذف المضاف، لما ورد فيه في فصيح الكلام وهو القرآن الكريم، في باب الشجاع العربيّة بالخصائص.
- أجاز الفصل في القرآن وفي الشعر وفي منثور كلام العرب وهو جار عنده مجرى التأكيد.
- أجاز ابن جنّي تقديم خبر (ليس) على اسمها، مخالفاً جمهور النحاة وابن السّراج.
 - تأثر المتنبّى بألفاظ القرآن والحديث، وهو أسلوب الاقتباس.
- استخدم أبو الطيّب المتنبي لغة أكلوني البراغيث في شعره، وقد وردت بالقرآن الكريم.
- جاءت (لولا) في القرآن الكريم نافية في موضعين فقط. وختمت الخاتمة بتوصيات حول استخدام المراجع، وقلة الباحثين المحدثين حول ابن جنّى وأبى الطيّب.

أرجو أن ينفع الله طُلاّب العلم بهذا الجهد المتواضع الذي كان لله فيه فضل كبيرٌ.

Abstract

This study is about Ibnu Jinni, Grammarian and linguist. He was prominent in linguistics, phonetics and grammar during the fourth hijri century, an age in which Arabic benefited through translations from Greek, Persian, and Indian civilizations. Ibnu Jinni was the first one who made a commentary on Mutanbi s anthology in two books which he employed to support his propositions in grammar and speech structures.

This study consists of a preface, introduction, two chapters, and a conclusion. The study aims at investigating Ibnu Jinni s works of grammar via his commentary on Mutanabi s poetry. The researcher follows the descriptive analytic method.

The researcher concludes to the following:

- Ibnu Jinni invented a fourth class for hearing; it is the reciprocal in analogy and usage, in contrast to his teacher who thought they were only three.
- Ibnu Jinni thought of the jer, / i / vowel sound as a result of proximity.
- Ibnu Jinni allowed splitting in Quran, poetry, and prose.
- Ibnu Jinni allowed fronting predicate of /laisa/, be not, before its subject, in contrast to grammarians.
- Ibnu Jinni was so much impressed by lexicon of Quran and Tradition.
- The word unless appeared as a negating element in the Holy Quran , only twice.
- The conclusion involved some recommendations about the usage of references, and rarity of contemporary researchers on Ibun Jinni and Al-Mutanabi.

مقدمة

الحمدُ للله حمداً كثيراً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد الله عدد خلقه، ورضا نفسه، ومداد كلماته والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي علمه – تعالى – بالقلم ما لم يعلم ، سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه الميامين عليهم رضوان الله تعالى .

الحمد الله الذي هداني لأتناول في دراستي هذه ، اللّغوي الفذ (ابن جني)، الذي لا يسع المجال لوصفه أو تعريفه ، وصنوه صديقه المتنبي الذي ملأ الدنيا بشعره ، فكان حافلاً بالأمثال ، والآداب بالرغم من تسلط المعتدين عليه ، ورميه بالإلحاد – ، وقد لمست الكثير مما يؤكد صحة عقيدته ، وسعة ثقافته العقائدية ، وإلمامه التام بأساليب الكلام ، ولهجات قبائل العرب مما سمع عنهم، وما قيس على قواعدهم بالكلام الذي دار على ألسنتهم ، كما سيرد ذلك في الفصلين الثالث والرابع من هذه الدراسة.

وما حدا بي لدراسة هذا الموضوع عن آراء ابن جني الذي كان نسيج وحده، وهو لم يحظ بكثيرٍ من اهتمام الباحثين المحدثين حول آرائه النحوية ، ودوره الفاعل في توجيه القراءات الشاذة ، والعمل والاستشهاد بها ، معضداً لها بما جعله فريد زمانه ، الذي أغفلت التراجم الإسهاب في التعريف به في ذلك العصر الذي عاش فيه، فكان نبراساً أضاء طريق البحث والتقنين لقواعد النحو ، بعد شيخه أبي علي الفارسي، ميسراً للنشء تسهيل تعلم هذه القواعد .

وقبل التعريف بموضوع الرسالة ، تريد الباحثة تفصيل بعض الأمور المتعلقة بالدراسة :

أولاً : الأسباب التي دفعت إلى اختيار الموضوع:

1- عند اطلاعي في كتب اللغة والأدب وصلت إلى ما كان بين ابن جني والمتنبي من حميمية، جعلت الأول يتغلغل في نفس صاحبه، حتى قال المتنبي: "ابن جني أعرف بشعري مني".

2- ارتباطهما الوثيق حمل ابن جني أن يكون أول شارح بِاشعر صديقه أبي الطيب، موضحاً لكل شاردة وواردة فيه، فيما أباحته له الضرورة الشعرية.

3- شعر المتنبي بعد تحليل معانيه، طُبع بالمذهب الكوفي، وقد يأتي بآراء بصرية؛ موافقاً لصديقه ابن جنى .

4- شرح ابن جني لديوان المتنبي فجر بعده حركة نقدية تقافية هائلة ، تتاولت ذلك الديوان بالدراسة في عشرات الشرّوح بين مادح وقادح، ومنهم من أفاد من ابن جني، ومنهم من أخذ آراءه دون الإشارة إليه، ومنهم من أغفل النواحي النحوية، التي يعمد ابن جني لعدم التعرض لها .

ثانياً: أهمية موضوع البحث: وتتمثل في الآتي:

1- تناول ابن جني نحوياً كانت له رؤيته الخاصة حول القياس ، والإعراب - دون أن يتطرف عن بقية نحاة الكوفة والبصرة - وكثيراً ما يستقل بشخصيته .

2- تناولتُ المتنبي الشاعر؛ لأنه نبغ في عهدٍ عقمت فيه الخواطر ، وازدهرت فيه فنون اللغة مع تعدد اللهجات والأساليب في الكلام.

3- استشهاد ابن جني بشعر المولدين في المعاني بالرغم من خروجهم عن عصور الاحتجاج.

ثالثاً : المنهج الذي نفذت به الخطة:

إن المنهج الذي أعان الباحثة في تنفيذ هذه الدراسة ، مهتدية به هو المنهج الوصفي التحليلي، الذي استطاعت به الباحثة الإحاطة بآراء النحاة حول جزئيات هذه الخطة، بالإضافة إلى استخدام أسلوب الاستقراء (نوعاً ما) حتى يتم حصر آراء ابن جني من خلال شرحه للديوان (الفَسْر) مركزةً على حمل هذه الآراء على معاني شعر أبى الطيب عند بقيّة الشراح (المعري واليازجي) .

رابعاً : الدراسات السابقة في الموضوع:

1- فوجئت الباحثة بأحد الباحثين المحدثين من المهتمين بالدراسات المتنبئية وهو الآن يرعى الدراسات اللغوية بجامعة الخرطوم كلية التربية وهو الدكتور محمد المهدي أنه سبق أن حقق الفسر الذي شرح به ابن جني ديوان المتنبي في عام 1968م، وأتبعه بملحق عن آراء الوحيد الأزدي حول الفسر.

٢- قد أغفل الدارسون والباحثون في -هذا العصر - دراسة أفذاذ اللغويين
 كابن جني ، وقد وجدت الباحثة أثناء مدارستها لأجزاء الموضوع ندرة شديدة من
 محدثي الدارسين ، فلم يحظ ابن جني بإقبال الباحثين المحدثين بالرغم من اعتمادهم

على كتبه في الدراسات اللغوية والنحوية (الخصائص وسر الصناعة واللمع) ، ولكنهم لم يتناولوا بالدرس النحوي مذاهب هؤلاء .

٣- ومن درسوا ابن جني ركزوا على الجانب الصوتي أو جانب القراءات، ولم يتعرضوا للجانب الخاص بالنحو إلا القليل منهم، والذين حققوا كتب ابن جني طال العهد عليهم، ولم يأت من يدرس تلك الكتب حديثاً.

٤- وشعر المتنبي الذي استشهد به ابن جني في الفسر تسربت إليه الشكوك بضياعه أو نقصه- ولكن ما حدث بسبب إغفال المحققين لشرح ابن جني (الفسر) مثل دكتور صفاء خلوصي ، ودكتور ضاء رجب - الجوانب التي عُني بها ابن جني

خامسا : مكانة هذا البحث بين تلك الدراسات:

هو جهد متواضع، استطاعت الباحثة من خلاله النفوذ إلى أفكار ابن جني حين تحليله لشعر المتنبي ، الذي كثيراً ما يشحذه بالألفاظ غير المعتادة لدى الشعراء وذلك لثقافته الواسعة سياسياً وعقدياً واجتماعياً ، ومعرفته التامة للهجات العرب وتصريفها في الكلام. وأسأل الله أن تكون هذه الدراسة فاتحة خير للدارسين بعدي ، حتى يجد شعر المتنبي مكانه الذي يستحقه بين التراسات اللغوية الأدبية ؛ لاحتوائه على مذاهب النحاة المختلفة . وقد نفذت هذه الدراسة – بحمد الله وعونه – وما واجه الباحثة من صعوبات ينحصر في عدم توفر مصادر شعر المتنبي المحققة ، وتضخم المجلدات في تحقيق (الفسر) لابن جني ، مما حدا بالباحثة أن تكتفي بنماذج من شواهد المتنبي لدراستها من خلال شرح ابن جني ، والمعري ، واليازجي فحسب ، لمّا ظهر لها من اعتماد الباقين على هذين العالِمين، وذلك دون حصر هذه الشواهد إحصاءً .

سادساً: الخطة التي نفذت بها دراسة الموضوع :

يتكون هيكل البحث من: مقدمة ، وتمهيد ، وإطارين: الأول وهو الإطار النظري للدراسة وبه ثلاثة مباحث ، والثاني وهو الإطار التطبيقي ويحتوي على أربعة فصول تنقسم إلى مباحث ومطالب . وستطبق الشواهد في شعر المتنبي على الإطار التطبيقي .

- تمهيد : حوى تعريف الآراء النحوية (لغة واصطلاحاً).
- الإطار النظري ويحوي الفصل الأول بعنوان حياة ابن جني النحوي، وبه مبحثان:

المبحث الأول: حياة ابن جني الثقافية ومنهجه النحوي وآثاره العلمية ويحتوي على ثلاثة مطالب .

المبحث الثاني: (علاقة ابن جني بأبي الطيب المتنبي) ، ويحتوي على ثلاثة مطالب: (شرح ابن جني لديوان المتنبي ، وموقف الشراح من ابن جني، أثر شرح ابن جني على الحياة الثقافية):

المبحث الثالث: بعنوان: (آراء ابن جني النحوية حول أصول النحو) ويحتوي عليى ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: موقف ابن جنى من السماع.
 - المطلب الثاني: موقفه من القياس.
 - المطلب الثالث: رأيه في نظرية العامل.

الإطار التطبيقي ويحتوي على أربعة فصول آراؤه الخلافية مع النحاة من خلال شرح شعر المتنبي، وبه أربعة مباحث:

- الفصل الأول: آراؤه فيما له علاقة بالأسماء، وبه ستة مباحث .

المبحث الأول: اسم الإشارة بمعنى الموصول.

المبحث الثاني: الفصل بين المضاف والمضاف إليه.

المبحث الثالث: (كلا وكلتا) أصلهما وعملها.

المبحث الرابع: ضمير الفصل وإعرابه.

المبحث الخامس : العطف على اسم (إن) قبل تمام الخبر.

المبحث السادس: الجر على الجوار (عند ابن جنى على حذف المضاف) .

- الفصل الثاني: ما له علاقة بالأفعال، ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: (نعم وبئس)، وأسلوب المتنبى في المديح مخالفاً للشعراء.

المبحث الثاني: (كفي) أصلها وإعمالها.

المبحث الثالث: إعمال ليس في الخبر.

المبحث الرابع: أولى العاملين بالعمل في التنازع.

- الفصل الثالث: ما له علاقة بالحروف، ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: (أن) المخففة وإعمالها.

المبحث الثاني: (كي) معانيها وإعمالها.

المبحث الثالث (مذ ومنذ) أصلهما وإعمالهما.

المبحث الرابع: (لعل) معانيها وإعمالها.

- الفصل الرابع: ما له علاقة بالعوامل النحوية ، ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأول: العوامل اللفظية: وبه أربعة مطالب:

المطلب الأول: رافع الاسم بعد لولا.

المطلب الثاني: ثانياً: واو (رب) وعملها.

المطلب الثاني : مهما وإعمالها في الشرط وفي الظرفية .

المطلب الرابع: جازم جواب الشرط.

المبحث الثاني : العوامل المعنوية : وبها أربعة مطالب:

المطلب الأول: تقديم الخبر على المبتدأ.

المطلب الثاني: تقديم المفعول على الفاعل

المطلب الثالث :تقديم خبر (ليس) على اسمها.

المطلب الرابع: الإعراب بالعطف على التوهم.

- الخاتمة:

وتتكون من نتائج وتوصيات، ومستخلص البحث.

ثامناً: الفهارس العامة: وتتكون من:

- فهرس الآيات القرآنية .

- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

– الأشعار والقوافي .

- فهرس الأعلام .

- المصادر والمراجع .

- فهرس الموضوعات أو المحتويات.

تاسعاً: المصادر والمراجع المعينة على استقاء المادة العلمية:

من أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها:

المؤلف	الكتاب	المؤلف	الكتاب
	الخصائص في النحو واللمع في	سيبويه	
<i>ب</i> ب بي	· ·	<u></u>	
71 1 11 5	العربية وسر صناعة الإعراب	74 .774	1
أبوالعباس المبرد	المقتضب والكامل	•	الألفية وشروحها
		وابن الحاجب	
أبوعلي القالي وابن	الأمالي في اللغة	أبوحيان	ارتشاف الضرب من
الحاجب			لسان العرب
ابن رشيق القيرواني	العمدة في محاسن الشعر ونقده	أبوزيد الأنصاري	النوادر في اللغة
ابن خلدون	المقدمة	للخليك والمالقي	كتب الحروف
		والمراغي	والأدوات في اللغة
ابن جني	المحتسب في تبين شواذ القراءات	أبوحيان ، الزمخشري،	تفسير القرآن (البحر
		العكبري، النحاس	المحيط) إعراب
			القرآن
ابن خالویه ، وابن	الحجة في القراءات السبع والسبع	محمد فؤاد عبدالباقي،	معاجم ألفاظ القرآن
مجاهد .	في القراءات	الأصفهاني	
_	ديوان أبي الطيب المتنبي طبعة دار	أبوعلي الفارسي وابن	علل القراءات السبع
	الجيل	خالويه	
لسان العرب لابن	المعاجم اللغوية	الفسر لابن جني	شرح ديوان المتنبي
منظور ، القاموس		ومعجز أحمد لأبي	
المحيط للفيروز		العلاء والعرف الطيب	
ابادي وغيرهما		لناصف اليازجي وبقية	
		الشروح إن دعت	
		الحاجة إليها	
الصبح المنبي عن	كتب ألفها أصحابها نصرة للمتنبي	صحيح البخاري،	الصحيحان

حيثية المتنبي	أو غيرة عليه	وصحيح مسلم ، وسنن	
ليوسف البديعي،		النسائي وكتب غريب	
ومشكل إعراب		الحديث وغيرها	
شعر المتنبي لابن			
سيده			
للمهلبي الأزدي	المآخذ على شراح المتنبي		

ملحوظة : ما لم يرد ذكره يوجد في فهرس المصادر . والله الموفق

تمهيد

الأراء النحوية

تعريفها:

أولاً: في اللغة

ما يتبادر إلى الذّهن أنها جمع رأي، وهو مصدرٌ للفعل (رأي)، وسأوردُ على ذلك أقوال العلماء من أهل المعاجم منها:

- وقد جاء معناها في القاموس (١) المحيط في مادة (رأي):

رأي: والمصدر: رؤية وهي: النظر بالعين، وبالقلب. ورأيته: رؤية، ورأياً، وراءة، والرّؤية ما رأيتُه، في منامك.

آراء: مفردُها: رأي: ويُعني بها الرّؤية القلبيّة؛ لما لها من معانِ أبعد، وقد يأتي القلب ويرادُ به العقل في اللّغة، وجاء هذا المعنى في التنزيل في قوله تعالى: ﴿ أَفَاكُمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَمُمُ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسَمَعُونَ بِهَا فَإِنّهَا لاَ تَعْمَى ٱلْأَبْصَدُرُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلِّتِي فِي ٱلصَّدُورِ ﴾ (٢) .

والرأي يأتي بمعنى الاعتقاد، وتجمع على:

آراء، وفي الحديث أرأيتُك رأيتكما وأرأيتكم، وهي كلمة تقولها العرب بمعنى: أخبرني وأخبراني وأخبروني، وكذلك ألم تر على كذا: كلمة تقال عند التّعجّب وهو مَرآةٌ بكذا أي مخلقة وأنا أرى أخلق (٣).

ورأيتُه مراآةً أو رِئاءً: أريتُه على خلاف ما أنا عليه، وذوو الرّأي هم أصحاب الرّأي، وعُني بهم أصحاب القياس؛ لأنّهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً أو أثراً (٤).

⁽١) ينظر: القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروزيادي،مادّة (رأي)،٣٣٣/٤، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

⁽٢) الآية 46 من الحج.

⁽٣) ينظر: القاموس المحيط مادة (رأى) ٣٣٥/٤.

⁽٤) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، قدمه وعلق عليه دكتور أحمد الحوفي، ودكتور بدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر ، ط1، 1380هـ 1959م ، مادة (رأى) .

وجاء معناها في لسان العرب: رأيتُه ترئيةً، مثل ترعيتُ ترعيةً.

ورأوْه الشّيء: دلالته: "وما معناه يحتوي على رؤية العين، ورؤية القلب، وهي: ارتأيتُه بمعنى: رايتُه بقلبي، مثل: رأيتُ زيداً حليماً: علمتُهُ (١).

وقد جاء قديماً أن فعل القلب يسند إلى العقل في قوله تعالى: ﴿ أَفَامُر يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَمُمُ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَاكِن تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَاكِن تَعْمَى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَمُمُ قُلُوبٌ لَيْ مَعْوَلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَاكِن تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَاكِن تَعْمَى ٱلْقَلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصَّدُورِ ﴾ (٢) .

وقال أبوحيّان في تفسيرها: "إنّ إسناد العقل إلى القلب^(٣) يدّلُ على أنّه محلّه، ولا ينكرُ أحدٌ أنّ للدّماغ اتصالاً يقتضي فساد العقل إذا فسد الدُّماغ، ووصفت القلوب بالتي في الصّدُور مبالغة"(٤).

وممّا ورد عن ابن جِنّي أنّه سأل شيخه -أباعلي^(٥) - عن الفرق بين (علمتُ وعرفتُ) من جهة المعنى، فقال أبوعلى:

"لا أعلمُ لأصحابنا في ذلك فرقاً محصّلاً والذي عندي في ذلك أنّ عرفتُ معناها العلم من غير جهة المشاعر والحواس^(٦)، ويدّلل على ذلك في عرفت قوله تعالى: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنّوَصِي وَٱلْأَقَدَامِ ﴾ (٧).

⁽۱) ينظر: لسان العرب، للإمام أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ، ابن منظور الأفريقي المصري ، ط1، دار صادر ، بيروت ، 1421هـ - 2000م ، (مادة رأى) ، وينظر : تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر الجوهري ، بتحقيق د. أميل بديع يعقوب ود. نبيل طريفي ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ 1999م ، (مادة رأى) .

⁽٢) الآية 46 من سورة الحج

⁽٣) وهذا الإسناد في قوله تعالى: ﴿ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِمَآ ﴾

⁽٤) ينظر: البحر المحيط" لأبي حيّان، بتحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ-1993م، ٣٣٧/٦.

^(°) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار ، الفارسي النحوي ، أبوعلي ، ولد 288هـ بفارس . ودخل بغداد 307هـ ، له من الكتب : التذكرة والإيضاح ، والحجة في علل القراءات السبع ، توفي سنة 377هـ، ترجمته في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطي، بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، مصر الجديدة ، 383هـ - 1965م ، ص ٢/٦٩ - ٤٩٦/١ .

⁽٦) ينظر الخاطريات، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، بتحقيق علي ذو الفخار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م.

⁽٧) الآية 41 من سورة الرحمن.

لأنّ السيّما هي العلامة، ولا تدرك إلا بالحواس والمشاعر.

ومن هُنا نرى أنّ الرّؤية القلبيّة في اللّغة هي المعاني التي تتردّد في النّفس، وتعرف بالأمور النّفسيّة؛ لأنّها متصلة بالقلب، قائمة فيه، ؛كالفرح، والحُزن،والغمّ، فهي معان قلبيّة لا حسية كالاعتقاد.

ثانياً: تعريف الآراء عند عُلماء النّحو:

من الأقدمين من لم يُصرّح بأنّ له آراء ومعتقدات خاصّة به، ولكن نجد سيبويه في كتابه كثيراً - بعد معالجة كل مسالة في بابها يقول عبارة: "ألا ترى أنّ..." (١) .

وإن كثيراً من العلماء كان يرى في استخدام أسلوب الجدل، والمناظرة وسيلةً للإقناع، وتوضيحاً لما أشكل من قضايا العلم، ومسائله، فيقول الزّجّاجي:"..فإن هو فعل ذلك وتدبره ولم يره ينقاد في طريق القياس مستمراً، أو رأي أنّه لاحقٌ إلاّ في غيره كانت حلبة التناظر باجتماع ذوي العلم والنظر والفحْص والجدل معنا فيها فاصلة بيننا وبينه، حتّى نصير معاً بحقّ النظر إلى الصواب، فنعتقده جميعاً، وهذا الهدف يسعى العلماء لتحقيقه عن طريق المناظرات، والحوار، واحتكاك الآراء "(٢).

ومع تقدّم الحقبة الزّمنية نجد علماء القرن الثامن الهجري، ومنهم ابن مالك يقول: "ومن دلائل تقديم الحال على عاملها الظّرفي قراءة بعض السلف^(٣)، فالحسن البصري^(٤) –رحمه الله- يقرأ ﴿ وَٱلسَّمَوَتُ مُطُويِّكُ أُبِيمِينِهِ عَلَى ﴿ وَٱلسَّمَوَتُ مُطُويِّكُ أُبِيمِينِهِ عَلَى ﴿ وَٱلسَّمَوَتُ مُطُويِّكُ أَبِيمِينِهِ عَلَى ﴾ (٥) . بنصب

⁽۱) ينظر الكتاب : لأبي بشر محمد بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ، ما ١٣٨٥هـ ، الموافق ١٩٦٦م ، ٢١/١ ، 24 ، 40 ، 44 ، 491، 203.

⁽٢) ينظر: مقدمة الإيضاح في علل النّحو، للزجاجي، بتحقيق د.مازن المبارك، القاهرة، 1380هـ-1959م، ص139

⁽٣) ينظر شرح الكافية الشافية ، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ ، ٧٣٢/٢.

⁽٤) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري أبوسعيد ، ابن مولى من ميسان ، أحضر إلى المدينة ، ولد سنة 21ه ، ونشأ في وادي القرى ثم انتقل إلى البصرة ، روى عن عدد من الصحابة وأكثر رواياته عن أنس بن مالك ، ورع عالم ، من أنبه النابغين ، له أثر في الاتجاه الصوفي في علم الكلام، توفي بالبصرة سنة 110ه (728م) ، دفن بالمدينة . ينظر ترجمته في تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ، حققه محمود فهمي حجازي ، السعودية ، وزارة التعليم العليا ، 1403ه- 1983م ، ووفيات الأعيان ١٦٠/١-161 ، ص 9.

⁽٥) الآية 67 من سورة الزمر وهي ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ ... ﴾

(مطويات) وهو رأيٌ مقبولٌ ما دام العمدة فيه السّماع، وحجّته من القراءات، كما أنّهم توسّعوا في الظّرف والجارّ والمجرور كثيراً..." (١) .

حتى الباحثين في هذا العصر استخدموا كلمة (رأي) قاصدين ما يختص به الدّارس من اعتقادات ومبادئ يراها صائبة، ومنهم من قال: "كان للجدل بين النّحاة الأوائل أثرٌ ظاهرٌ وبارزٌ حتى نهاية القرن الخامس الهجري. في تقعيد القواعد، وإرساء الدّعائم، وتأصيل الأصول، كما حفظ الجدل آراء قيّمةً للعلماء، لم ترد كثيراً فيما ألف في علمي النحو والصّرف، وهي آراءُ جديرةٌ بالاهتمام، تناولت جملة قضايا ومسائل"(۲).

وهكذا في مفهوم كلٍّ منّا إذا أراد الشخص أن يُعبّر بمكنون نفسه، وما يعتقده صواباً يقول: "وأنا في رأيي كذا.."، ومن هذا المنطلق لا يكون رأياً إلاّ من ذوي الحصافة والعلم، والنّظر البعيد،ولذا قيل في (رأي) أنّ من معانيها أن تكون قلبيّة وهي بهذا المعنى من أفعال اليقين؛ لأن الإنسان لا يُدلي برأيه إلاّ إذا كان ذا مذهبٍ ومبدأ وعقل.

⁽۱) ينظر الكشاف ، ٣/٨٠٤ ، وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب في القراءات وجميع القرآن، لأبي البقاء العكبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1399هـ – 1979م ، وينظر : إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، للشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالغني الدمياطي، الشافعي ، الشهير بالبناء ، منشورات على بيضون ، دار الندوة الحميدة ، بيروت، ط 3، 1399هـ 1979م .

⁽٢) ينظر: النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم حتى نهاية القرن الخامس الهجري، عرض ونقد الدكتور محمد آدم الزاكي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، (رسالة دكتوراه) ص 10.

الإطار النظري بعنوان: (حياة ابن جنّي النّحوي وثقافته) ويحتوي على مبحثين:

المبحث الأوّل : نشأة ابن جني وحياته الثقافية، وشيوخه وتلاميذه المبحث الثاني : (منهجه ، وآثاره العلميّة).

المطلب الأول: مولده ونشأته

هو عثمان بن جنّي، كُنّي أبا الفتح النحوي، كان أبوه (جنّي) مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي (١).

و (جنّي) معرّب (كِنّي) ومعناه: كريمٌ، نبيلٌ، جيّد التِّفكير، عبقريّ، مخلص، وقد نُقل عن ابن جنّى أنّه قال عن معنى اسم أبيه أنه يعنى (فاضلٌ) باللغة الرّوميّة (٢).

كان ابن جنّي من أحذق أهل الأدب، وأعلمهم بالنّحو، والتّصريف، وكان علمه بالتّصريف أقوى من علمه بالنّحو^(٣).

ولد بالموصل، واختلف المؤلفون في تاريخ ميلاده، ونشأ بها وتلقّى مبادئ العلم فيها، من مساجدها.

لزم أبا علي^(٤) الفارسي مدة أربعين عاماً، واعتنى بأخذ التصريف عنه، وعندما توفى أبوعلى تصدّر ابن جنّى مكانه ببغداد^(٥).

لم تصف المصادر سماته الجسميّة، غير أنّ بعضها ذكرت أنّه كان أشقر، أعور، ممتعاً بإحدى عينيه؛ فهو ممتع بالإبصار بها والاهتداء بنورها. وكان يُشير

⁽۱) ينظر: بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، ١٣٢/٢، ووفيات الأعيان على أنباء أبناء الزّمان لأبي العباس، ابن خلكان، بتحقيق يوسف علي طويل ودكتورة مريم قاسم طويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ-1998م، ٢١٤/٢.

⁽٢) ينظر: معجم الأدباء، لأبي عبدالله ياقوت الحموي، راجعته وزارة المعارف، الطبعة الأخيرة، مطبعة دار المأمون، 1432هـ-1922م، ١٨/١٢ وينظر: الفهرست لابن النديم، تحقيق إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، لبنان 1417هـ-1997م، ص115، وإنباه الرّواة على أنباه النّحاة، للوزير أبي الحسين علي بن يوسف القفطي، تحيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1369هـ- 2007م، ٣٣٣/٢٠.

⁽٣) ينظر: مفتاح السعادة ومصباح السّيادة، لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، تحقيق كامل بكري وعبدالوهاب أبوالنّور، دار الكتب الحديثة، ١٣٤/١.

⁽٤) المصدر السابق ص135، وبنظر بغية الوعاة ١٣٣/٢.

⁽٥) المصدر السابق ، وينظر بغية الوعاة : ١٣٣/٢.

بيديه، ويميل بشفتيه، وهذا من سجّيته في توكيد المعنى في نفس السامع، وهو في كتبه يؤكدُ ذلك لميله إلى الإطناب والتّأويل، والتوسل إلى الإقناع(١).

لقد عاش ابن جني في القرن الرّابع الهجري، في بغداد، وبعد وفاة شيخه أبي على 377ه، خلفه ابن جنّي بين سائر تلاميذه في تدريس النّحو بمسجد بغداد^(٢).

كان يفخر بشرف مكانته العلمية، التي تعوّضه عن شرف النسب، مشيراً إلى أصله الرّومي بقوله:

ف إنْ أصبح بلا نَسبِ * فعلم ي في السورَى نَسبِ على السورَى نَسبِ على السورَى نَسبِ على السورَى أَسبِ على السي أؤولُ إلى * قُصرومٍ سَسادةٍ نُجُب ب قياص رةٍ إذا نطقُ وا * أرمُّ وا السدّهر ذا الخُطُ ب أُولاك دعا النّبيُّ لهُ م * كفي شرواً دُعاءُ نبي (٣)

ويُضيف محقق الخصائص أنّه رُبِّما كان في لسانه لُكنة لعجُمته من جهة أبيه، فكان يستعين على إيضاح ما يريده بالإشارة (٤) ، ولكن بعضهم يُرجِّح السّبب الأوّل ، إذا نظرنا إلى أسلوبه.

أقام ببغداد إلى أن توفي فيها في سن تجاوزت السبعين وصلّى عليه الشّريف الرّضي، ورثاهُ في سنة ثلاثة وتسعين وثلاثمائة للهجرة، لليلتين بقيتا من صفر (٥).

⁽۱) ينظر: مقدمة اللمع في العربية ، بتحقيق سميح أبومغلي ، دار مجدلاوي للنشر ، عمان ، 1309هـ- 24، ومقدمة الخصائص بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط2، 424هـ- 2003م ، ص 6 ، 7 .

⁽٢) ينظر: البداية والنهاية، لأبي الفداء الإمام إسماعيل بن كثير، المتوفى 774هـ، ضبطت هذه النسخة ونقحت بواسطة هيئة بإشراف الناشر، مكتبة المعارف، بيروت، ط 1، 1411ه – 1990م، ٣٣١/١.

⁽٣) ينظر: تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، 1417ه – 1977م، ١١/،١١، وينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419ه – 1998م، ٢٧٣/٣.

⁽٤) مقدمة الخصائص 6- 7.

^(°) ينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزّمان، للإمام عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي، اليمني، المكّي المتوفى سنة 768هـ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت 1390هـ بن سليمان اليافعي، وينظر: بغية الوعاة، ١٣٣/٢-134.

وما يُثبت هذا أنه قال متشوّقاً لصديق له: (١) .

صُدُودُك عنّب ولا ذنب لي * دليالُ على نيّب في فاسدة فقدد. وحياتِك ربّما بكيتُ * خشيتُ على عينيَ الواحدة

أمّا صفاته الخُلُقيّة، فقد عرف بأنّه كان رجلاً جادّاً، وامراً صادقاً في قوله، فلم يُؤثر عنه ما أُثر عن أمثاله من الأدباء في عصره. من اللّهو والشّرب والمجون – فكان عفّ اللّسان – جرئ القلم، ومردّ هذا ربّما لأنه، اشتغل بالتدّريس مبكرّاً، فلم يكن همّه منادمة الملوك وإرضاء هم (۲).

ومّما عرف عن أسرته، أنه كان أباً لثلاثة أبناء (عليُّ وعالِ وعلاء) وجميعهم أدباء، فضلاء، وقد تخرّجوا عنه بحُسن خطوطهم، وصحّة ضبطهم، وكُني بابي الفتح، قبل أن يولد له ابنٌ، ولم يُسمّ أحدهم بذلك (٣).

وفي رأي الباحثة أنّه كنّي بذلك لأنه فتح أبواب البحث في اللّغة والنحّو لمن أتوا بعده.

⁽۱) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢٧٣/٣.

⁽٢) ينظر : تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ٣١١/١١.

⁽٣) ينظر: معجم الأدباء: ٩١/١٢.

المطلب الثاني: حياته الثقافية

يُعدّ ابن جنّي القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرّياسة في الأدب. صحب أبا الطيب دهراً طويلاً، وشرح شعره، ونبّه على معانيه وإعرابه(١).

وكان يقول الشّعر، ويجيد نظمه فكان الشّعر أقلّ خلاله؛ لعظم قدره، وارتفاع حاله. ومن ذلك قوله في الغزل من الوافر (٢):

وقد كان من أحذق أهل الأدب، ليس لأحدٍ من أئمة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات ما له بسيّما في الإعراب، (فقد وقع منها على ثمرة الغُراب) (٤).

يقول الباخرزي نقلاً عن القفطي: "ما كنتُ أعلمُ أنّه ينظم القريض، أو يسيغ ذلك الجريض حتّى قرأتُ له مرثيةً في المتنبي (٥) أوّلها:

غاض القريضُ وأودت نضرةُ الأدبِ * وصوحت بعد ريِّ دَوَحةُ الْكُتُبِ سُلِبَ ثُـوبَ بهاءٍ كُنتَ تلبسُـهُ * قلباً جميعاً وعزْماً غيرَ مُنشِعبِ ويُحكى أنه حينما ورد واسط، كان يؤخذ منه العلم، وخاصة النحو حتى يقال له "المجنون"(١).

⁽١) يُنظر: يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، لابي منصور عبدالملك التّعالبي النيسابوري، المُتوفّى 429هـ، تحقيق:محمد ميمنى، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1403هـ-1983م، ص137-138

⁽٢) المصدر السابق، ص138، وينظر: تاريخ بغداد، لأبي بكر الخطيب البغدادي، ٢١٠/١١

⁽٣) النكهة: ويريد بها المذاق ينظر المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، القاهرة، مجمع اللغة العربية،مادة (نكه) ١٣٨٠هـ-١٩٨٠م، ٩٥٣/٢.

⁽٤) ينظر: دُمية القصر بذيل يتيمة الدهر، ويريد بها الثّمار الناضجة، البعيدة عن المتناول (المفيدة)، وينظر ظهر الإسلام، لأستاذ أحمد أمين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٥هـ ٢٦٧/١م، ٢٦٧/١.

^(°) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النّحاة (شرح القفطي الجريض بمعنى الغصص) ٣٤٠/٢، ومقدمة الخصائص، ترجمة المحقق، ص 9.

⁽٦) الخصائص ، ص ٩ ، وينظر : المعجم الوسيط (الجريض هو الغصص ، جمع غصة وهي ما يقف من الماء في الحلق فلم يكد يساغ فهو غاصًّ ٢٥٤/١.

رحل ابنُ جنّي -في سبيل العلم - إلى أمصار مختلفة، وأخذ اللّغة والنحّو، والصّرف، والأدب، والقراءات، ويشير إلى ذلك بقوله بأن جميع رواياته ممّا سمعه عن شيوخه -رحمهم الله- وقرأه عليهم بالعراق والموصل والشّام"(١).

وكان علم ابنُ جنّي في التصريف أقوى وأكمل من علمه بالنّحو، وسبب ذلك أنّه كان يُقرئ النّحو بجامع الموصل، فمرّ به شيخهُ أبوعلي الفارسي، فسأله في مسألة (قلب الواو ألفاً في نحو، قال وقام)، واعترض عليه أبوعلي فوجده مقصّراً، فنبهّه على الصّواب وقال له: "زببت قبل تحصرم "؛ مشيراً له إلى تعجُّله في التّصدّر للتّدريس، فترك حلقته وتبعه، ولازمه حتّى تمهّر في التصّريف (٢).

ويقول السُّيوطي^(۱):"ابن جنّي لم يأخذ على أحدٍ من شيوخه بالشّام غير الأخفش (الأوسط)^(۱) الذي قال عنه: "كان إماماً في النحّو، فقيهاً، فاضِلاً، قرأ عليه ابنُ جنّي..."(۱).

تضافرت عدة عوامل التكوين شخصية ابن جنّي العلمية، التي تبرز لقارئه من خلال كتاباته، وفنونه المختلفة، فقد شملت اللّغة، والنّحو، والصّرف، والقراءات، والعروض، وعلم الأصوات، وكلّها تنِمُ عن ثقافة واسعة، وعلم غزيرٍ، فقد عاش ابن جنّي في القرن الرّابع الهجري، وهو عصر ازدهر فيه العلم، وتفتّقت الآداب، ونشأ ببغداد حاضرة العالم الإسلامي وعاصمة الخلافة آنذاك التي يفد إليها طُلاّب العلم، والمعرفة من كلّ مكان، ويؤمّها العلماء بمختلف فنون العلم، فنشأ ابن جنّي وحوله ثروة ضخمة من التُراث، أخذها من علماء أفذاذ في ذلك الوقت، بالإضافة إلى

⁽١) ينظر مقدمة اللمع ص 4، والخصائص ص 6.

⁽٢) ينظر: بُغية الوعُاة: ١٣٢/٢، والفهرست، ص88، ومفتاح السّعاة ومصباح السّيادة، ١٣٤/١.

⁽٣) هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمّد، جلال الدين، السّيوطي، جلال الدين، إمام حافظ، مؤرخ، أديب، له نحو ستمائة مصنف، توفى 911هـ، ترجمته في شذرات الذهب ٥١/٨، والأعلام لخير الدين الزركلي ط4، 1979م، 7/10، 7/10، 7/10،

⁽٤) أحمد بن محمد، أبوالعباس الموصلي، أقام ببغداد، وكانت له حلقةٌ بجامع المنصور، له كتابٌ في تعليل القراءات السبع: ترجمته: البغية: ٣٨٩/١.

^(°) بغية الوعاة ١/٣٨٩، وينظر الخصائص ص 7 ، ومقدمة اللمع ص 8 ، وينظر ابن جني النحوي ، للدكتور فاضل صالح السامرائي ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، مطابع دارالنذير للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ، ص ٢٤-٤٧.

أنّه تنقل في البلاد بين مراكز الحضارة الإسلامية، فأقام في الموصل، وفي حلب، وفي واسط، وانتهى به التّطواف إلى بغداد (١) ، فسكنها ودرس بها حتّى مات (٢) .

هذه الحياة الحافلة بالدّرس والتدريس، إضافةً إلى ما أوتي ابن جنّي من ذهنٍ متوقدٍ، وذكاءٍ نادر، وملاحظةٍ دقيقةٍ؛ كله أسهم في تكوينه العلمي، فكان عالماً، متمكناً (٣).

عاش ابن جنّي في أزهر عصور الابتكار في تأليف النّحو واللّغة، فقد اتسعت آفاق الحياة العلمية، وامتزجت الثقافات الإسلامية بغيرها من ثقافات الأمم القديمة كالهنود، والفرس، واليونان، وغيرهم، فنشطت الدّراسات اللغويّة المبتكرة نشاطاً كبيراً، أسفر عن ثلاثة أشياء مهمّة هي: إتمام جمع اللّغة، وإدخال ما جُمع في المعاجم الكبرى، واختراع علم أصول النّحو على يد ابن السّراج، وأتمه أبوعلي الفارسي، فتلميذه ابن جنّي، الذي استكمل الدّراسات الصوتية، كل ذلك مع شموخ العلوم، وعموم التقدم في الحياة آنذاك (3).

مع أن ذلك العصر، كان عصر انحلال سياسي، انقسمت فيه الدولة الإسلامية إلى دويلات، إلا إنّ الازدهار العلمي، ونضوج العلوم والفنون والآداب على اختلاف أنواعها، وظهور المكتبات، و شيوع التآليف، كل ذلك جعل هذا القرن (الرّابع) يعدّ العصر الذّهبي للإسلام، ويعود السبب في هذه النّهضة إلى أنّ العلوم التي بدت في القرنين السابقين الثاني والثالث) –قد أينعت، وتبلورت الآن، وأدت إلى تشجيع حكام بني بويه وبني حمدان وغيرهما، فقد تنافسوا في تشجيع العلوم والآداب والترجمة (٥) فاشتهر جماعة من الشعراء منهم: المتنبي (١)، وأبو فراس (١) ، ومن النّحاة واللغويين ابن خالويه (٢)، وابن جنّي،

⁽١) ينظر: بغية الوعاة ١/٣٨٩.

⁽٢) ينظر: إنباه الرّواة: 2/333 ، وينظر : معجم الأدباء ٩١/١٢.

⁽٣) ينظر: مقدمة سرّ صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، بتحقيق: حسن هنداوي، ط1 ، دار العلم، دمشق ، 1405هـ – 1985م، ص9-12.

⁽٤) ينظر : مقدّمة اللمع في العربية، للدكتور سميح أبو مُغلي- ص5 ، وابن جني النحوي ص ١٥-١٥

⁽٥) ينظر المصدر السابق نفسه.

⁽¹⁾ هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصّمد الجُعفي الكندي الكوفي، أبوالطيب، الشاعر المشهور، قدم الشّام صبياً وهو من المكثرين في نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها توفي سنة 354هـ. ترجمته:

والثّعالبي $^{(7)}$ ، ومن الفلاسفة والأطباء ابن سينا $^{(3)}$ ، والبيروني الفلكي $^{(0)}$ ، وفي النصف النصف الثانى من القرن الرابع الهجري ظهرت جماعة (إخوان الصّفا) $^{(7)}$.

وفيات الأعيان //١٣٤ ، والبداية والنهاية //٢٥٦ - 257 ، وهدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لأبي إسماعيل باشا البغدادي ، مكتبة المثنى، بغداد ، 1372هـ - 1951م ، //٢٤ ، وينظر : العبر في خبر من غبر ، للذهبي ، تحقيق أبوهاجر ، محمد العبد بن بسيوني، زغلول ، الطبعة الأولى 1400هـ - 1990م ، وينظر : سير أعلام النبلاء ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط 1 ، مؤسسة الرسالة بيروت، 1410هـ - 1990م ، ٣/١١ وينظر : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي ، ط 1 ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1387هـ - 1967م ، ١/٠١٥ وينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبي المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ٣٤٠٠.

- (2) هو الحارث بن أبي العلاء ، سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ، ابن عم سيف الدولة ، كان فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً وبلاغة ونقداً ، أشعر من ابن المعتز عند أهل الصنعة ، أسرته الروم سنة 348هـ وقتل سنة 357هـ . ترجمته في وفيات الأعيان ٢/١٤ 53.
- (3) هو الحسين بن أحمد ، ابن خالويه ، أبوعبدالله الهمذاني ، الحلبي الدار ، روى عن ابن الأنباري ، وأبي بكر بن مجاهد ، وابن دريد ، ونفطويه ، إمام في اللغة ، لقب بذي النورين ، له مصنفات في القراءات وشرح القرآن ، مات بحلب سنة 307ه ، ينظر ترجمته في البلغة في تاريخ أئمة اللغة ص 67.
- (4) هو عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، أبومنصور ، كان رأس المؤلفين في زمانه، جمع أشتات النثر والنظم ، له تصانيف كثيرة منها : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، وله كتاب في فقه اللغة ، وله سحر البلاغة وسر البراعة ، وهو منسوب إلى خياطة جلود الثعالب ، ولد سنة 350هـ، وتوفي سنة 429هـ. ترجمته : وفيات الأعيان تحقيق : إحسان عباس، دار صادر بيروت ، بدون تاريخ : مراه ۱ ۱۵۵.
- (5) هو الحسن بن عبدالله بن سينا ، أبوعلي ، الحكيم المشهور ، ولد سنة 370هـ ، وكان أبوه من أهل بلخ ، ثم انتقل إلى بخارى ، له مصنفات كثيرة أشهرها القانون في الطب، توفي بهمذان في رمضان سنة 428هـ ودفن بها ، وجاء عن ابن الأثير أنه توفي في شعبان بأصبهان ، ترجمته في وفيات الأعيان ١٣٣/٢ ودفن بها ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٥٦/٩.
- (6) هو محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، أبوالريحان، حكيم، رياضي، فلكي ، طبيب ، أديب ، مؤرخ ، أعظم عالم موسوعي ، ولد بمدينة كاث سنة 362ه ، مؤلفاته تزيد عن المائة وخمسين مؤلف ، توفي سنة 440ه-ترجمته:معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة،مؤسسة الرسالة، 1414ه- 1993م، ٣/٣٥ .
- (7) هي جمعية سرية ، تألفت في بغداد في أواسط القرن الرابع الهجري ، وذكر من أعضائها خمسة هم : محمد بن معشر البستي المقدسي ، أبوسليمان ، وأبوأحمد المهرجاني ، والعوفي ، وزيد بن رفاعة ، وأبوالحسن علي بن هرون ، كانوا يجتمعون سراً ويتباحثون في الفلسفة حتى صار لهم مذهب خاص بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهنود وتعديلها على ما يقتضيه الإسلام، والغرض منها التعاضد في الدين . ينظر : تاريخ آداب اللغة العربية ، لجورج زيدان دار مطبعة الحياة ، بيروت ، 1404ه- 1983م ، ١٩٥١- 651.

المطلب الثالث: شيوخ ابن جنّى وتلاميذه:

أخذ ابن جنّي اللغة، والأدب، والنّحو، والقراءات، والصّرف، عن كثير من الشّيوخ، والرُّواة، الذين أكثر من النقل عنهم، ونجد ذلك واضحاً من خلال كتاباته.

أولاً : شيوخه:

١ – أبوعلي الفارسي:

الذي صحبه ابن جنّي أربعين سنةً، وكان صاحب الفضل الأكبر في تخريجه، وإذكاء نُبوغه، فقد ألهمه الكشف عن أسرار اللّغة، ومشكلاتها في الأصول والفروع، وكذا المسائل النّحويّة والصّرفيّة.

وقد أشار المؤرّخون إلى أنّ أبا عليّ دخل الموصل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة مع فاتح الدّولة البويهيّة (١) ، وتجمع الروايات على أنّ ابن جنّي صحب أبا على بعد هذا التأريخ، ولازمه في السّفر والحضر (٢) .

وهو يقول في الخصائص: "حدّثنا أبوعلي سنة إحدى وأربعين..." (٦) .

كان ابن جنّي شديد الثقة، والإعجاب بأستاذه، فلم يخلُ كتابٌ له من ذكر أبي علي وآرائه، وقد أظهر إعجابه به في أكثر من موضعٍ، منها قوله: "قلتُ مرّة لأبي بكر أحمد بن علي الرّاوي وقد أفضنا في ذكر أبي عليٍّ ونُبل قدره و...، وأحسب أنّ أبا عليّ قد خطر له، وانتزع من هذا العلم ثُلث ما دفع لجميع أصحابنا"(٤).

وبقى ابنُ جنّي على صُحبة أستاذه يبادله الحبّ والتقدير والوفاء حتى توفى أبوعلي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ، وخلفه ابنُ جنّي للتدّريس.

⁽۱) هو أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام، أبوالحسن، معز الدّولة البويهية في العراق، فارسي الأصل، مستعرب، ولد سنة 303هـ، وتوفي ببغداد سنة 356هـ. ينظر: ترجمة في الأعلام، لخير الدين الزركلي، ط4 ، بيروت ، 1390هـ | 1969م ، ١٠٥/١.

⁽٢) ينظر: مقدمة الخصائص ص 7-8، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة ١٣٤/١ وينظر مقدمة اللمع ص 8.

⁽٣) ينظر: المصادر السابقة .

⁽٤) ينظر، بغية الوعاة: ٤٩٦/١ ، وينظر مقدمة الخصائص 7-8

$^{(1)}$ (ابن مُقسم) -۲ أبوبكر محمد بن الحسن $^{(1)}$

من القرّاء، كان راوية ثعلب $^{(7)}$ ، قرأ عليه ابن جنّي مجالس ثعلب، وأكثر من النّقل عنه في معظم كتبه وخاصةً في الخصائص $^{(7)}$.

٣- أحمد بن محمد الموصلي الشافعي:

أقام ببغداد، وكانت له حلقة بجامع المنصور، قرأ عليه ابن جنّي بالموصل، قبل رحيله إلى بغداد، وقد نقل محقّق الخصائص أنّه لم يقف على أحدٍ من شيوخه بالموصل غير هذا الشّافعي. الذي يُعرف بالأخفش الأوسط (٤).

٤- أبوبكر جعفر بن محمد بن الحجّاج (°):

أشار محقق اللمع فقط إليه (٦).

 \circ - أبوبكر محمّد بن المراغى (\circ) :

أخذ عنه ابن جنّى في الخصائص.. (^).

٦- أبوالفرج علي بن الحسين الأصفهاني (٩):

أشار ابن جنّي إلى أخذه عنه في الخصائص (١٠).

⁽۱) هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم ، أبوبكر العطار ، المقرئ ، النّحوي ، ولد سنة 265هـ وكان ثقة ، من أعرف الناس بالقراءات ، وأحفظهم لنحو الكوفة ، وله من الكتب:الأنوار في تفسير القراءات وكتاب في النحو ، ترجمته:معجم الأدباء: ١/٠٥- بغية الوعاة: ١/٠٩.

⁽٢) هو أحمد بن يحيى بن يسار، أبوالعباس ثعلب، إمام الكوفيين في النّحو واللّغة، ولد سنة 200هـ، ألّف: معانى القرآن، ومعانى الشعر، والمصون في النحو، مات سنة 291هـ- ترجمته: البغية ٣٩٦/١٣.

⁽٣) ينظر: مقدمة الخصائص، ص 7، ومقدمة اللمع في العربية ص 4.

⁽٤) ينظر الخصائص، بتحقيق محمد على النجار، طبعة مصر ، 1406هـ - 1986م، ١٦/١-18.

⁽٥) ورد ذكره في المحتسب ٢٢٤/١، وفي الخصائص ٢/٦٨٦، ٢/٥٠٥.

⁽٦) الذي حققه عبدالمحسن خلوصي في رسالة ماجستير، طبعة بغداد، 1974م.

⁽٧) هو محمد بن أبي بكر المراغي، من أهل المراغة بأذربيجان، كان عالماً ديّناً قرأ على الزجاج، له شرح شواهد سيبويه، ومختصر في النحو ترجمته البغية: ١٩٦/١.

⁽٨) المصدر السابق نفسه ، والبغية : ١٩٦/١.

⁽٩) هو علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهاني، ولد بأصفهان 284هـ ونشأ ببغداد، أشهر مؤلفاته (١) هو الأغاني)، وله كتابٌ في الرّد على الشعراء، توفي ببغداد 356هـ ترجمته: الفهرست ص19

⁽١٠) لم يذكر في نسخة عبدالحميد هنداوي ولا اللمع في المقدمة ، لكن النسخة التي ذكرته قام بتحقيقها عبدالمحسن خلوصي في رسالة ماجستير ببغداد 1974م .

٧-أبو إسحق إبراهيم بن أحمد القُرمسيني (١):

ورد أخذ ابن جنّي عنه في الخصائص (٢) .

وقد ذكر كحالة أسماء شيوخ، تتلمذ عليهم ابن جنّي وأخذ عنهم منهم:

أبوصالح السليل بن أحمد بن عيسى، وأبوالحسن علي بن عمر بن عمرو، وأبوبكر محمد بن الحسن، وأبوسهل أحمد بن محمد بن الغطان^(٣).

وأضاف محقق اللمع: أبوبكر محمد بن علي القاسم الذّهبي، أبوالحسن علي بن محمد بن وكيع (٤).

ثانياً : تلاميذه:

تتلمذ على ابن جنّي نفرٌ كريمُ من العلماء والأمراء، الذين نشروا علمه وثقافته الواسعة من علوم اللغة، والنّحو، والصّرف -من بعده- منهم:

الثمانيني (٥)، وابن شاهويه (٦)، والقاشاني (٧)، ومحمد الواسطي (٨). وعددٌ من أبناء العلوبين بواسط، ومن آل بويه منهم:

(٣) ينظر مُعجم المؤلفين، لعُمر رضا كحالة، ٣٥٨/٢.

(٤) ينظر: اللَّمع في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جنّي، (المقدمة) ، ص 8.

⁽۱) هو إبراهيم بن أحمد بن الحسن، أبو إسحق القرمسيني، شيخ روى الحروف عن أبي بكر الأصفهاني، وأحمد بن أنس، وروى عنه إبراهيم بن أحمد الطّبري. ترجمته في طبقات القراء لابن الجزري ۷/۱، وغاية النهاية في طبقات القراء، لمحمّد بن محمد بن الجزري، عني بنشره جورج برجستراسر، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1351هـ-1932م، ۷/۱.

⁽٢) ينظر: مقدمة اللمع ص 8.

⁽٥) هو عمر بن ثابت الثمانيني النّحوي، الضرير، إمام وأديب، شرح اللّمع والتصريف الملوكي لابن جنّي، من ثُمانين بالموصل، مات 242هـ. ترجمته: بُغية الوعاة: ٢١٧/٢.

⁽٦) هو محمد بن عبدالله بن شاهويه، أبوالحسن، روي عن أبي علي الفارسي، وحدّث بالإجازة عن ابن جنّي، وعليه قرأ عدداً من كتب النحو والأدب، البغية: ١٢٩/١.

⁽٧) هو علي بن يزيد القاشاني، أحد أصحاب ابن جنّي، امتاز بحسن الخط والضبط. معجم الأدباء ٢٨/١٣.

⁽A) هو محمّد بن أحمد بن سهل الواسطي، أبوغالب، المعروف بابن بشران، أحد ائمة النحو واللغة والحديث المعروفين، ولد سنة 380ه، وتوفى 642ه. ترجمته: بغية الوعاة: ٢٦/١، معجم الأدباء:٢١٤/١٧.

ابن سيده الأندلسي (۱) ، وابن سنان (۲) الخفاجي، وابن الأثير (۳) ، والحافظ جلال الدين السيوطي.

هؤلاء جميعاً وجدوا ابن جنّي قد فتح لهم أبواباً لم تُفتح من قبل، وكان تأثيره واضحاً، أفادوا بما نقلوه عنه، في نشر فنون اللغة، والأدب والنَّحو، وقد امتد أثره إلى يومنا هذا مع اهتمام المتخصصين في اللغة باعتماد مؤلفاته، والأخذ بمنهجه في تعلم اللغة والنّحو وتعليمها (٤).

ومنهم من تأثر بابن جنّي، ونقل عنه وأغار على أفكاره، دون الإشارة إليه وهم: ابن سيده، وابن سنان الخفاجي، وابن الأثير، الذي نقل فصلاً كاملاً من الخصائص، والسيوطي في كتبه: المزهر، والأشباه والنظائر، والاقتراح.

(١) هو علي بن أحمد بن سيده، أبوالحسن، الضّرير، أعلم أهل زمانه في اللّغة والنحو والأشعار وأيام العرب، له المخصص، والمحكم، والمحيط الأعظم. توفي 458هـ، ترجمته: البغية: ١٣٤/٢، معجم الأدباء ٢٣١/١٢.

⁽٢) هو عبدالله بن محمد بن سعيد، ابن سنان، أبومحمد الخفاجي شاعر، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعرّي، ولد سنة 423هـ، له ديوان مطبوع، وكتاب (سر الفصاحة) الذي أقاده من علم ابن جنّي، توفي 466هـ. ترجمته: الأعلام: ٢٢/٤.

⁽٣) هو نصر الدين بن محمد بن محمد بن عبدالكريم، أبوالفتح الشيباني، ولد سنة 558هـ، له المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وديوان رسائل، توفى ببغداد 637هـ، وقيل :633هـ، ترجمته: البغية: ٢/٣٣٥.

المبحث الثاني ثقافة ابن جِنّي، وآثاره العلمية

المطلب الأوّل: ثقافة ابن جني

المطلب الثاني: آثاره العلمية

إنّ المتأمّل لكتب ابن جنّي يلحظُ-منذ الوهلة الأولى- أنه كان متأثراً بكتب الفقه وأصوله كثيراً، خاصّة في أبواب النّحو، فقد استعار بحثه في باب (تخصيص العلل) (۱) من أصول الفقه، وعقد على ذلك باباً سماه (الاستحسان) (۲) ، فهو من أصول الفقه.

أمّا مذهبُه الفقهي فكان حنفيّاً، يُبدي ميله إلى الحنفية (٣). ويتضحُ ذلك من قوله في الخصائص: "... وكذلك كتب محمد بن الحسن -رحمه الله- إنما ينتزع أصحابنا منها العلل؛ لأنّهم يجدونها منثورة في أثناء كلامهم" (٤).

وهو يريد أبا يوسف^(٥) صاحب أبي حنيفة ^(١) ، بل كان ينصر الحنفيّة على الشافعية في بعض كتبه مثل ما ذكره في (سرّ صناعة الإعراب) في حرف الباء: "وأما ما يحكيه أصحاب الشافعي عنه من أنّ الباء للتبعيض، فشيءٌ لا يعرفه أصحابنا ولا ورد به ثبتٌ " (٧) .

⁽١) ينظر الخصائص: ١٧٨/١-191

⁽٢) المرجع السابق ص 169-177

⁽٣) ينظر مقدمة الخصائص، (تحقيق دكتور هنداوي) ١١/١.

⁽٤) الخصائص: ١٠٠/١١–136

^(°) هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، أبويوسف الكوفي البغدادي، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه وناشر مذهبه، ولد بالكوفة سنة 113ه ، تفقه في الحديث والرّواية، ثم لزم أبا حنيفة وولي قضاء بغداد، له كتب: الخراج والآثار وهو مسند أبي حنيفة. ترجمته في الأعلام ط4، ١٩٣/٨.

⁽٦) هو النّعمان بن ثابت،أبوحنيفة،إمام الحنفية، قيل من فارس،ولد ونشأ بالكوفة سنة 80 هـ،له مسند مطبوع في الحديث، وله المخارج في الفقه، ساد أهل زمانه، توفي ببغداد سنة 150هـ، ترجمته في: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/٢.

⁽٧) ينظر الخصائص: ١٢٣/١ ، وينظر : مقدمة سر صناعة الإعراب ١٣٩/١.

مذهبه الكلامي

يذكر أنّ ابن جنّي كان معتزليّاً (١) ، ويظهر اعتزاله في أكثر من موضع في الخصائص، كما يبدو في كتبه الأخرى وخاصة (المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها).

ويقول في مقدّمة الخصائص: "الحمدلله، الواحد العدل القديم"($^{(7)}$. والعدل هذا من مبادئ المعتزلة، ومن صفاتهم تمسّكهم بقدم الله تعالى $^{(7)}$.

وقد أورد ابن جنّي أمثلةً كثيرةً لتوضيح العدل الإلهي عند المعتزلة، ولكنه لم يتقيّد بمذهبهم، ويذهب كثيراً إلى ما يراهُ الحقّ، ومن ذلك موقفه من نشأة اللغة أهي اصطلاح أم توقيف؟ وقد جزم بأنّها اصطلاحٌ وتواضعٌ،مخالفة لمذهب المعتزلة(٤).

تأثر ابن جنّي بمنهجهم العقلي، الذي سوف يؤثر على نظرته إلى الظواهر اللغوية، على ما سيظهر لنا من تحليل منهجه في النّحو.

- منهجه في النّحو:

عاصر ابن جنّي حقبة علمية، وكان بها ثلاث مدراس نحوية، تتجاذب أفكار النّحاة وتَشُدُّهم إليها، فيقولون برأيها، ويدافعون عن وجهة نظرها وهي:

- المدرسة البصرية، والكوفية، والبغدادية، أما ابن جنّي، فقد اختلف العلماء حول مذهبه، فذهب بعض المعاصرين إلى أنّه كان بغدادياً (٥) ؛ نظراً لأخذه من أئمة الكوفيين والبصريين معاً؛ إضافة إلى إقامة ابن جنّى ببغداد، وتصدره التدريس

⁽١) ينظر : مقدمة الخصائص: 11/1 .

⁽٢) يُنظر المصدر السابق ص ١١.

⁽٣) ينظر: المِلل والنِّحل، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمّد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1396هـ-1976 ، ٤٣/١.

⁽٤) فهم يتفقون على أنّ العبد خالق لأفعاله، ومنها القول خيرها وشرها، ويسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد، ينظر المصدر السابق، ٢٥/١، وينظر: البلغة في تاريخ أئمة اللغة، ص141 وينظر: تعريف المعتزلة في كتاب أدب المعتزلة إلى بداية القرن الرابع الهجري ، للدكتور عبدالحكيم بلبع ، مطبعة دار العلوم، مكتبة نهضة مصر بفجالة ، ١٣٨٠ه – ١٥٩م ، ص ١٥١ – ١٥٢.

^(°) يُنظر: الدراسات اللَّهجيّة والصّوتيّة عند ابن جنّي، لحسام سعيد النعيمي، د.ط، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1980م، ص18-19، وينظر ابن جني النحوي للدكتور فاضل صالح السامرائي، ص ٢٤٦.

في مسجدها - بعد وفاة شيخه أبي علي - وهذا قولٌ مردودٌ، لأنّ ابن جنّي عندما قدم بغداد، وأقام بها ، كان واضحاً في مذهبه النّحوي (١) .

والرّاجحُ أن النّحو في كتب ابن جنّي نحوٌ بصريٌّ، مع ظهور اجتهاده الشخصي، ويدل على ذلك أمثلةٌ كثيرةٌ، تكشف لنا عن ميله للمدرسة البصرية، وأنه أخذ بأصولها، ودافع عنها واستحسنها في كثيرٍ من الآراء، ومن ذلك قوله في (باب تعارض العلل): (٢) " الأوّل منها كرفع المبتدأ فإننا نحن نعتلُ لرفعه بالابتداء، على ما قد بيناه، وأوضحنا من شرحه وتخليص معناه، والكوفيون يرفعونه إمّا بالجزء الثاني هو مرافعه عندهم، وإمّا بما يعود عليه من ذكر على حسب مواقعه" (٣).

فهذا النّصُّ يكشف عن قول ابن جنّي بالمذهب البصري إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، خلافاً مع الكوفيين الذين يذهبون إلى أنّهما يترافعان أي: أنّ المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ⁽¹⁾.

ويقول في باب (في ترك الأخذ عن أهل المدر): (٥) "وهذا قد قاسه الكوفيّون، وإنْ كُنّا نحن لا نراه قياساً "(٦) .

أمّا انتماؤه إلى البغداديين، ضُمنّ كلامه ما يدلُّ على دعوى هذا الانتماء ونقضها من قوله في سرّ الصناعة في حرف الكاف: "فإن قلت: أنت كزيدٍ، وجعلت الكاف اسماً، فلا ضمير فيها كما أنّك إذا قلت: أنت مثل زيد، فلا ضمير في مثل هذا قول أصحابنا، وإن كان قد أجاز بعض البغداديين أن يكون في هذا النّحو الذي هو مشتقٌ من الفعل ضمير "(٧).

⁽١) ينظر: مقدمة الخصائص، طبعة د.عبدالحميد هنداوي، ص12

⁽٢) ينظر الخصائص: ١٩٤/١-195

⁽٣) المرجع السابق ص200-201 (باب في العلّة وعِلّة العلّة)

⁽٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، للشيخ كمال الدّين عبدالرحمن بن محمّد بن عبيدالله، أبوسعيد الأنباري أبوالبركات، بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، 2، مطبعة حجازي، القاهرة، 1374هـ1953م، ١٩٦١/١.

⁽٥) ينظر الخصائص: 1393-397(كما أخذ عن أهل الوبر)

⁽٦) المصدر المرجع السابق ، بتحقيق د.هنداوي ١١٧/١-118

⁽١) ينظر: سر الصناعة: أبي الفتح عثمان بن جنّي، بتحقيق محمد حسن محمد أحمد إسماعيل وأحمد رشدي،

ومن هذا يتضح لنا أنّ ابن جنّي كان يميل إلى المذهب البصري، ولكنّه لم يكن متعصباً في ذلك، فهو أحياناً يقول بقول الآخرين إن أصاب الحقيقة، في نظره، ووافق الصّواب، أو يستقِلُّ برأيه إن وجد ما يؤيّدُ ويؤكدُ استقلاله(١).

وقد انتصر للبغداديين كما في قولهم في جعل أبتع وما تصرّف عنها من ألفاظ التّوكيد، بقوله:

"إِنّهم لمّا أكدّوا فقالوا: أجمعون، اكتعون أبصعُون، ابتعون، ولم يقولوا أجمعون البتة"(٢).

ويقول الرّضي (٣) في شرحه للكافية: "وأمّا أكتع وإخوانه فالبصريون -علي ما حكي عنهم الأندلسي- جعلوا النّهاية أبصع ومتصرفاته، ولم يذكروا أتبع ومتصرفاته،... والبغداديون جعلوا النّهاية أبتع وإخوانه فقالوا: أجمع، أكتع، أبصع، أبتع "(٤).

ولا يدل هذا على بغدادية ابن جني، فإن هذه المسألة مرجعها إلى السماع، وقد صح عنه هذا، ولكنه بقى على أصول البصريين، فهو ينال منهم كثيراً ويُخالفهُم (٥).

منشورات محمد علي بيضون ٢٩٠/١ -٢٩١ بتصرف .

⁽٢) ينظر الخصائص ١٢/١، واللَّمع في العربية، بتحقيق دكتور سميح أبومغلى، ص 6، وابن جني ص ٢٤٧.

⁽٣) ينظر الخصائص: ٨٣/١.

⁽٤) وهو أحمد بن الحسن، الرّضي الاستراياذي،عربي نحوي، من أهل استراباذ،شرح كافية ابن الحاجب في النّحو وشافيتها في الصرف والإملاء، توفي 686هـ. ترجمته: البغية ٥٦٧/١ (جاءت وفاته 684هـ، البغية ٦٧/١).

^(°) ينظر: شرح الرّضي للكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، من منشوراته بجامعة قاريونس، ٢٧٦/٢، والخصائص: ١٢٦/١–١٢٦٨.

⁽٦) مقدمة الخصائص: ١٢/١.

المطلب الثاني: آثار ابن جنّي العلمية

لا يعرف مكانة ابن جنّي العلمية، والأدبيّة، واللّغويّة، إلاّ من وقف على آثاره، ومؤلفاته من المتخصصين في علوم العربيّة، وهذا جليٌّ واضحٌ في كتبه التي ناهزت الخمسين كتاباً، منها ما هو مطبوعٌ—بين أيدينا. ومنها ما لم يُعرف مكانها، ومنها ما لم يذكر في فهارس المخطوطات القديمة، ومنها ما فُقد منذ حياة ابن جنّي، ولم ير النّور بعد.

نقل ياقوت (١) أن ابن جنّي كتب إجازةً للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد ابن نصر – أجازه فيها رواية مصنفاته عنه، وقد أحصاها تسعة عشر كتاباً، وأضاف إليها ياقوت ثلاثين كتاباً لم يذكرها ابن جنّي في الإجازة(٢)، وقد أحصاها تسعة وأربعين كتاباً.

ومن أهم هذه المؤلفات مرتبة على حسب ترتيبها في الإجازة:

-1 التمام في شرح أشعار الهُذليين -1

وقد جاء ذكره في كتاب أبي سعيد الحسن بن الحسين السّكري، وقد عُني ابن جنّي بالاستدراك على ما شرحه السّكري، فألّف كتاباً وسمّاه (التمّام في تفسير أشعار هُذيل) (٤) ، فيما أغفله أبوسعيد السّكري، وطبعت منه ببغداد طبعة ١٩٦٢م وفيها آراء نحوية، وصرفية، لابن جنّي (٥) .

⁽۱) هو ياقوت بن عبدالله الحموي، الملقب بشهاب الدين، ولد سنة 574هـ، ببلاد الروم، ألّف معجم الأدباء، والبلدان، توفي بحلب سنة 626هـ. ترجمته: مقدمة معجم الأدباء ١٨/١-44.

⁽٢) ينظر معجم الأدباء: ١٠٩/١٢، وينظر اللمع في العربية (المقدمة) ص 11.

⁽٣) طبعة بغداد بتحقيق أحمد ناجي القيس، وخديجة الحديثي، وأحمد مطلوب. ينظر مقدّمة الخصائص ص13، ومقدّمة كتاب شرح أشعار الهذليين للسّكري، تحقيق عبدالسّتّأر أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ص6-7.

⁽٤) هُذيل من القبائل العدنانية، يلتقي نسبُها مع نسب الرسول ﷺ في الجد الخامس عشر (مدركة) كانت ديارهم بالسروات (القُرى) بين تهامة ونجد.

⁽٥) ينظر المرجع السابق (شرح أشعار الهذليين) للسكري، برواية أبي الحسن عيسى بن علي النحوي، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، 6 (المقدمة).

٢- سرّ صناعة الإعراب(١):

وموضوعه الدراسة التصريفية لحروف المعجم، قدّم لها ابن جنّي بالدّراسة الصّوتية،إضافة إلى معالجة قضايا لغويّة أخرى كالاشتقاق،والعروض وغيرهما(٢).

- تفسير تصريف المازني $^{(7)}$: ويُسمّى (المنصف)

وهو في التصريف، شرح فيه ابن جنّي شرحاً وافياً (٤) .

٤- شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها:

وقد ألَّفه ابن جنّى كتاباً وإحداً، ثمّ جعله كتابين هما:

الأول: التنبيه على مُشكل أبيات الحماسة، وقد جاء ذكره في مقدمة الخصائص(٥).

والثاني: المبهج في أسماء شعراء الحماسة، ونُقل عنه في الخزانة (٦) . لم يذكر بعض أصحاب التراجم $(^{()})$ كتب ابن جنّى القديمة ك:

الخصائص في اللغة والنّحو (^): وهو كتابٌ جامعٌ، ألفه ابن جنّي وأوضح فيه ما جمعه من مادّةٍ لغوية، سمعت عن العرب ولم يخرج كثيراً عن القياس، وفيه أبواب اخترعها؛ مثل (شجاعة العربيّة) ، وقد ذكره حاجي خليفة (٩)، والفيروزيادي (١) ،

⁽١) حقق الجزء الأوّل منه: السّقّا، ومحمد الزقزاق، وإبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، وحققه حسن هنداوي، طبعة وزارة المعارف العمومية، دار العلم، دمشق، 1405هـ-1985م.

⁽۲) مقدمة (سر الصناعة) :۱۹-۱۸/۱

⁽٣) هو بكر بن محمد بن بقيّة، أبوعثمان المازني، ولد بالبصرة ونشأ في بني مازن بين شيبان، عالم بالتصريف والنّحو، توفي 248هـ.وقيل 249هـ. ترجمته: البغية: ٣٦٤/١، طبقات النحويين واللّغويّين، لمحمد بن الحسن الزّبيدي الأندلسي، تحقيق:أبوالفضل محمد أبوالفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف القاهرة، بدون نتاريخ، ٢/ ٩٤٩.

⁽٤) وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء، بتحقيق، إبراهيم مصطفى، عبدالله أمين، ط1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1379هـ-1990م، ينظر ذكره في الخصائص ١٥/١.

⁽٥) مقدمة الخصائص، ص14

⁽٦) ذكره محقق الخصائص بـ (المنهج) في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة ص14 (المقدمة).

⁽٧) ومثله القفطي في إنباه الرواة، وكحالة في معجم المؤلفين.

⁽٨) وقد طبع بمصر، وحققه محمّد علي النّجار، ط1، منذ 1952م، وأخرى 1973م.

⁽٩) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة مصطفى عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي (حاجى خليفة) دار الفكر، بيروت، 1427هـ-2007م.

، وأبوالمحاسن الأتابكي^(۲) ، والسّيوطي الذي قال عنه: "وضعه ابن جنّي في أصول النحو وجدله، لكنّ أكثره خارج هذا المعنى..." وقال صاحب كشف الظُنون إن السُّيوطي لخص منه الاقتراح وضمّ إليه فوائد^(۳).

7- اللّمع في العربية (النّحو): وهذا لم يرد في الإجازة، لأنّ الحسين بن أحمد بن نصر، الذي أجازه ابن جنّي لرواية كتبه، وقد توفي سنة على الله ابن جنّي بثماني أو تسع سنوات، وهو محقّق، وموجود بيننا، وقد ألفه في النّحو والصّرف، ليناسب الناشئة، وهو يقتصر فيه على عرض المسائل الظاهرة في عبارة ميسرة موجزة بما يراه صواباً، دون عرض آراء العلماء وتعليلاتهم.

- ٨- شرح المقصور والممدود
- ٩- المذكر والمؤنث: أجمعت التراجم على ذكره.
- -1 محاسن العربية: ورد ذكره لدى السّيوطي $^{(\circ)}$.
 - 11- المسائل الخاطرّيات^(٦).
- -17 هذا القد: وقد استملاه وجمعه من شيخه أبى على الفارسى $(^{\lor})$.
 - ١٣ التذكرة الأصبهانيّة ^(^) .

⁽١) في البلغة في تاريخ أئمة اللّغة، لمجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروزيادي المتوفى سنة 817هـ، تحقيق محمد المصري، دمشق، وزارة المعارف 1293هـ-1972م.

⁽٢) ينظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢٠٥/٤٠.

⁽٣) ينظر بغية الوعاة: ٢/١٣٥، وينظر : كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ٢/١٥٥.

⁽٤) ينظر: إنباه الرواة للقفطي ٣٣٧/٢، والنجوم الزاهرة ليوسف نغري بردي ٢٠٥/٤، وينظر مقدمة الخصائص: ١/٥ (أورده المحقق: تفسير ديوان المتنبي)، وينظر مقدمة اللمع ص 10.

⁽٥) ينظر : بُغية الوعاة 2/134، وقد أورده صاحب تاريخ بغداد بعنوان التعاقب في العربية ١١٠/١١.

⁽٦) طبع بتحقيق على ذو الفخار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408ه-1988م.

⁽V) ينظر: بغية الوعاة 2/134، وإنباه الرواة ٣٣٧/٢.

⁽٨) أورده القفطي في إنباه الرّواة ٣٣٧/٢.

- 16- في النّوادر الممتعة ^(١).
- -1 الكافى شرح القوافى (7).
- -17 المقتضب: في المعتل العين (في الصرف) وهذا ذكره القفطي $^{(7)}$.

1V – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عندما بدا لأبي علي أن يجنح للقراءات الشّاذة فيه، بل إنه فيما يقول ابن جنّي في مقدمّة المحتسب : "قد همّ أن يضع يده ويبدأ به، فاعترضت خوالج هذا الدّهر دونه، وحالت. بينه "(٤)

.

من أجل ذلك تجرّد ابن جنّي للقراءات الشاذة، ينوب عن شيخه في الاحتجاج لها ؛ وفاءً له.

وقال: "وإننا وإن لم نقرأ في التّلاوة بها مخافة الانتشار فيها، ونتابع من يتبع في القراءة كلَّ جائزٍ روايةً ودرايةً، فإنّا نعتقد قوّة هذا المسمّى (شاذاً)، وإنّه ممّا أمر الله تعالى بتقبله، وأراد منا العمل بموجبه، وأنّه حبيبٌ إليه ومرضٍ من القول لديه (٥) وقد ألفه ابن جنّى مع تقدّم سنّه.

ومصادره فيه: كتب يأخذ منها، وروايات صح لديه الأخذ بها.

ويذكر ابن جنّي فيه طائفةً من أصول العربية وقواعدها العامّة من لغويّة، ونحويّة، وعروضيّة، دعته دواعي الاحتجاج، وتأييد الرأي إلى إبرازها في مواطن شتى، مثله العرب إذا نطقت بالأعجميّ.. (٦).

⁽¹⁾ لم يأت ذكره إلا في اللَّمع بتحقيق دكتور . سميح، (المقدمة) ص10

⁽²⁾ أورد القفطي اسمه (الكافي شرح قوافي الأخفش، وأضاف مختصر العروض، وينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين، أبي المحاسن الأتابكي، ٢٠٥/٤.

⁽³⁾ ينظر إنباه الرواة: ٢/٣٣٨.

⁽⁴⁾ يريد: أنّ أبا على انتقل إلى ربه قبل تأليف ذلك المحتسب.

⁽⁵⁾ ينظر مقدمة المحتسب، بتحقيق علي النجدي ، القاهرة ، 1386ه - 1955م ،ص11-13

⁽⁶⁾ الاحتجاج لقراءة (إسراييل) في الآية 40 من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ يَنَبَيْ إِسَرَ عِيلَ أَذَكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي آنَعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى ٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنَّنِي فَأَرْهَبُونِ ﴾

وفيه عرضٌ لمسائل بلاغيّة، كإيراد بعض صور المجاز المرسل، في الاحتجاج لقراءة قوله تعالى: ﴿ إِنِي ٓ أَرَكِنِي ٓ أَعُصِرُ خَمُرًا ﴾ (١) ؛ لما فيه من نظم الأسلوب، وعلاقته بإرادة ناظمه.

رضي الله عن أبي الفتح، وأثابه بما صنع في المحتسب لكتابه العزيز، ولغة نبيّه الكريم. لقد أعمل فيه عبقريته، وبذل جهده، حتى استوى بين أيدينا سفراً جليلاً، وظلّ على الزّمان ذكراً حميداً، وأثراً باقياً مفيداً.

⁽١) الآية 36 من سورة يوسف

المبحث الثاني (علاقة ابن جني بأبي الطيب) ويعتوي على مطلبين

المطلب الأول: شرح بن جني للديوان، وموقف الشراح منه

المطلب الثاني: أثر شرح ابن جِنِّي على الحياة الثقافية

عاش ابن جِنِّي في القرن الرابع الهجري، ذلك العصر الذي طُبع بتفتّق الثقافات والهجرة من أجل العلم.

صحب أبوالفتح أباالطيب(١) دهراً طويلاً. (٢)

إن الاهتمام بعلوم العصر وثقافاته، شغل أباالطيب منذ صغره، فقد نشأ في الكوفة صبياً وهو يعشق العلم والأدب ويُكثر من ملازمة الوراقين؛ دفعه طموحه إلى مصاحبة الأعراب في البوادي سنين عِدّة، عاد بعدها إلى الكوفة بدوّياً قحّاً. (٣)

أكسبته هذه الرحلات إلى البادية والتطواف بين أرجائها إلى جانب ما أخذ به نفسه من تتبع ومجالسة أهل العلم والأدب^(٤) كثيراً من الخبرة، وممارسة الأساليب العربية في الكلام ، حتى ذاع شعرُه في البدو والحضر ،وكادت الليالي تنشده والأيام تحفظه وقد أحسن ذلك في قوله:

وما الدّهرُ إلا من رُواةِ قَصِائدي * إذا قُلتُ شِعراً أصبحَ الدّهرُ مُنشدِا(٥)

وأجمعت التراجم على أن ابن جِنِّي كان يحضر عند المتنبي في حلب ويناظره في شيءٍ من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره؛ أنفةً وإكباراً لنفسه. (٦) وكان المتنبي يقول عن أبي الفتح: "هذا رجلٌ لا يعرفُ قَدرهَ كثَيرُ من الناس".

فسار به من لا يسيرُ مشمراً *وغنى به من لا يُغنى مُغرداً

⁽١) مرت ترجمته بالفصل الأول هـ 1 ص 12.

⁽٢) ينظر: يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، للثعالبي ص 137، ودمية القصر للباخرزي بذيل اليتمة، وينظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاسن كبرى زاده ١٣٥/١.

⁽٣) ينظر: أبوالطيب المتنبي ، دراسة في التاريخ الأدبي ، تأليف دكتور. ريجسي بلاشير ، ترجمة دكتور الكيلاني، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1395هـ – 1964م ، ص 48 – 50 ، وينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، لشوقي ضيف ص 227.

⁽٤) ينظر أبوالطيب المتنبي لبلاشير ص 48-50.

⁽٥) ينظر: يتيمة الدهر للثعالبي ص 139 ، وديوان المتنبي ص٣٧٣، والبيت من بحر الطويل ٣٨٥/١ (الفسر) وجاءت رواية ابن جني (قلائدي) بدلاً عن (قصائدي) ، ويليه

⁽٦) ينظر: بغية الوعاة للسيوطي ١٣٢/٢ ، ومفتاح السعادة١/١٣٥، ط مصر /دار المعارف 1963م.

⁽٧) ينظر المصدران السابقان نفساهما .

وكان أبوالطيب رغم تمكُّنهِ من الأدب واللغة وتضلّعه فيهما، ليست موهبته في الشعر هي ما يملك فحسب ، بل تمثل خلاصة الموروث الشعري عند العرب – بدءاً بأصحاب المعلّقات ومن سبقهم وانتهاءً بمعاصريه من شعراء زمانه – كثيراً ما يرجعُ المتنبي لابن جِنِّي لما بينهما من حميميّة، حتى قال المتنبي في ذلك: "ابنُ جِنِّي أعرفُ بشعري مِنِّي". (١)

وحينما سئل مرة أبوالطيب عن قوله: (صبرت أم لم تصبرا) عن ثبوت الألف في (تصبرا) ، مع دخول لم الجازمة، قال: "لو كان أبوالفتح هنا لأجاب" يعنى ابن جِنِي. (٢)

وقد كان المتنبي من حفاظ اللغة، واسع الاطلاع، من رواة الشعر، عارفاً بخفاياه وأسرار صناعته؛ هذا الاقتدار في تعريف اللغة جعله يتعمّد عدم الإفصاح عن غوامضه وشوارده، ويطرب حين يجد الناس يختلفون فيها ويختصمون حولها وكان يقول ذلك ويقصدهم في:

أنامُ ملء جُفوني عن شواردها * ويسهرُ الخَلقُ جرّاها ويختصمُ (٣)

وهو في ذلك كما قال صاحب العُمدة: "وأما أبوالطيب كالملك الجبّار يأخذ ما حوله قهراً وعنوةً كالشجاع الجرئ يهجم على ما يريد ولا يُبالي ما لقي ولا حيثُ وقع".

وهذا دليلٌ على معرفته التامة للهجات العرب وقبائلها، وإلمامه التام بتصاريف اللغة ألفاظها وتراكيبها.

(٢) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 228، ووفيات الأعيان ١٢٠/١ والصبح المنبي عنت حيثية المتنبي، ص 143، وينظر ديوانه بطبعة دار الجيل، بيروت، يهنئه بعيد الأضحى بميدانه بحلب، ص 342.

⁽١) ينظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، لأبي محمد اليمني اليافعي ٢/٥٤٥.

⁽٣) ينظر: مقدمة النظام في شرح ديوان أبي الطيب وأبي تمام، للمبارك بن أحمد الإرديلي المعروف بابن المستوفي ص 14–15 ، وينظر: الفن ومذاهبه ، ص 310.

⁽٤) ينظر: العُمدة في الشعر ونقده وآدابه، لابن رشيق القيرواني، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط 5 1401هـ 1981م، ١٣٣/١.

شرح ابن جِنِّي لديوان أبي الطيب

لعل أهم شاعر تعلق بفنون الثقافة، والتصنع في القرن الرابع الهجري هو المتنبي، فاشتهر في عصره، وكان يُشغف بالاستعارات في شعره، يحُاول أن يغرب بها على سامعيه، وأن يأتى لهم بشوارد يتجادلون فيها. (١)

فقد عاش نحو تسع سنوات يُمنِّى نفسه بمدائح سيف الدولة، ويحظى بمنزلة رفيعة منه وينعم بلقاء من قرّبهم إليه من الفلاسفة أمثال الفارابي^(۲) والعلماء كابن جِنِّي، ولا شك أنه أفاد من محاضرات الفلاسفة، وقد انعقدت صلة متينة بينه وبين ابن جنِّى، فروى عنه ديوانه وشرحه شرحاً مشهوراً؛ إعجاباً به وامتناناً بغنه. (۳)

ومدائحه في سيف الدولة تُعد في الذروة -لا من شعره وحده- بل من الشعر العربي عامة، فقد صوّر فيها وقائعه وحروبه تصويراً تشيعُ فيه البهجة بالنصر والاعتزاز بالعرب والعروبة. (٤)

وفرق بين قصائده الأولى والأخرى التي أعدها للقاء سيف الدولة، ففيها شيء من القلق النفسي يُصوره تعقيد المطلع الذي أراد به أن يغرب على من بحاشية سيف الدولة من اللغويين كابن جنّى وابن خالويه وهو قوله:

وفاؤكما كالرّبع - أشجاهُ طاسمه * بأن تُسِعَدا والدّمُعُ أشفاه سُاجمه (٥)

وقد حظي ديوان أبي الطيب بعناية بالغة، فقد تخطى أبوالطيب التصنع اللغوي إلى تصنع آخر أكثر تعقيداً وهو تصنعه للأساليب الشاذة؛ لأنه كان عالماً بالنحو ومشاكله، فكان كوفي المذهب فنقل كثيراً من التراكيب الشاذة التي روتها الكوفة

⁽١) ينظر العمدة ط5 ، ١٦٥/٢ ، وينظر ترجمة ابن جني في الفصل الأول .

⁽٢) هو محمد بن محمد بن طزخان بن أوزكغ الفارابي التركي ، أبونصر ، الحكيم المشهور ، ولد بتركيا وتنقل حتى وصل بغداد ، تخرج على ابن سينا ، تعلم العربية واشتغل بعلوم الحكمة ، له كتاب في إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها ، كان أزهد الناس ، توفي بدمشق سنة 339هـ . عن ثمانين سنة . ترجمته في وفيات الأعيان ٣٧٨/٤ – 390.

⁽٣) ينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 306 (هذا رأى الناقد).

⁽٤) ينظر: يتيمة الدهر: ٨١/١، والمصدر السابق (الفن ومذاهبه) ٣٠٦/١.

^(°) وهو يقول لصاحبيه كعادة العرب: إبكيا بدمع ساجم، فإنه أشفى بأن تسعدا بالمساعدة في البكاء كما أن الربع أشجى للمحب إذا درس، ديوانه ، بطبعة دار الجبل بيروت، ص 256.

وخالفت فيها البصرة وكان ذلك يُعدُّ غريباً على الناس في عصره، إذ كانوا قد هجروا النحو الكوفي إلى البصري^(۱)، ولعله من أجل ذلك شُغف العلماءُ بشعره، وشرحوه مراراً وأولهم ابن جِنِّي، الذي كان مولعاً بفتح المقفلات وشرح المشكلات، ولا سيما في الإعراب. (۲)

وشرحا ابن جِنِّي أوّل وأقدم الشُّروح المعروفة لدينا في تفسير شعر أبي الطيب، وتنجم أهميتها في أن ابن جِنِّي صحب المتنبي، وشرح كثيراً من شعره مصدراً بمثل قوله: (سألته... فقال لي، أو سألته وقت القراءة عليه) (٣) ونحو ذلك.

ولعل هذا هو ما أثار عليه جماعةً من معاصريه، أو من جاءوا بعده، فتعقبوا شرحه بالنقد واتهموه بالضعف. (٤)

ولم ينص ابن جِنِّي- صراحة- على اسم الفسر (٥)، وهو عنوان الكتاب الذي شرح به كامل ديوان المتنبى مثلما لم ينص على الفتح الوهبى.

وذكر أبوالفتح هذين الكتابين في إجازته للشيخ أبي عبدالله الحسين بن أحمد ابن نصر بأن يروى مصنفاته وكتبه بتصحيح وضبط تلميذه أبي أحمد عبدالسلام ابن الحسن البصري وهذه الإجازة بيده في آخر جمادى الآخرة 284هـ. (٦)

⁽١) ينظر: المدارس النحوية، دكتور شوقى ضيف، ط9، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ، صد 17-18.

⁽٢) ينظر: دُمية القصر (بذيل يتيمة الدهر) للباخرزي ص 397.

⁽٣) ينظر: الفتح الوهبي ، لابن جني، تحقيق د. محسن غياض، 1973 ،ص 48 ، وشرح التبيان لديوان المتنبى، للعكبرى ، ط 1971م، ٣٣٣/٣.

⁽٤) ينظر: شرح الواحدي طبعة برلين، 382ه - 1861م ، ص 683.

⁽٥) أورده ابن منظور في لسان العرب (مادة فسر) ٤٧٠/٣ ، وفي تاج العروس من شرح القاموس ، للإمام اللغوي محب الدين بن أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسين الواسطي الزبيدي مادة (فسر): الفسر: مصدر فسر وهو الإبانة وكشف المغطى والفسر كالتفسير مثلها: التذكرة والتفسيرة: (البول) الذي يستدل به على المرض وقال ثعلب: التفسير التأويل وقيل التفسير شرح ما جاء مجملاً من القصص في الكتاب الكريم وتعريف ما تدل عليه ألفاظه الغريبة وتبين الأمور التي أنزلت بسببها الآي، وهو تبيين معنى المتشابه ، وهو ما لم يقطع بفحواه من غير تردد فيه، وهو النص.

⁽٦) ينظر: معجم الأدباء، لياقوت الحموي: ٥٩٨/٤4.

وقد ذكر ابن جِنِّي الفسر بقوله: "وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير" ونص على أنه ألف ورقة ونيف، وذكر الثاني (الفتح الوهبي) بقوله: "وكتاب في تفسير هذا الديوان، حجمه مائة ورقة وخمسون ورقة". (١)

ولم يشر أبوالفتح لهذا الشرح (الفسر) أثناء إحالته إليه في كتبه الأخرى، ولكنه ورد مبهماً في المصادر الأخرى عند السيوطي والصفدي^(٢) والخوانساري^(٣) وهؤلاء وغيرهم رددوا ما جاء به ياقوت. (٤)

وقد نص آخرون على تسميته بالفسر صراحة كالصابي (٥)، وابن النديم (٦) وابن خلكان. (٧)

ويُفهم من قول ابن خلكان أن التسمية من قبل ابن جِنِّي نفسه، و هذا هو الصواب، إذ ورد في مقدمة الشرح في سائر المخطوطات قول أبي الفتح: "سألت-أدام الله تسديدك وأحسن من كل عارفةٍ مزيدك- أن أصنع لك شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي بفسر معانيه وإيراد الأشباه فيه وإيضاح عويص إعرابه وإقامة الشواهد على غريبه...". (^)

وابن خلكان يذكر الفَسْر في معرض حديثه عن الجزولي بقوله: "ورأيت له مختصر الفسر لابن جِنِّي في شرح ديوان المتنبي". (٩)

⁽١) ينظر: مقدمة شرح ابن جنى لديوان المتنبى (الفسر)، بتحقيق وتقديم دكتور رضا رجب المجلد الأول.

⁽٢) ينظر: بُغية الوعاة 2/132، والوافي بالوفيات صلاح الدين خليل إيبك الصفدي ، بتحقيق أحمد الأرناؤوطي ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط 1، 1422هـ - 2001م ، ٤٧٦/١٩

⁽٣) ينظر: روضات الجنات للخوانساري: ٥/١٧٠ (لم أعثر عليه) .

⁽٤) ينظر معجم الأدباء: ١٦٠/٤.

^(°) ينظر: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، لأبي الحسن الهلالي بن الحسن الصابي ، بتحقيق عبدالستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، بدون طبعة وتاريخ ، ص 417.

⁽٦) الفهرست لابن النديم قوله: قوله: "وله من الكتب الفسر وهو تفسير شعر أبي الطيب المتنبي": ص 95.

⁽۷) ينظر: وفيات الأعيان (x) لابن خلكان: (x) (x) حيث قال: (x) وشرح ديوان المتنبي وسماه الفسر).

⁽٨) أورد الشارح أربعة مصادر متتالية هي: (فسرٌ) و (إيرادٌ) و (إيضاحٌ) و (إقامة)، جاءت الثلاثة معطوفة على فسر وضبطه بفتح سكون في نسخة الرباط والمتحف البريطاني وكلها على وزن فعل وأن الزوزني قد سمى كتابه الذي انتقد فيه ابن جني (قشر الفسر) وهذا يؤكد تلك التسمية.

⁽٩) ينظر: وفيات الأعيان: ٣/٨٩، وتاريخ التراث العربي، لسيزكين: ٣٢/٢، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة: ٢٧/٨.

وقد ظن بعض الباحثين أنَّ الشرح مفقودٌ، فقال الشيخ النجار: "وابن جِنِّي أول من شرح ديوان المتنبي، وقد شرحه شرحين: الشرح الكبير والشرح الصغير، والأخير هو الباقى لنا". (١)

وذكر بروكلمان أنه في ثلاثة أجزاء وقال: "هو أطول الشُّروح". (٢) وأورد صاحب كشف الظنون الذي أكد وجود الفسر بقوله: "إن كلّ ما في الفسر ينطقُ بعمل أبي الفتح وشواهده النادرة، والتي عنها نقل خلوصي". (٣)

وآخر من أيّد مكانة شرح ابن جِنِّي لديوان أبي الطيب، ما جاء به دكتور بلاشير (ئ) في قوله: "... والشرح الذي كتبه ابن جِنِّي يعود إليه الفضل الأمثل في كونه أساساً للدراسات المتنبئية في الشرق، وإننا نجهل التاريخ الذي صُمم وألّف فيه هذا الكتاب المهم، ويتألف من ثلاثة مجلدات أي ما يُعادل ألف صفحة، ويمكن الجزم بأنه ألف بعد وفاة المتنبي، ورُتبت القصائد فيه على حروف الهجاء، وأعار ابن جِنِّي أهمية قصوى للشروح النحوية واللغوية أصّل بها شواهد من أشعار الأقدمين". (٥)

وإذا ما اطلعنا على شرح ابن جِنِّي لديوان المتنبي وإعجابه بشعره بوصفه بكلمة (شاعرنا) أو (صديقنا) بلا شك أن ذلك حدث نتيجة علاقة شخصية بينهما دامت دهراً، وننسى أن ذلك يمكن أن يكون عناية نحوي بشاعر ملأ الدنيا في زمانه، وقد يجوز أن يكونا لم يلتقيا إلا في أواخر عمر المتنبي، وعلينا أن لا نستغرب لهذا الإعجاب من ابن جِنِّي بشعر المتنبي، فذوقُه الأدبى الذي تمتع به جعله يهتم

⁽۱) ينظر: مقدمة الخصائص بتحقيق محمد على النجار ص وقد أورد دكتور عبدالحميد هنداوي محقق الخصائص ، ط 2 1424هـ - 2003م: "... و (الكتابان ضمن مصنفات ابن جني في المقدمة) " ص 14-

⁽٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ، بتحقيق دكتور عبدالحليم النجار ، دار المعارف، مصر ، بدون طبعة وتاريخ ، ص 88-88.

⁽٣) ينظر: كشف الظنون عن أسامي العلوم والفنون ص 810.

⁽٤) هو صاحب كتاب: أبوالطيب المتنبي (دراسة في التاريخ الأدبي) تأليف: د. بلاشير ترجمة ، دكتور إبراهيم كيلاني، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط 2 ، دمشق 1395هـ -1975م، ص ٣٨١.

⁽٥) المصدر السابق ص 387.

بالمتنبي الشاعر، بل له من القصائد الكثير الذي يكشف لنا أنه شاعرٌ مرهفُ. (١) وهذا ينفى أن أسلوبه كان بارداً كما يزعمون. (٢)

ولا شك في أن المتنبي كان يعمد للشواذ عمداً، وفي هذا يقول ابن جِنِّي: "إن كان في بعض ألفاظه تعسف عن القصد في صناعة الإعراب من التمسُّك بأهداب شاذ أو حملٍ على نادر فعن غير جهل كان منه ولا قصور عن اختيار الوجه الأعرف له". (٣)

ولكن ابن جِنِّي ترك تلك الظاهرة من غير تعليل، لأن المتنبي كان يتصنع لمثل هذه الأشياء في شعره؛ حتى يستحوذ على إعجاب المثقفين من حوله. (٤)

ويرى شوقي ضيف أنه أوّل شاعر عباسي يتصنع في شعره تصنُّعاً نحوّياً، فمن قبله لم يكن الشعراء يُكلفون أنفسهم الوقوف على المذاهب النحوية، ومعرفة ما بينها من خلاف، ولم يتعمقوا في دراسة النحو كما لدى المتنبي لأنه يريد أن يُحدث ارتباكاً يريده إرادة. (°)

وهو غالباً لا يقول الشعر لممدوحه فحسب، بل لأمثال ابن جِنِّي من اللغويين وذلك بقوله:

ولك ن تأخذ الآذان منه * على قدر القرائح والعُلُوم (٢)

ولم يكن أبوالطيب جاهلاً لهذا الذي يفعله فقد ترقت أساليب الكلام في عصره وابتدع المتكلمون من فنون الكلام ما عليه أن يحمل غير معنى واحدٍ وغير وجهٍ واحدٍ. (٧)

فهو واحدٌ من الذين برعوا في فن المخاطبة، وإخفاء الغرض وطريقة العرض حين يرغب وعندما يشاء.

⁽١) ينظر: المطلب الثاني بالفصل الأول (حياة ابن جني الثقافية)، ص 9، يتيمة الدهر للثعالبي: ١٣٨/١.

⁽٢) ينظر: الكامل في التاريخ، للشيخ العلامة عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير حوادث 393هـ، ١٧٩/٩.

⁽٣) ينظر: ترجمة المتنبي ، وينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص 339.

⁽٤) المصدر السابق نفسه (هذا رأي شوقي ضيف) (بتصرف) .

⁽٥) المصدر السابق نفسه، وينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٦٥/١ (بتصرف) .

⁽٦) ينظر: النظام في شرح شعر أبي الطيب وأبي تمام، لابن المستوفى ، دراسة وتحقيق د. خلف رشيد نعمان، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد1، 1400هـ – 1980م، وينظر ديوانه طبعة دار الجيل ص 232.

⁽٧) ينظر البحث ص 28 من هذا الفصل والمصدر السابق ص 31.

المطلب الثاني: موقف الشراح من ابن جِنِّي

إن الحملة التي تناولت شعر أبي الطيب انصبت على الجانب اللغوي من خلال استعماله الألفاظ ودلالاتها بشكل جرئ على ما تؤديه للمعنى المطلوب، وإلى الوصول إلى المعنى بعد تقديم الكلام وتأخيره، وعلى نجاح الاستعارة، أو إخفاقها، أو إفراطه فيها، وعلى إصابة المعنى وتفوقه على من سبقه من الذين تناولوا هذا المعنى أو ذاك. (١)

وقد امتاز حين التخلص والخروج، بابتداءاته وبالمعاني المشتركة وغيرها من المسائل التي تُمثّلُ مادة النقد في زمانه.

ويمكن تلخيص مآخذ العلماء على أبي الطيب فيما ذكره القاضي الجرجاني بقوله: "... ، فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحويٌ لغويٌ لا بصر له بصناعة الشعر وهو يتعرض على انتقاد المعاني لما يدل على نقصه ويكشف عن استحكام جهله، أو معنويٌ مُدقّقٌ لا علم له بالإعراب ولا اتساع له في اللغة فهو ينكرُ الشيء الظاهر وينقم الأمر البيّن". (٢)

وكان ابن جِنِّي يرى أن كثيراً من الذين يحملون على المتنبي إنما يفعلون ذلك؛ لأنه يصعب عليهم إدراك معانيه ومراميه لذلك عُني ابن جني بشرح ديوانه في ما ينيف على ألف ورقة (٦) وكتب كتاباً ثالثاً في النقض على ابن وكيع (٤) في شعر المتنبى وتخطئته. (٥).

⁽١) ينظر: هامش النظام لابن المستوفي (قول المحقق ص ٣٦) (بتصرف) ، ص 36.

⁽٢) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ، بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، 1410هـ - 1990م ، ص 234 وما بعدها.

⁽٣) وجاء ذلك في الإجازة التي كتبها بقوله: (وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير هو ألف ورقة ونيف) ينظر معجم الأدباء ١١٠/١٢ والكتاب الثاني وهو لأبيات المعاني بعنوان الواضح في مشكل شعر المتنبي الورقة الأولى(ب) معجم الأدباء ١١٢/١.

⁽٤) هو الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي، أبومحمد، شاعر بارع، وعالم جامعٌ في لسانه عجمة ، له ديوان شعر جيد، وله كتاب بيّن فيه سرقات أبي الطيب المتنبي سماه (المنصف)، توفى في 393ه ، ترجمته: وفيات الأعيان: ٢/٨٨-88.

⁽٥) ينظر: معجم الأدباء: ١١٣/١.

وقد كان ابن جني معجباً بصديقه ، وبسمته الشعري؛ لأنه جادٌ في ما يُعانيه، يلزم طريق أهل العلم في ما يقوله ، ويحكيه، ويحمله إعجابه على تجاوز الاعتدال في الرد على خصومه؛ حتى لتسمعه يقول: "... وما لهذا الرجل الفاضل من عيب عند هؤلاء السقطة الجهال وذوى النذالة السفال إلا أنه متاخرٌ محدثٌ وهل هذا – لو عقلوا إلا فضيلة له، ومنبهةٌ عليه؛ لأنه جادٌ في زمان يُعقم الخواطر ويصدئ الأذهان – فلم يزل فيه وحده بلا مُضاهٍ ولا نظير بُعاليه وكان كالقارح الجواد يتمطر في المهامه الشداد". (١)

ومن الذين تصدوا لابن جِنِّي على بن عيسي الربعي (٢) وابن فَوَرجة (٣) الذي ألف في نقده لشرح ابن جِنِّي للديوان كتابين. (٤)

ويقول صاحب العَرف الطَيب: "جملة ما قاله "أبوالطيب" في سيف الدولة يُعادل تُلث شعره وهو عيون قصائده ولباب مدائحه. وهو يبدأ بالإعراب للأبيات". (٥)

ويقول صاحب المآخذ على شراح الديوان: "وأول ما ينبغي أن يُبتدأ به من المآخذ في شروح ديوان أبي الطيب: المآخذ على الشيخ أبي الفتح عثمان بن جِنِّي؛ لأنه هو المبتدئ لشرحه المفتتح لفسره، المسند إليه رواياته المأخوذ عنه حكاياته وقد طول الشواهد وقصر المعانى، وسأبين ذلك في موضعه...". (1)

⁽۱) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لدكتور .إحسان عباس، (نقد الشعر من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري) ، دار الثقافة بيروت ، ط 1، 1391هـ - 1971م ، ص 278.

⁽٢) هو علي بن عيسى بن علي بن عبدالله ، أبوالحسن النحوي، البغدادي المنزل، الشيرازي الأصل، كان متقناً للنحو قرأ على أبي علي عشرين سنة، كان من المعجبين بالمتنبي، توفى سنة 430هـ. ترجمته وفيات الأعيان ٢/١٥٩.

⁽٣) هو محمد بن حمد بن محمد بن عبدالله بن محمود ، ابن فورجة. ترجمته البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، 97-97.

⁽٤) هما: (التجني على ابن جني والفتح على أبي الفتح). ينظر فيهما: معجم الأدباء ١٨٨/١٨ ، وكشف الظنون: ٢٣٢/٢ ، وكتابه الفتح على أبي الفتح يؤيد تسمية كتاب ابن جني (الفتح الوهبي) .

^(°) ينظر: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب للعالم اللغوي المشهور الشيخ ناصيف اليازجي، دار بيروت للطباعة والنشر 1384ه- 1964م ٢٠٥/٢.

⁽٦) ينظر: المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العباس أحمد بن معقل الأزدي المهلبي ،المتوفى 567هـ بتحقيق د. عبدالعزيز ناصر المانع ، ط 2، 1421هـ – 2001م (المآخذ على شرح ابن جني الموسوم بـ (الفسر) المجلد الأول) ، ١١/١.

ويتضح من ترتيب المهلبي لتلك الشروح، أنه ترتيبٌ تاريخي متسلسلٌ، ابتدأ فيه بالمآخذ على شرح ابن جِنِّي المعاصر للمتنبي وانتهي فيه بالمآخذ على شرح الكندي المعاصر له ولكنه عندما يجئ إلى التطبيق نجد الترتيب يختلف عما ورد في المقدمة، فهو يبدأ بشرح ابن جِنِّي المتوفى 392هـ، (۱) وينتهي بشرح الواحدي (۱)، ولكنه حينما سُئل عن هذا الترتيب غير المنطقي أجاب بأنه جاء به عمداً وقصداً؛ لأن الواحدي يُخطّئ ابن فورجة الذي صوب قول ابن جِنِّي في الرد عليه – فهو قد خطأ المصيب وصوب المُخطئ (الواحدي) (۱) – فهو قد أفاد من ابن جِنِّي وأغفل معانى بعض الأبيات، واعتمد فيها على غيره من الشرّاح. (١)

وقال: ذكرت شرح الواحدي آخراً، لأنه لم يقع في يدي ولم يصل إلى وكل نصٍّ قائمٌ بنفسه، وكُلما أذكر نصاً أشير إلى موضعه من الشروح ولا فرق بين أن يكون أولاً أو آخراً.

ويأتي دور ابن المستوفي^(٥) الذي رد على المهلبي الأزدي، وهو ردِّ دقيقٌ نقد فيه مآخذه على شرح ابن جِنِّي قائلاً: وهناك نقصٌ في قول المهلب الأزدي على ابن جِنِّي في مآخذه: (٦)

أولاً: نقصٌ في أوله وهو: في نهاية الورقة 6/ب سقط من كتاب المآخذ بين ابن حِنِّي:

أهذا جزاءُ الصدق إن كنتُ صادقاً * أهذا جزاءُ الكِذْب إن كنتُ كاذباً (٧)

⁽١) ينظر (المآخذ على الفسر) شرح ديوان المتنبى ، لابن جنى ، للمهلبى الأسدي ، المجلد الأول .

⁽٢) هو أبوالحسن علي بن أحمد الواحدي، ولد بخراسان وترحل كثيراً ، اشتهر باللغة وتفسير القرآن مات بنيسابور 468ه ، ترجمته: بغية الوعاة ، ترجمة رقم (327) .

⁽٣) ينظر: المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب ص 35.

⁽٤) المصدر السابق ص 36 .

^(°) هو المبارك بن أحمد بن المستوفي أبوالفتوح الإربلي، المتوفى سنة 637هـ شرح ديوان أبي الطيب في عشر مجلدات (النظام) ، ترجمته : بغية الوعاة ، ط 4، 1384هـ – 1965م ، ٢٨٤/٢.

⁽٦) ينظر: النظام في شرح أبي الطيب وأبي تمام لابن المستوفي ، بتحقيق د. خلف رشيد نعمان، ط 1 1410هـ- 1989م، ص 44-45.

⁽٧) وهذا البيت في الفسر :١٨٢/١ ، وينظر ديوانه طبعة دار الجيل ص 335 ، قالها عندما عوتب على معاتبته سيف الدولة في الميمية.

وبالطبع سقط هذا البيت بتعليق الأزدي عليه، مما يدلُّ دلالة مؤكدة على فقدان ورقات من مخطوط المآخذ على ابن جِنِّي (١) تعليقه على البيت الذي يليه في أول الورقة 1/أ.

إذ إن القصائد بين صفحات الفسر المطبوع 156-1715 هي خمس قصائد ومقطوعتان وكلها من قافية الباء ومجموع أبياتها خمسة وأربعون ومئة بيتٍ يُضاف اليها أربعة عشر بيتاً من أول القصيدة التي منها البيت الذي بقى من شرحه من التعليق عليه بقية على أول الورقة 1/1 عند الأزدي. (٢)

وليس من الراجح أن يتجاوز الأزدي كل هذه الأبيات دون التعليق على واحدٍ منها.

ولم يغط قافية الكاف التي يبلغُ عدد أبيات ابن جِنِّي فيها (في شرحه) الستين بيتاً غير بيتين فقط.

ويأتي دور مُحقق^(٣) كتاب الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي لابن جِنِّي وذلك له الفضل علينا بأمرين:

أولاً: عثوره على نسخة من هذا المخطوط النادر محفوظةً بمكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة، وذلك في أواخر الستينات من القرن الماضي، وعندما كان يعمل رحمه الله- أستاذاً في كلية الشريعة بمكة المكرمة.

ثانياً: كونه السباق إلى نشر هذا الكتاب وإظهاره للعلماء للاستفادة منه والرجوع اليه في وقتٍ كانت المصادر عن شعر المتنبي شحيحة جداً.

ويقول عن محقق الكتاب ببغداد (٤): "أغفل الدكتور محسن عياض تفسير حوالي اثنى عشر بيتاً شرحها ابن جني من شعر المتنبى".

(٢) وهو قول المتنبي: إذا بدا حجبت عينيك هيبته * وليس يحجبه شيءٌ إذا احتجبا ، الديوان ، طبعة دار الجيل ص ٩٨.

⁽١) وهو الفسر ١/٢٥٦.

⁽٣) ينظر تفسير أبيات المعاني في شعر المتنبي (الفسر الصغير) ، لابن جني، بتحقيق د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، الرياض ، ط 1428هـ-2007م.

⁽٤) يقصد: الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، لمحسن عياض، بغداد 1394هـ 1973م.

وهذا وحده مسّوغٌ كافٍ لإعادة تحقيق الكتاب، وهو يهمل -أحياناً - إهمالاً كاملاً إحالة أبيات المعاني إلى ديوان المتنبي نفسه، ويكتفى بإحالتها إلى مصادر شرحه لها. (١)

وتُعدَّ قصائد المتنبي في سيف الدولة الحمداني من عيون الشعر العربي آنذاك وها هو أبوالعلاء المعري^(۲) يقول فيها: "قول المتنبي في سيف الدولة مؤالفاً بين المتناقضات في مجال أسلوب فصيح رفيع"^(۳) وذلك نحو:

يا أعدلَ النّاس إلاّ في مُخاصمتي * فيك الخصامُ وأنتَ الخَصمُ والحَكمُ (٤)

ويأتي دور النقاد الذين كان لهم القدح المُعلى في شرح شعر أبي الطيب، ومنهم العقاد الذي يرى أن أباالطيب على وجه خاص أولى من عامة الشعراء -ما عدا المعري- بالنصيب الأوفى في عالم المذاهب والآراء؛ لأن الحقائق المطبوعة لا تكاد تفرض نفسها حتى يرسلها إلى ذهنه ويكسوها ثياباً من نسجه ويوردها بعد ذلك مقرونة بأسبابها معززة يُحجبها على نمطٍ لا يفرق بينه وبين أسلوب الفلاسفة في التدليل على طابع السليقة وحرارة العاطفة فهو القائل:

إذا غامرتَ في شرفٍ مروم * فلا تقنع بما دُونَ النّجوم(٥)

⁽۱) ينظر: مقدمة نسخة عياض (بتصرف): ص 8-9.

⁽٢) هو أحمد بن عبدالله بن داؤد بن المطهر بن زياد بين الحارث التنوخي، الإمام أبوالعلاء المعري من معرة النعمان بالشام، وافر العلم، حاذق في النحو، ولد سنة 363ه فعمي وعمره ثلاث سنوات بسبب الجدري، ثم أتهم في دينه، له تصانيف كثيرة ، شرح ديوان المتنبي، والبحتري، وأبي تمام ، مات في ربيع أول 440ه. ترجمته بغية الوعاة ٢٠١/١-303.

⁽٣) ينظر: اللامع العزيزي في شرح ديوان المتنبي، لأبي المعري تحقيق محمد سعيد المولوي، ط 1 ، مركز الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1429هـ-2008 ص 10.

⁽٤) من بحر البسيط بديوانه طبعة دار الجيل ص 332 ، وقد جاء معاملتي بدلاً عن (مخاصمتي) في صدر البيت، كما رآه ابن جني في وقتها وأتي به (مخاصمتي)؛ حتى يحدث موازنة بين اللفظ والمعنى الذي يريده، ينظر الفسر: ٣٢/٣ ، ومطلعها:

واحر قلباه ممن فلبه شبم * ومن بجسمي وحالي عنده سقم. ينظر الديوان ص 331.

^(°) ينظر ديوانه ، طبعة دار الجيل ، ص 232 ، وينظر : مطالعات في الكتب والحياة، لعباس محمود العقاد، طبعة 1345هـ – 1924م ، ص 146–147.

ويتفق مع العقاد اليازجي الذي يرى أن المتنبي رغم الايماءات المذهبية والشواذ الموسيقية، والشوارد النحوية، فقد كان لديه من المهارة الفنية ما يستطيع أن يُخفى به سمات هذا التصنع، وما ينطوي فيه من تكلفِ شديدٍ حتى ظن اليازجي في الفصل الرابع الذي عقب به على ديوان أبي الطيب أن ما عنده من معجمات مستغلقة إنما يقتصر على القسم الأول من شعره الذي نظمه في الحداثة ، ويرد عليه الدكتور شوقي ضيف بأن هذا وهم من اليازجي ومن لف لفه؛ لأن هذه المستغلقات وجدت في شعره حتى التنفسات الأخيرة من حياته. (١)

وغاية ما في الأمر أن مقدرة المتنبي على صوغ العبارة، ونمو هذه المقدرة على طول الزمن هو الذي يخفي به سمات هذه الجوانب من التصنع؛ التي وقفنا عندها على النقاد حتى ليُخيل إليهم وقد رأوها متجلية في شعره الذي نظمه في الشباب، وقيل إنه لم تكتمل مهارته الفنية وأنها انقطعت بعد ذلك. وهذا غير صحيح لأن المتنبي كان يأتي بهذه المستغلقات عامداً (٢)، إذ كان يتخذها مذهباً له في صناعة شعره طوال حياته. (٣)

ويُشير شوقي ضيف إلى أن اليازجي لم يكن يريد بمستغلقات المتنبي ما يوصف من ضروب الصنعة المختلفة؛ فإنه لم يحاول أن يدرسه دراسة منظمة بعرضه فيها، على ثقافات عصره، ويرى مدى تأثره بها في الصياغة ، وإنما أراد ما في شعر حداثته من تكلف والتواء وهي سمة توجد عند جميع الشعراء في الأدوار الأولى من حياتهم؛ فإنهم يبدأون مقلدين متكلفين حتى يتبينوا أنفسهم، فيستقل الشاعر عن سابقيه ويستحدث لنفسه مذهباً جديداً.

والمتنبي شديد الثقة بنفسه ولم يقل شيئاً إلا إذا أدرك له وجها من صحة اللفظ والمعنى الذي يربده منه، فيقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي * وأسمعتْ كلماتي من به صمم (٥)

⁽١) ينظر: العمدة: ط5، ٢/١٤ وينظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 342.

⁽٢) ينظر: المصدران السابقان نفساهما .

⁽٣) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، لدكتور . شوقي ضيف ص 342 وما بعدها.

⁽٤) المصدر السابق نفسه وينظر النظام في شعر أبي الطيب وأبي تمام لابن المستوفي ص 31.

⁽٥) ينظر: مطالعات في الكتب والحياة، ص 144، وديوانه ص 332 ، وينظر العمدة ط5، ١٦٤/٢.

ويقول العقاد: "هذا من اعتداد المتنبي بنفسه، وظهور شخصيته، وقوة طبعه، وكثرة تجاربه و...، وهذه الخصائص التي جعلت المتنبي ينفرد بجمعها، فأشاعت ذكره وحفظت شعره وأنالته من المكانة في أدب العرب ما لم ينله شاعرٌ سواه". (١)

وقد كانت العربية مرنة مع ابن جِنِي طيّعة لأغراضه، فقد ظلت دائبة الاستجابة لما يريد أن يُحمّلها من احتمالاتٍ في وجوه المعاني المختلفة، لم تخذله، ولم تثأبّ عليه، فشرح ديوان أبي الطيب بكل ما أوتي من مهارةٍ؛ لأنه كشف عن أسرار هذه اللغة؛ لدرايته ما تفيض به قرائح الناطقين.

(١) ينظر : مطالعات في الكتب والحياة ، ما بعد ص 144.

المطلب الثالث: أثر شرح ابن جِنِّي لديوان أبي الطيب على الحياة الثقافية لم يجد ديوان لشاعرٍ من العناية والاهتمام مثل ما وجد ديوان المتنبي، ولم تُثر خصومٌ مثل ما أثير حول المتنبي وشعره.

وتذكر بعض المصادر أن شروح الديوان تجاوزت أربعين شرحاً^(۱) ولا يدخل في ذلك ما شُرح حديثاً. ^(۲)

وهذه العناية لابُد من الوقوف عندها لدى المشتغلين بدراسة الشعر ومعانيه وأساليبه، ولابد من أن يكون الإعجاب بهذا الشعر قد جعل الشراح والنقاد يتبارون في إبانته وكشف معانيه، وإظهار حُسنه وبيانه، من هؤلاء من شرح الديوان عارضاً من خلاله اللغة، أو النحو، أو البيان، إلى غير ذلك من أساليب اللغة وفنونها.

وبالرغم من أن أبا الفتح أول شارح لهذا الديوان، فقد فسر ألفاظه وحلل مسائله الغريبة في النحو، وأورد أمثلة كثيرة وكان يُشير إلى أصحابها في هوامش شرحه.

شرحه من جاءوا بعده حيث أفادوا من شرح ابن جِنِّي، ولم يشيروا إلى آرائه كثيراً ؛ فقد كان من الكبار في صنعة الإعراب والتصريف؛ لمعرفته التامة بأسرار اللغة ومسائل النحو، فقد تعرض لمن نقدوه وهاجموه، ومن هؤلاء ابن فورجة في كتابيه. (٣)

وجاء عن صاحب كشف الظنون أن ابن جِنِّي قد أكثر من شرح الشواهد النحوية، والمسائل الغريبة حتى يتمكن من الرد على الذين يُخطئون المتنبي في شعره. (٤)

وترى الباحثة أن هذا ما جعل الشراح يلجأون إلى شرح الديوان بعده دون عناء. علاوةً على شغف الناس بشعر المتنبي، وحفظهم له وروايته، فقد شرحه العلماء واهتموا بدراسته، ومن هؤلاء الأدباء: أبوالبقاء العكبري^(٥) الذي ألف كتاباً في إعرابه، وابن سيده الذي شرح مشكل أبيات المتنبى. ^(١)

⁽١) ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ط 1299هـ 1978م، ٦٣/١.

⁽٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، دار المعارف، مصر . ترجمة النجار ٢/٨٨-٩٢.

⁽٣) هما: التجني على ابن جني الذي شرحه أبوالفتوح أحمد بن المستوفي الإربلي المتوفى سنة 637 في عشرة مجلدات سماه النظام والآخر الفتح على أبي الفتح.

⁽٤) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ١/١١ (بتصرف).

⁽۱) هو عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين أبوالبقاء العكبري الضرير النحوي الحنبلي ، ولد في أوائل ببغداد عام 530ه ، له مصنفات وشروح في النحو واللغة ، وفي إعراب القرآن والحديث، مات سنة 616ه . ترجمته بغية الوعاة ، ط1، 1384ه – 1965م ، ٣٨/٢-40.

ومن تلك الشروح ما هو مطبوع، ومنها ما هو غير مطبوع (٢) ، وشرح ابن جِنِّي (الفسر الصغير) وسماه الفتح الوهبي على المتنبي (٣) جعله خاصّاً بأبيات المعاني أو الأبيات التي خفيت معانيها، واستترت مراميها وقد سماه ابن جِنِّي بـ(الفتح الوهبي) فجاء أبوموسى عيسى بن عبدالعزيز البربري المتوفى سنة 607ه واختصره. (٤)

وقد أحدث شرح ابن جِنِّي لديوان أبي الطيب ما يُشبه الحركة النقدية التي أغنت الثقافة، وكان ذلك معيناً لم ينضب، وضوءاً ساطعاً أثار حفيظة كثير من الأدباء والشُّراح منهم:

الواحدي الذي تحامل على أبي الطيب، بالرغم من ذلك يُعدَّ في نهاية الأمر أرفع مستوَّى من الشروح الأخرى، وهو يحتقر ما حواه الديوان من شعر صباه ويقول ناقداً له: إنه لو طرح أبوالطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به. (٥)

ويُعد شرح التبريزي^(۱) (تلميذ أبي العلاء المعري) في المرتبة الثانية بعد الواحدي وهو يُسمى (الموضح) ، والشرقيون يعدونه أكمل الدراسات التي خُصصت لديوان المتنبي^(۷)، فقد أخذوا عنه ، واستشهدوا بأقواله وعرف هذا –على قلة طرافته – بأنه نوع من الرواج والانتشار.

وآخر قول الباحثة أن ما ترتب على شرح ابن جِنِّي لديوان أبي الطيب كان ثقافة، تفتقت على الحياة – آنذاك – بدراسات أظهرت أثراً شعرياً ذا أهمية كبرى في تكوين أصحابها الفنى والأخلاقي (^) وكانت مرفقةً معها أفكارٌ نقديةً.

وبعضها قد أشار إليه الكاتب الفرنسي هانوفر الذي درس النص لغوياً. (١)

⁽٢) ينظر: النظام في شرح أبي الطيب وأبي تمام لابن المستوفي ٢١١٢.

⁽٣) ينظر: كشف الظنون، طبعة بغداد، بدون تاريخ ١/٨٠٩.

⁽٤) الذي نشره وحققه د. محسن عياض، بغداد 1973م، وسماه الفتح الوهبي على المتنبي.

⁽٥) وسماه: (مختصر الفسر) مما يؤكد تسمية شرح ابن جني لشرحه (الفسر).

⁽٦) ينظر: شرح الواحدي ص 17 ، وأبوالطيب المتنبي لبلاشير ص 392.

⁽٧) وهو يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد ، الخطيب التبريزي، ولد سنة 421هـ، أحد أئمة النحو واللغة والأدب ، حجة ، صدوق ، أخذ عن أبي العلاء المعري ، صنف شرح القصائد العشرة ، وشرح اللمع ، وشرح الكافي في العروض والقوافي لابن جني ، وله ثلاثة شروح على الحماسة، شرح شعر المتنبي،وأبي تمام،مات فجأة سنة 502هـ . ترجمته : البغية ٣٣٨/٢ ، ومعجم الأدباء ٢٥/٢-26.

⁽١) ينظر: كشف الظنون ٢٠٦/٣.

⁽٢) ينظر: معجز أحمد، لأبي العلاء المعري ، بتحقيق دكتور عبدالمجيد دياب، ط 2، دار المعارف، القاهرة، 1413هـ 1992م ، وينظمه أبوالطيب المتنبى لبلاشير ص 490.

ومما تقدم يتضح الأثر الكبير الذي كان نتيجةً لشرح ابن جِنِّي لديوان المتنبي؛ مما حرك قرائح الشعراء والأدباء تناولت ذلك الشرح بين مادح وقادح، ومنهم من تجرأ على ابن جِنِّي الذي عرف بإدراكه أسرار اللغة ولهجات العرب معرفة جعلته يميل إلى الخفاء والغموض في تأويله لحل معضلات اللغة وغوامضها لذلك الشعر الذي اشتهر صاحبه وهو أبوالطيب المتنبي بضخامة المعاني، ومتانة المباني وحوي من الحكم، والحماسة، والمديح، والفخر، والعتاب، وحوي شعره الحكمة والفلسفة وما جرى بين الناس مجرى الأمثال؛ لذلك نجد الكثيرين قد اشتغلوا بتفسير أشعاره، وحل مشاكلها وعويصها وأُلفت الكتب في ذكر جيده ورديئه. (٢)

وقد عُنى غرانجريه بنقل أشعار المتنبي إلى الفرنسية^(٣) ، وكتب عنه أكثر المستشرقين مقالات نقدية ، ولاسيما ديترصي، وهلمر ، وجونبول وقد عُنى هذا بترجمة أشعاره إلى اللاتينية. (٤)

أورد القزّاز ما يجوز للشاعر في الضرورة عن المتنبي حوالي ثماني صفحات^(٥) أورد فيها آراءه حول معاني أبيات المتنبي ورأي ابن جِنِّي فيها.

⁽٣) ينظر: اللامع العزيزي وهو (نسبة لأمير عزيز الدولة ، والي حلب في زمن الدولة الفاطمية (407هـ- 413هـ) . ينظر وفيات الأعيان ٣٤/١ ، وينظر: كتاب الأنساب وتسلسل الأحداث في تاريخ الإسلام، تأليف هانوفر 1342هـ- 1927هـ ، ص 32.

⁽٤) ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية ص 138-140 وينظر قشر الفسر، لمحمد بن الحسين الزوزني، تحقيق عبدالعزيز ناصر المانع، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث، الرياض، 1427هـ 2006م، والصبح المنبي عن حثيثية المتنبي، للشيخ يوسف البديعي الدمشقي، بتحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا، دار المعارف، القاهرة، 1384هـ 1963م. والوساطة بين المتنبى وخصومه.

⁽٥) وهذه طُبعت في المجلة الآسيوية 1824م.

⁽٦) وهذه طُبعت 1840م.

 ⁽٧) الصفحات هي: 7، 9، 10، 12، 13، 44، 58، 120، ينظر الكتاب بطبعة الدار التونسية ، 1398هـ 1977م .

المبحث الثالث رأي ابن جِنِّي في أصول النحو

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقف ابن جني من السماع المطلب الثاني: موقفه من القياس المطلب الثالث: رأيه في نظرية العامل

زاد اللغة العربية شرفاً ومنعةً بنزول الكلام العزيز بها، فألبست رداء الخلد والعزة، حيث كان الإسلام ثورةً عظيمةً للتغيير في كل مناحي الحياة، ومن أهمها اللغة، فعاش العرب كأنهم أمة خُلِقت من جديد وبعد مرور أيام من القرن الأول الهجري هبت الهمم لبناء الترّاث اللغوي، ووضعت ضوابط الكلام التي تعصم اللسان من اللحن في التلاوة، وبها العبادة وظلت عنواناً للمروءة؛ فنشأ الفكر النحوي على رأي ابن فارس(۱۱)، حيثُ أعاد ما وصل إليهم من موروث قبل الإسلام، فكان القرن الثاني الهجري عهد التفكير والتأليف في هذا الفكر على أيدي القراء الذين أبدعوا في وضع أصول عامة للعربية(۱۲) من خلال معالجتهم للقراءات فكان النحو والدرس الصوتي الذي اعتمد على دراسة ما ورثوه من لهجات عربية، ورواية كلام الشعراء العرب، فهو مادة عظيمة من جهودهم، وعندما انقضى النصف الثاني من القرن الذي قرأ ونقد وصنق الكتاب الذي احتذوا حذوه مثلاً لعبقرية العرب في النحو، والتصريف، والبلاغة، والقراءات وذلك بفضل إمامه وشيخه الأول الخليل بن أحمد الفراهددي. (۲)

وتسرب ذلك الشعاع العظيم، والنحاة يدرسون ويؤلفون، كُلِّ على منهجه وسمته، ثم جاء دور الفقهاء وأهل الأصول، فقبس من مناهجهم نحاةً مهرةً كان رائد هؤلاء في هذا الشأن ابن جِنِي الذي يُعدُّ أوّل من وضع أصول النحو في مؤلف، إذ

⁽۱) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب اللغوي ، قيل من أهل همذان ، وقيل من قزوين ، له تصانيف كثيرة منها : المجمل في اللغة ، فقه اللغة ، ومتخير الألفاظ ، وغيرها ، توفي سنة 895هـ. ترجمته في إنباه الرواة ٩٢/١ – 96 ، وبغية الوعاة ١/١٥٣ ، والبلغة ص 28 ، والبداية والنهاية ١٩٦/١١ ، وشذرات الذهب ١٣٢/٣ – 133 ، وكشف الظنون ص 1064 .

⁽٢) ينظر: الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه للدكتور مزهر الياسري تقديم دكتور عبدالله الجبوري، ط 1 ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت 1423هـ -2003م، ص 5.

⁽٣) ينظر: المصدر السابق ، ص 6.

وضع أصول النحو في خصائصه على منوال أصول الفقه عند الإمام الشافعي^(۱)، تلميذ أبي حنيفة وصاحب ابن جِنِّي، فتطور نهج التعليل والاحتجاج، وبذلك أصبح للنحو سمتٌ جديدٌ^(۲) – وإن انصبغ بعلم المنطق – ولكنه منطق إسلامي.

كان النحو العربي في عصوره الأولى نحواً عربياً، بصفاء العربية وشفافيتها المبتناة على وضوح النهج القرآني ولكن بعد اشتغال العرب بالفقه وأصوله ودراسة علوم الحديث، وتحري ضوابط محكمة من معرفة صحة السند والرواية والنقد كعلماء القراءات من آنذاك تسربت شذور نفذت إلى مقالات علماء النحو في أفكارهم فبقي كذلك حتى جاء القرن السادس الهجري. (٣)

وهنا ظهرت أصول نحوية، بُنيت على أصول المنطق، وفيها شيءٌ من الفلسفة، فقابلها ابن مضاء القرطبي، بصيحته الداوية التي نادي فيها بإسقاط هذا اللون من النحو الجديد المعلل، فسبقه بها علماء التفسير الكتاب الله العزيز الذين فسروه بتقليب وجوه من النحو وأولهم: الفراء في كتابه معاني القرآن وآخرهم أبوحيان النحوي في كتابه البحر المحيط، فكان كتابه جهداً عظيماً من جهود أهل العربية. (٤)

اعتمد النحاة الأوائل استناداً - إلى ما يستنبط من دراساتهم النحوية- على أصلين أساسين في إقامة الأحكام النحوية وبناء أبوابها على ذينك الأصلين:

أولهما: عملي حِسِيُّ: هو السماع.

ثانيهما: عقليُّ تجريديُّ: هو القياس. (٥)

غير أن هذين الأصلين لم يتم العمل بهما على نسق مطرد أو منهج ثابتٍ فاعتورهما شيءٌ من الاضطراب، ودخلهما من التفريقات ما لا حاجة للدرس النحوي إليه. (٦)

المطب الأول: موقف ابن جنى من السماع:

⁽۱) هو محمد بن إدريس بن عثمان بن الشافع بن السائب بن عبيد بن عبدالعزيز بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف ، جد النبي ش ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية ، ولد بغزة بفلسطين سنة 150هـ ، ورحل إلى مكة ونشأ فيها وأقبل على الأدب والعربية والشعر ثم على الفقه والحديث، توفى سنة 204هـ ، ترجمته: طبقات الشافعية، لأبي بكر هداية الله الحسيني، بتحقيق عادل أوهيضة مراجعة لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2 ، 1400ه –1982م، ص 11-14.

⁽٢) ينظر: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، لدكتور صاحب أبوجناح ، ط1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع الأردن ، 1419هـ-1998م ، ص 167.

⁽٣) ينظر: الفكر النحوي عند العرب ص 7-8.

⁽٤) ينظر: مقدمة المصدر السابق.

⁽٥) ينظر: المصدر السابق ص 174.

⁽٦) ينظر: الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه ص 179.

اعتمد ابن جِنِّي على مبدأي السماع والقياس، واللذين درج عليهما العلماء في استنباط قواعدهم اللغوية هو أخذهم بالأكثر وترك ما عداهُ (١). فيقول سيبويه في ذلك: "فإنما هذا الأقل نوادر يُحفظ ولا يقاس عليه، ولكن الأكثر يقاسُ عليه". (٢)

كان منطق العرب يقتضى أن يقوم السماع تبعاً للقياس في مادة اللغة التي يمكن أن تخضع للحصر العام أو للتجريب؛ ولهذا كان منهج النحاة علمياً لأنه بدأ بتهيئة المادة المراد فحصها، ثم قاموا بتصنيفها وفق الضوابط التي أوصلهم إليها الاستقراء، مهما كان حجمه، ثم كان بعد ذلك قياس الشبيه الذي لم يتم عرضه على أداة الاختبار وهي السمع على الشبيه الذي تم عرضه عليها. (٣)

ويعد السماع الأصل الأول في مباحث النَّحاة المتقدمين وهو أداة جمع اللغة واستقصاء قوانين بنائها ، وكان لهم في ذلك سبيلان:

أحدُهما: النقل أو الرواية والآخر: مشافهة فصحاء الأعراب في البوادي. (٤) ومنهج ابن جِنِّي في السماع أنه تأثر ببعض الأصوليين نحو قوله: "إن إجماع أهل البلدين إنما يكون حُجةً إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص". (٥)

فهو بذلك يدخل في نظام المناظرات الأصولية. (٦)

⁽١) ينظر: الخصائص بتحقيق د. هنداوي،: ١/٣٩٨.

⁽٢) ينظر: الكتاب ٢١٤/٢ ، وهو قولهم: "يا ابن أمَّ ويا ابن عمَّ فجعلوا ذلك بمنزلة اسم واحد؛ لأن هذا أكثر في كلامهم من يا ابن أبي ويا غلام غلامي" وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

⁽٣) ينظر: الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه ص 175.

⁽٤) ينظر: المصدر السابق ص 179.

⁽٥)ينظر: الخصائص ٢١٦/١.

⁽٦) ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، لمحمد مختار (ولد أباه) ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة آيسكسو، 1417هـ -1996م، ص 202.

كما نجد ابن جني عقد باباً خصصه لحكم (العربي يسمع لغة غيره هل يُراعيها ويعتمدُها أم يطّرحها؟) وهنا يؤكدُ على تعدية الفصيح من اللغة دون أن يُحدد أساساً للأفصح.

ومما أورده في معرض السماع ما يشبه ما اصطلح عليه الأصوليون بـ (فساد الاعتبار)، وذلك حينما أورد (تقاود السماع وتقارع الانتزاع)^(۱) فقال: "إن السماع قد يطرد في حكم ما، مثل: رفع الفاعل، ولكن قد تختلف النتائج المترتبة على هذا الحكم إلى أن يصل الأمر إلى الاستدلال بالشيء الواحد على الحكمين الضدين مثل ما هو في قول الشاعر: (۲)

زمانٌ على غُرابٌ غُدافٌ * فطيّرهُ الشّيبُ عنّى فطارا(٣)

فقال فيه ابن جِنِّي: "يمكن أن يذهب ذاهب إلى سقوط حكم ما تعلق به الظرف من الفعل، ويمكن أن يستدل به على ثباته وبقاء حكمه، فالظرف (عليً) متعلق بمحذوف تقديره (استقر)، وقام الظرف مقامه فحين أثبت حكم الفعل المحذوف جعل الفعل (فطيره) عطفاً على (استقر) ومن اعتقد سقوط حكم تعلق به الظرف استدل عليه بعطف (طيره) على الظرف الذي هو (عليً). (3)

وكثير من المواضع تدل على اهتمام ابن جِنِّي بالسماع من الأعراب، الفصحاء الذين عاصرهم، ويستشهد بهم كما يستشهد بالمولدين^(٥) من الشعراء، رغم أنهم عاشوا خارج عصور الاحتجاج، ويأخذ عن شيوخه إمّا بالسماع المباشر، وإما بالنقل عنهم، بل ذهب إلى أن السماع أصلٌ والقياس فرعٌ عليه وأن السماع ينقضُ قياساً سابقاً بقوله: "إذا أداك القياس على شيء ما، ثم سمعت العرب نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه إلى ما هُم عليه". (١)

⁽١) ينظر: الخصائص ص 142.

⁽٢) الهيثم بن الربيع نسبه صاحب اللسان للكميت مادة (غرب) . ينظر : سمط اللائي ص 97 .

⁽٣) غراب غداف: أراد به: الشباب والشعر الأسود. ينظر الخصائص ١١/٢ ، والرواية في عجز البيت (فطيره الدهر عُنى فطارا) وهو من بحر المتقارب للكميت تبعاً لدكتور هنداوي في الخصائص.

⁽٤) ينظر: الخصائص (رواه برواية الدهر بدلاً عن الشيب) . ينظر الخصائص ١١/٢٥ .

^(°) المولدين: هم الأجانب الذين وجدوا بين العرب في الجاهلية، ثم ازداد اختلاطهم بهم في الإسلام بفعل الدين والحروب والتجارة، وأصبحوا أشد خطراً على اللغة في القرن الثاني، مما ترتب عليه عدم الاستشهاد بلغة المحضر؛ لاختلاط المولدين بالعرب آنذاك ، ينظر: المظاهر الطارئة على الفصحى، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، 1401هـ 1980م، ص 82.

⁽٦) ينظر: الخصائص بتحقيق دكتور هنداوي 1/162.

وهو يلزم آراء شيوخه البصريين فيما سُمع عن العرب لفظاً، وعدم القياس عليه وقال موضحاً علة ذلك بأن الغرض فيما تدونه من هذه الدواوين وتثبته من هذه القوانين إنما هو ليلحق من ليس بأهل اللغة بأهلها، ويستوي من ليس بفصيح ومن هو فصيح ، فإذا ورد السماع أنه كان متأثراً ... يبقى غرضٌ مطلوبٌ وعُدِل عن القياس إلى السماع(١).

والسماع فيما أصطلح عليه هو: الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن النّاطق بها، وهو الطريق الوحيد الذي جُمعت به اللغة، فروى الكسائي عن الخليل حينما سأله من أين أخذت علمك هذا؟ أجابه من بوادي الحجاز ونجد وتهامة. (٢)، ومثله كثيرون تمسكوا بالسماع. (٣)

لما رأى العلماء الذين التزموا السماع في جمع مادتهم اللغوية وجدوا أن العربي قد ينطق بما يُخالف القياس، فوضعوا أسساً التزموها في السماع كتحديدهم القبائل التي يُؤخذ عنها، وذلك مثل قول أبي زيدٍ الأنصاري^(٤): "لستُ أقول: قالت العرب إلا إذا سمعته من هؤلاء: بكر بن هوازن، وبني كلاب، وبني هلال أو من عالية السافلة أو سافلة العالية". (٥)

⁽١) ينظر: الخصائص ١٥٦/١.

⁽٢) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢٥٨/٢ ، ومعجم الأدباء: ١٦٨/٣.

⁽٣) منهم: أبوعمرو بن العلاء ، والأصمعي في الخصائص: ٣/١٥٧ - 158 ، ينظر الخصائص (فهرس أعلام العلماء)، ١٧٠/٣.

⁽٤) هو سعيد بن ثابت بن حرام بن محمود بن رفاعة بن الأحمر بن القيطون، يُكني أبازيد روى القراءة عن أبي عمرو ابن العلاء، له النوادر في اللغة ، توفى 215ه-830م. ترجمته إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/٠٣-35، والبلغة في تاريخ أئمة اللغة ص 84 ، وينظر غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين محمد بن الجزري ، المتوفى سنة 838ه ، عني بنشره براجستراسر ، مطبعة الخانجي، مصر ، 1351هـ- 1932م ، ص ٢/٢٣/، وينظر إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين ، لعبدالباقي عبدالمجيد اليماني، المتوفى 743هـ ، تحقيق دكتور عبدالمجيد دياب ، ط 1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، 1406هـ – 1986م ، ص 128.

^(°) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب وآدابها ، لمحمد حسين آل يس مطبعة عيسى البابي الحلبي ، دار النهضة العربية 1382هـ -1961م ص 242.

عندما كثر اختلاط العرب بالأعاجم اتجهوا إلى وجه آخر من وجوه الرّواية وهو النقل، وقد اعتمده سيبويه أساسِاً للسماع. (١)

وقد عرفه ابن الأنباري بأنه: هو (الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الفصيح ، الخارج عن حد القلة إلى الكثرة). (٢)

وما نقلوه بالرواية: القرآن الكريم، والحديث الشريف وما سمعه النُحاة من الرواة الأعراب الذين كانوا يفدون إلى البصرة، وما جمعوه من مشافهة الأعراب لتسجيل أنماط مختلفة من كلامهم شعراً أو نثراً. (٣)

لم يعترض أحد متقدمي النحاة أو متأخريهم (٤) على عدّ القرآن الكريم أعلى النصوص العربية لاستخلاص قواعدهم، إلا أنهم اختلفوا في مسألة القراءات وبخاصة ما عدوه منها شاذاً، وذلك بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد عثمان بن عفان وعندما صار إقراء القرآن موكلاً إلى المسلمين الذين حفظوه ما استطاعوا ضبطاً وأداءً حتى أخذ أهل كل بلد يُغلّبون قراءتهم على غيرهم، حتى خيف اختلافهم في القرآن؛ مما حدا بهم لجعل مصحف موحد بالأمصار، وتوحيد قراءة القرآن بمصحف المدينة. (٥)

اختلف النُحاة في القراءات في مرحلة نُضج المنهج النحوي، فاختلفوا في اعتمادها، فعاب جماعة منهم عاصم (٦) ، وحمزة (٧) ، وابن عامر (٨) قراءات بعيدة في العربية ونسبوها إلى اللحن. (٩)

⁽۱) ينظر: الكتاب ۲۹۰/۱، ۲۲۷/۲.

⁽٢) ينظر قول السيوطي في الاقتراح ، دار المعارف، سوريا، بدون تاريخ، ص 40.

⁽٣) ينظر: الفكر النحوي عند العرب، أصوله ومناهجه ص 176.

⁽٤) ينظر: معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء بتحقيق أحمد يوسف تجاني، ومجدي النجار، ط2، قوله: (الكتاب أعرب وأقوي في الحُجَّة من الشعر) ٢/١.

^(°) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني بتحقيق علي النجدي ، القاهرة 1386هـ-1955م، المقدمة ص 11-12.

⁽٦) هو عاصم بن بهدلة أبوالنجود شيخ الإقراء بالكوفة ، وأحد القراء السبعة ، جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد ، توفى في سنة 127هـ ، وقيل سنة 128هـ . ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء ١٢٧/١-128 .

⁽٧) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام الحبر أبوعمارة الكوفي، التميمي أحد القراء السبعة، توفى 154- 156ه، ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء ٢٦١/١.

⁽٨) هو: عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبدالله بن عمران اليحصبي بن دهمان بن عامر، إمام أهل الكوفة في القراءة، انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، توفى بدمشق في يوم عاشوراء سنة 118هـ، ترجمته غاية النهاية في طبقات القراء ٢٣٧١ع- 425.

⁽٩) ينظر: الاقتراح ، للسيوطي ، ص 14.

وقد تصدى جمهور النحاة إلى هؤلاء وأخذوا عليهم مذهبهم، وكانوا يتأولون بهذه القراءات وجهاً من وجوه العربية؛ لأنهم يرون أنها أعلى مراتب المصادر التي يستخلصون منها الأصول النحوية وإن كانت القراءات مما يُعارض الأصول الموضوعة أو مما جاء في صحيح الشعر. (١)

كان ابن جِنِّي من أوائل الذين تصدّوا للدفاع عن الأخذ بالقراءة الشاذة، وتجرد للاشتغال بها بأدواته في البحث اللغوي، ومهاراته في التأويل، وكان كتابه (المحتسب) وهو آخر مصنفاته - ثمرة طيبة لهذا الجهد العقلي، واتخذ التأويل عند ابن جِنِّى مسارين هما:

الأول: يتجه نحو تفسير المفردة أو التراكيب على نحو ينفي عنها شائبة اللحن، ويسمح لها بالدخول تحت مظلة العرف اللغوي المقبول.

والثاني: يتجه نحو تعليل أو توجيه النُقول الفصيحة التي يخلُ افتقارها إلى تواتر الرواية وتعوزُها مزية الشيوع ليجد لها توجيهاً يُسوغ مخالفتها للمألوف وللمطرد الشائع ، وغالباً ما ينحصر هذا الجهد في ميدان القراءات القرآنية التي شُغل بها ابن جِنّي وصرف فيها ولها قدراً كبيراً من العناية. (٢)

وقد ذهب في إعراب ما انفرد به من حروفه مذهباً من مذاهب العربية، لا يُدفع وقصد من القياس وجهاً لا يُمنع، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار. (٣)

القياس: هو مصدر قايس الشيء أو قدره، والمقياس: المقدار، يقال: قَيّس رُمحٍ وقيّس أصبع أي قدرُه. (٤) .

⁽١) ينظر: الدرس النحوي في بغداد ، دكتور مهدي المخزومي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق ط1، 1995هـ – 1974م، ص 63 ، والفكر النحوي عند العرب ، ص 177–178.

⁽٢) ينظر: المحتسب ١٤٥/١ ، وينظر النشر في القراءات العشر لمحمد بن محمد الدمشقي ، ابن الجزري، صححه : علي محمد الصبار ، مصر ، بدون تاريخ ، ص 15 – 16.

⁽٣) ينظر: القراءة الشاذة (تعريفها وأنواعها) في دفاع السمين الحلبي عن القراءات المتواترة ضد المعترضين من النحاة، ص28، وينظر إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، 1417هـ 1996م، وينظر مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد التاسع والأربعون، مجلس النشر العلمي، بجامعة الكويت، 1423هـ 2002م، ص 93 - 96.

⁽٤) ينظر: لسان العرب مادة (قيس).

المبحث الثاني

موقف ابن جنى من القياس

القياس في الاصطلاح العلمي: هو (حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه) (۱) ، أي أنك إذا تابعت سمعت كلام العرب في الأبنية والإعراب - وإن لم تسمع ذلك - كان كلامك من كلامهم لأنه جاء على ما سمعته ، هذا هو القياس ، وقد بين ابن جني فائدته بقوله : (إنك تحمل ما لم تسمعه عنهم على ما سمعته وذلك كأن يُحتاج إلى تكسير (۲) (رجز) الذي هو (العذاب) فكنت قائلاً (۱): (أرجازاً) قياساً على (أحمال) وإن لم تسمع أرجازاً.

وابن جِنِّي يرى أن فيه تخفيفاً عن الناس في تعلم العربية، بقوله: ومنه ما وجدوه يُتدارك بالقياس وتخفف الكلفة -في تعلمه- عن الناس ففننّوه وفصلّوهُ. (٤)

ويُعد استخدام القياس من الأُسُسَ المنهجية في دراسة اللغة، وقد أخذ به النحويون (بصريون وكوفيون) ، غير أنهم اختلفوا في كثرة الأخذ به والاعتماد عليه، إذ كان البصريون أكثر ميلاً من سواهم إلى استخدامه في تقعيد قواعدهم. (٥)

ويذهب إبراهيم أنيس إلى أن القياس عند علماء القرن الأول والثاني الهجري كان يُرادُ به وضع الأحكام العامة، أما في القرن الرابع فكان يراد به مع وضع معنًى جديدٍ وهو (محاولة استنباط معنى في اللغة لم يُسمع عن العرب، قياساً على ما تكلمت به العرب. (1)

وأول من استخدم القياس في اللغة هو: عبدالله بن أبي إسحق الحضرمي الذي قيل عنه: إنه أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل. $^{(\Lambda)}$

ثم جاء اللغويون -من بعده- فوسعوا الأخذ بالقياس معتمدين على السماع والرّواية.

⁽۱) الإغراب في جدل الإعراب، لابن الأنباري،بتحقيق سعيد الأفغاني، طبعة دمشق 1377هـ -1957م،ص 45.

⁽۲) يعنى: جمع تكسير.

⁽٣) ينظر: الخصائص ، بتحقيق دكتور هنداوي ٤٢٢/١.

⁽٤) ينظر المصدر السابق ص 423.

⁽٥) ينظر: الدراسات اللغوية عند العرب ، لمحمد حسين آل يس، ط 3 ، ص 343.

⁽٦) ينظر دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس، دار النهضة العربية، طبعة ١٢٧٩هـ - 1958م ، ص 134-135.

⁽٧) هو عبدالله بن زيد بن أبي إسحق الحضرمي ، أبوبحر ، من أئمة القراءات والعربية، توفى 127هـ ترجمته : بغية الوعاة ٢/٢٤.

⁽٨) ينظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، شرجه أبوفهر محمود محمد شاطر، ط ٤، دار المعارف للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، السفر الأول ص 14 .

وقد كان ابن جِنِّي مدركاً لأهمية القياس، كثير الأخذ به، يتأوله إذ يقول: "ولا تُسرع إلى إعطاء اليد بانتفاض بابه والقياس القياس" (۱) ، بل كان أساساً بني عليه ابن جِنِّي آراءه النحوية، وقد صرح في عرضه لهذا المبدأ أنه قد نص عليه قبله المازني في التصريف وأقر أن الخليل وسيبويه كانا يقولان: ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم وما لم يكن من كلام العرب فليس له معنى في كلامهم. (۲)

أجاز ابن جِنِّي القياس في صياغة ألفاظ لم ترد عن العرب كأسماء الفاعلين وأسماء المفعُولين؛وذلك أننا لم نسمعها كلها بل سمعنا البعض فقسنا عليها غيرها(٣)

كما مد ابن جِنِّي القياس؛ ليشمل النثر والشعر وهو يُجيز للشاعر أن يأتي بكل الاستعمالات الواردة فيما يُسمى ب(ضرائر الشعر) بقوله: "واعلم أن الشاعر إذا اضطرر جاز له أن ينطق بما يُبيُحُه القياس، وإن لم يرد به سماع". (٤)

لكنه لم يُطلقُ العنان للقائس ليقول ما يشاء، بل وضعت له ضوابط نذكر منها ما ورد في بابين من الخصائص هما: (باب من تعارُض السماع والقياس)، و (باب في امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس). (٥)

وكثيراً مما اعتمده البصريون في باب (الضرورة) ذهب بعض الكوفيين إلى أنه سائغ في السعة، كما أن البصريين أنفسهم اختلفوا في ذلك فكان المبرد أشدَّهم في هذا الباب.

وأجاز سيبويه وجمهور البصريين حذف لام الأمر في الضرورة، واستشهدوا بقول مُتمّم بن نويرة (٢):

⁽١) ينظر: الخصائص ٢٢٣/٢.

 ⁽۲) ينظر: شرح تصريف المازني (المنصف) ، لابن جني دار الكتب العلمية بيروت، 1421هـ - 1999م ،
 ۲۰/۱.

⁽٣) ينظر: الخصائص، ٢٧/١

⁽٤) ينظر الخصائص: ٥٥١، ٣٥٨، 365، 367، 369.

⁽٥) المصدر السابق 386-392 ، والكتاب ٨/٣-9.

⁽٦) هومتمم بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبيد بن تغلبة بن يربوع من أصحاب المراثي ترجمته في طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجُمحي، السفر الثاني ص 204.

على مِثلِ أصحابِ البَعوضةِ فاخْمُشي * لكِ الويلُ حُرّ الوجهِ أو يبكِ من بكى يربدُ: أو ليبك من بكى.

وذهب جمهورُهم إلى أن (لام الأمر) أعملت في الضرورة (مضمرة) ، كما تعمل (أن) الناصبة وهي مضمرة ، إلا أن المبرد خالفهم بأنه لا يرى ذلك على ما قالوا؛ لأن عوامل الأفعال لا تضمر ، وأضعفها الجازمة، لأن الجزم في الأفعال نظير الخفض في الأسماء ولكن بيت (مُتمم) حُمل على المعنى؛ لأنه قال: فاخمشي فهو موضع (فاتخمش) فعُطف الثاني على المعنى. (١)

ولكن ابن جِنِّي يقول في هذا الباب: ويدلُّك على أن الفصيح من العرب قد يتكلم باللغة غيرها أقوى في القياس عنده منها ما حدثنا به أبوعلي -رحمه الله-قال:عن أبي بكر (٢) عن أبي العباس أن أباعمارة (٣) كان يقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَا النَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ قال المبرد (٥): فقلت له: ما تريد؟ قال: أردتُ (سابقُ النهار) فقلت له فهلا قُلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن (١)

وقد عقب ابن جِنِي على هذا الخبر بقوله: بأن لنا في هذه الحكاية ثلاثة أغراض مستنبطة منها.

أحدها: تصحيح قولنا: إن أصل كذا كذا ، والثاني: إنها فعلت كذا لكذا ألا تراه إنما طلب الخفة يدلُ عليه قوله: (لكان أوزن) أي: أثقل في النفس وأقوى، من قولهم: (هذا درهمٌ وازنٌ) ، والثالث: أنها قد تنطقُ بالشيء غيره في نفسها أقوى منه لإيثارها التخفيف. (٧)

⁽۱) ينظر المقتضب، لأبي العباس المبرد، دار الكتب العلمية بيروت (باب الأمر والنهى) ٤٢٤/٢، وينظر مسائل خلافية في النحو ، لأبي البقاء العكبري ، تحقيق وتقديم دكتور محمد خير الحلواني، ط٢، منشورات دار المأمون للتراث ، دمشق ، بدون تاريخ ، ص ١١٦-١١٧.

⁽٢) هو محمد السري البغدادي النحوي أبوبكر السراج لغوي ونحوي صاحب أصول النحو المتوفى 316هـ.

⁽٣) أبوعمارة نفسه هو حمزة بن حبيب.

⁽٤) الآية ٤٠ من سورة يس.

⁽٥) ينظر: الخصائص ٢٦٣/١.

⁽٦) المصدر السابق: ٢٤٨/٢.

⁽٧) انظر: الخصائص بتحقيق عبدالحميد هنداوي ، ٢٦٣/١.

وهذا يدلُّ على أنهم لا يتكلمون بما عندهم أقوى؛ لاستخفافهم الأضعف ولولا، ذلك لكان الأقوى أقيس وأخفّ عندهُم.

ونقل ابن جِنِّي فيما حكاه عن تفسير هذه الظاهرة قول أبي على: إنما دخل هذا النحو في كلامهم لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها، وإنما تهجمُ بهم طباعُهم على ما ينطقون به، فربما استهواهم الشيءُ فزاغوا به عن القصد.

وقد تناول ابن حِنِّي نوعاً من القياس لا يقومُ بتجريد القواعد، إنما مدارُه على الاجتهاد في ربط الظواهر النحوية، التي تثبت بالاستقراء بعضها ببعض، في قوانين عامة أو ما يُشبه القوانين وهذا النوع يُسمى:

القياس التفسيري^(۱): وهم في ذلك لا يتنكرون لواقع اللغة، وإنما يبدأون من هذا الواقع، لينفذوا إلى ما وراءه من الضوابط والقوانين التي تحكمُه، وأمثلتُه في كلامهم كثير... فهم يعملون فيه على هُدى وتصوّر، لا يتناولونه بتحديد جامع، وإنما تقع الإشارة إليه في ثنايا كلامهم، إلا أن أباالفتح قد تناوله تناولاً جامعاً وذلك في أبواب مختلفة من الخصائص^(۱)، وقد نص على هذا المعنى الجامع الذي ينتظمُ صور هذا الضرب من القياس في قوله: "اعلم أن العرب تُؤثر من التجائس والتشابه، وحمل الفرع على الأصل^(١) ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن لأنه منها على أقوى بال...". (٥)

ومما يتصلُ بوجهٍ من وجُوه القياس بسببٍ وثيقٍ ما يُسمى بالتخريج، أو التوجيه وما يقرُب من ذلك وقوامه الاجتهاد في إلحاق لفظ غامض الأصل بالأصل الذي

⁽١) ينظر: الخصائص (باب أغلاط العرب)، ٤٧٤/٢.

⁽٢) ينظر: الخصائص (باب في التفسير على المعنى دون اللفظ) ، ص 463-465.

⁽٣) ينظر: الخصائص بتحقيق عبدالحميد هنداوي ١/٢.

⁽٤) لمّا هداهم الاستقراء في واقع اللغة أن الإعراب غير مقصور على الأسماء بذاتها فحسب، إنما يوجد في ضرب من الأفعال (المضارع) فذهبوا إلى أن الإعراب فيه فرع. ينظر: القياس في النحو لمنى الياس، ط1 ، دار الفكر دمشق، 1405هـ 1985م ، ص 33.

⁽٥) ينظر: الخصائص ٢/٦٦-316.

تهدى إليه الأقيسة المستنبطة من كلامهم، أو تأويل وجه من وجوه الإعراب، أو تفسير ظاهرة من الظواهر على هدى تلك القوانين. (١)

وما اختص به ابن جِنِّي في هذا الباب: أن تحمل على ما له نظيرٌ أولى من أن تحمل على ما ليس له نظيرٌ. (٢)

من ذلك ما قاله الكوفيون: إن الأسماء الستة معربة من مكانين، ورد ابن الأنباري عليهم انتصاراً لقول البصريين بأنها معربة من مكان واحدٍ. (٣)

قال: والذي يدلُ على صحة ما ذهبنا إليه فساد ما ذهبوا إليه، أن ما ذهبنا إليه له نظيرٌ في كلام العرب، فإن كل معربٍ في كلامهم ليس له إعرابٌ واحد، وما ذهبوا إليه لا نظير له في كلامهم، فإنه ليس في كلامهم معربٌ له إعرابان... والمصير إلى ما له نظيرٌ أولى من المصير إلى ما ليس له نظيرٌ. (٤)

وقد عقد ابن جِنِّي باباً في الخصائص نص فيه بقوله: "أما إذا دلّ الدليل فإنه لا يجب إيجاد النظير وذلك مذهب الكتاب فإنه حكي فيما جاء على (إفعل): (إبل) وحدها، ولم يمنع الحكم بها عنده -وإن لم يكن لها نظير - لأن إيجاد النظير بعد قيام الدليل إنما هو للأنسب له لا للحاجة إليه، فأما إن لم يقم دليلٌ فإنك تحتاج إلى إيجاد النظير. (٥)

وقد خالف ابن جِنِّي البصريين في هذا.

ومن أقيسة ابن جِنِي ما أسماه: الحمل على أحسن القبيحين^(٦)، وعقد له باباً في الخصائص قال فيه: "اعلم أن هذا من مواضع الضرورة المميلة وذلك أن يحضرك الحال ضرورتين لابد من ارتكاب إحداهما، فينبغي حينئذ أن تحمل الأمر على أقربهما وأقلهما فحشاً، وذلك مثل قولك (ما قام إلا زيداً أحدً) عدلت إلى

⁽١) ينظر: القياس في النحو ، ص 93.

⁽٢) ينظر: الخصائص: ١٢٢/١١، 265، 267.

⁽٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين مسألة(1) ص 20-21.

⁽٤) المصدر السابق نفسه ، وينظر الأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي، بمراجعة فايز ترحيني، دار الكتاب العربي ، 1404ه - 1984م ، ١٨٠/١.

⁽٥) ينظر: الخصائص: ١/١٩٧، الأشباه والنظائر ١/١٨١.

⁽٦) ينظر: الخصائص ٢٣٤/١.

النصب؛ لأنك إن رفعت لم تجد قبله ما تبدله منه، وإن نصبت دخلت تحت تقديم المستثنى على ما استُثنى منه. هذا وإن كان ليس في قوة تأخيره عنه، فقد جاء على كل حال، فاعرف ذلك أصلاً في العربية تحمل عليه غيره). (١)

ربما كان هذا الصنيع من باب التوجيه والتأويل، فلم يكُن عجباً أن تختلف أقوال النحويين فيه ، نحو ما ذهب إليه سيبويه في توجيه بعض الآيات القرآنية (٢) وما واجهه من ردٍ من ابن هشام الأنصاري والمبرد. (٣)

وقول ابن هشام في قراءة: ﴿ الزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَأَجْلِدُوا ﴾ (٤): "قد قرأت القراء الآية بالنصب على وجه الأمر، والوجه الرفع، والنصب أحسن فيها ما لم يكن فيه معنى الجزاء فالنصب الوجه". (٥)

وقول أبي الفتح: إنه منصوب بفعل مضمر فسره بقوله (فاجلدوا كل...)، وتبعه العكبري. (٦)

وابن جِنِّي على شدة ولعه بالقياس نجده يؤكد حقيقة لغويةً مهمةً وهي: أن اللغة لا يمكن أن تؤخذ كلها بالقياس، بقوله: "ومعاذ الله أن ندعى أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً، لكن ما أمكن ذلك فيه قلنا به ونبهنا عليه". (٧)

⁽١) ينظر: الخصائص ١/٢٣٤.

⁽٢)الآييات: 2 من النور ﴿ الزَانِيَةُ وَالزَانِي فَأَجْلِدُوا كُلَّ وَجِدِ مِنْهُمَا مِأَنَّهَ جَلَدَّوْ فَلا تَأْخُذُكُم بِهِمَا رَأَفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ إِن كُنتُم تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلِيشَهَدْ عَذَابَهُمَا طَآمِنَةٌ مِنَ اللّهُ عَنِينًا عَلَيْ مُنَا لَمُنْ مِنْ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيدٌ ﴾ طَآبِهَةٌ مِنَ الشُوْمِينِينَ ﴾ ، 38من المائدة ﴿ وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقْطَعُمُواْ أَيْدِيهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكُلًا مِن اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيدٌ ﴾

⁽٣) ينظر الكتاب 1/1-72، ومعاني القرآن للفراء ٢٤٢/٢-٣٠٦/، والكامل في الأدب لابي العباس المبرد ، بتحقيق دكتور محمد أحمد الداني ، ط 3، 1418هـ - 1997م: ٢٤١/٢.

⁽٤) الآية 2 من سورة النُور ينظر المحتسب: ١٤٣/٢ - 144.

⁽٥) ينظر: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري ١٦٥/١- 2/391-392.

⁽٦) ينظر: إملاء ما من بن الرحمن، في القراءات وإعراب جميع القرآن ، لأبي البقاء العكبري ، ط 1، القاهرة، 1399هـ – 1979م ، ١٥٣/2 .

⁽٧) ينظر: الخصائص ٤٣٢/2.

فإذا تعارض السماع والقياس فإن ابن جِنِّي ينُص على أن يُلزم المسموع ويترك القياس في ذلك، لكنه لم يجعل القياس المخالف للمسموع عديم الفائدة؛ وإنما جعله ذخيرةً لغويةً للمحدثين إذا أحتيج إليه في شعرٍ أو سجعٍ إذ هو من كلام العرب مادام على قياس كلامهم لقول ابن جني: "فإن صح عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت كنت على ما أجمعوا عليه البتة، وأعددت ما كان قياسك مؤداه لشاعرٍ مولدٍ أو ساجعٍ أو لضرورة لأنه على قياس كلامهم". (١)

اتبع ابن جِنِّي طريقاً وسطاً ، وسلوكاً متوازناً ومعتدلاً بإفساحه لمجال القياس في النثر والشعر من جهةٍ وضبطه لحدوده من جهةٍ أخرى يسوقه فيه منهج القياس، وتقوده ثقافته الواسعة على نصوص العربية الصحيحة، وحذقه لأساليب العرب في استخدامها، علاوةً على صلته بالمصادر الحية للغة كصلته بأبي عبدالله الشجري (٢) ، وغيره من الأعراب الفصحاء.

وترى الباحثة أن ابن جِنِّي قد كانت له يدٌ طولي، وفضلُ سبقٍ على اللغة في إثرائها وزيادة مفرداتها وأوزانها من خلال ما اتبعه من أقيسة ابتدعها ، ولم يسبقه إليها أحدُ فكان من فوائدها:

أولاً: الوصول إلى الفعل أو المصدر إذا لم يذكر في المعاجم قياساً على مثيله. ثانياً: اشتقاق أوزان جديدة لم تذكر قياساً على أوزان سمعت عن العرب، وبذلك يمكن اعتماد المولد، والدخيل، وعده عربياً، وإدراجه في المعاجم العربية مادام جارياً على الصيغة العربية. (٣)

ثالثاً: يمكن أن نعرف طريقة وضع العرب لغتهم، اعتماداً على أصوات الكلمة (حروفها).

وقد تناول أبوعلي وابن جِنِّي القياس على الشاذ على نحوٍ أصولي، محيطين بأطرافه، فكان أبوعلي الفارسي متّبعاً كلام شيخه أبي بكر السراج في ذلك، ثم تبعه

⁽١) ينظر: الخصائص ١٦٢/١.

⁽٢) هو: عبدالله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسيني أبوالسعادات، ولد سنة 450هـ، صنف الأمالي في اللغة، توفى سنة 542هـ ترجمته بُغية الوعاة: ٢٠٧/٢٠.

⁽٣) ينظر: الاشتقاق الكبير، لابن جني الخصائص ١/٩٠٠.

تلميذه وبسط هذا أبوعلي في (المسائل العسكريات) وجعل الشاذ أقسامه ثلاثة (١) بالنظر إلى السماع.

ولم يقتصر ابن جِنِّي على هذه الثلاثة بل أضاف قسماً رابعاً متناولاً أضرب الكلام جميعاً لا الشاذ وحده وهو: المطرد في القياس والاستعمال وهو كما يقول: الغاية المطلوبة والمثابة المنوبة. (٢)

وهو بذلك الاجتهاد استطاع أن ينفذ إلى أعماق اللغة وخفاياها؛ بحثاً عن وشائج مناسبة؛ للمّ ما تفرق من استخدامات، وجمع الشتات مما جاوز حدود المجمع عليه ليضوى ذلك كله؛ تحت خيمة الفصيح(٣) المطرد ، وقوانينه المتعارف عليها .

⁽۱) أقسام الشاذ الثلاثة في القياس هي: أ- المطرد في القياس الشاذ في الاستعمال ومثله ماضي يذر، ويدع لاستغنائهم عن المضارع بـ(ترك). ب- المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس ومثله بقاء الواو في استنوق الجمل، واستصوبت الأمر. ج- الشاذ في القياس والاستعمال جميعاً ومثله مصوون. ينظر الخصائص: ١٣٧/١ والاقتراح 20-21 ، والمسائل العسكريات محققة في كتاب القياس في النحو لمنى الياس ، لوح 4/2 ، والمزهر في علوم اللغة وآدابها: ٢/٢٤.

⁽٢) ينظر الخصائص: ١٣٨/١.

⁽٣) تعريف الفصاحة في اللغة هي: الإبانة والظهور وهي في المفرد خلوصه من تنافر الحروف، وتنافر الكلمات مع فصاحتها، وفي المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير المقصود بلفظ فصيح. ينظر: التعريفات للسيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين الجرجاني الحنفي المتوفى 816ه، وضع حواشيه محمد باسل عيون السُّود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ- 2003م.

المطلب الثالث: رأي ابن جني في نظرية العامل

إن فكرة العامل في النحو هي العمود الفقري الذي تدورُ حوله كثيرٌ من أبحاثه، وإذا كانت أهميتها تعودُ إلى ارتباطها بصلب النحو فإن سيطرتها على تفكير النحاة لم تكن أقوى من سواها، والخلاصة أن هذه الفكرة ذات أهمية أساسية في موضوعات النحو، لكنها ليست أقوى الأفكار التي سيطرت على تفكيرهم.

عدّ النحاة العامل شخصية لها اعتبارات ملزمة، ووضعوا هذه الاعتبارات في قوانين هي فلسفة العامل والعمل، ومن ذلك: أن بعض العوامل أصل كالأفعال وبعضها فرع كالأسماء والحروف، ومن ذلك أن بعض العوامل أقوي من غيره ومنها: أن الاختصاص موجبٌ للعمل(١)، ولهم الكثير من الآراء فيما نقله عنهم السيوطي.

وهذه القواعد قد أدت إلى كثيرٍ من الجدل؛ لأنها غير مطردة في نظر الباحثين والدارسين، فكلٌ يتناولها من زاوية تبعاً لظروف دراسته، فيختلف قوة وضعفاً باختلاف نوع الدراسة وظروف الباحث. فتصوره للعامل يتلخص في:

أولاً: تأثير العامل حقيقة، لأنه سببٌ وعلةٌ للعمل وهذا مشهورٌ وشائعٌ في كتب النحو، ويوضح ذلك ما يقوله الصبان^(٦) تعليقاً على ما نقله الأشموني^(١) عن شرح التسهيل من أن: (الإعراب ما جئ به لبيان مقتضى العامل، فالعامل كـ(جاء ورأى، والمقتضى الفاعلية والمفعولية والإضافة، والإعراب الذي يُبين هذا المقتضى الرفع والنصب والجر، فهذا المقتضى يقتضى اطراد الثلاثة). (٥)

⁽١) ينظر: أصول النحو العربي في نظر النحاة، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، 1399هـ 1978م ص 225.

⁽٢) ينظر: الأشباه والنظائر في (باب الحروف العاملة وغير العاملة)، ص 19-21.

⁽٣) هو الشيخ محمد بن علي الصبان الشافع أبوالعرفان ولد بمصر حفظ القرآن والمتون، ودرس العلوم العقلية والنقلية، له مصنفات وحواشٍ، توفى 1206هـ - ترجمته في: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٢/349.

⁽٤) هو علي بن محمد بن عيسى بن يوسف بن محمد النور ، أبوالحسن بن الشمس بن الشرق الأشموني ولد 838ه وتوفى 908ه ترجمته بغية الوعاة ٣٨٤/2.

^(°) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ضبط وتصحيح إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية، بيروت،طبعة 1417هـ – 1997م، ص 72.

ثانياً: العامل أمارةً وعلامةً، وذلك ما قاله ابن الأنباري: "العوامل اللفظية ليست مؤثرة في المعمول حقيقة، وإنما هي أمارات وعلامات وذلك بالإجماع فقد تكون العلامة بعدم الشيء كما تكون بوجود شيء ... وإذا ثبت هذا جاز أن يكون التعري من العوامل عاملاً (١).

ثالثاً: ما أطلق عليه (العامل) لا عمل له، ولكن وجوده ضروري للتمهيد للعامل الحقيقي والعامل الحقيقي هو المتكلم. (٢)

وقد وضح هذا الرأي ابن حِنِّي بقوله: (ألا تراك إذا قلت: ضرب سعيدٌ جعفراً ، فإن ضرب لم تعمل في الحقيقة شيئاً وهل تُحصل من قوله (ضرب) إلا على اللفظ بالضاد والراء والباء على صورة فعل؟ فإذاً هو الصوت، والصوت مما لا يجوز أن يكون منسوباً إليه الفعل، فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره وإنما قالوا لفظي ومعنوي لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ). (٣)

وهو بذلك يُشير إلى ما يُطلق عليه: عامل لفظي وآخر معنوي وهذا ما يُصوره من قوله: "إنما العامل الحقيقي هو المتكلم" بتعدد مقتضيات حالاته تتعدد العوامل في الكلام وهذا شائعٌ مشهورٌ لدى اللغويين وعلماء النحو.

وعمل العامل هو الأثر اللفظي الذي يوجد في الكلمة من حركة وحرف أو سكون أو حذف وهذا مشهورٌ شائعٌ في النحو.

أما مقتضى العامل هو معنًى عقلي يُعرف بالقلب ليس للفظ دخلٌ فيه، وهو توارُد المعاني المختلفة على الأسماء، فالعامل يُحصّل المعاني الخفيّة في الأسماء، وهي تقتضى وضع علامات لتعرف بها تلك المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها. (٤)

وبذلك نلخص تصور النحاة للعامل، ومقتضاه في اتجاهين: (٥)

⁽۱) ينظر: أسرار العربية، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد بهجت البيطار، دمشق 1377هـ 1957م، ص 68–69.

⁽٢) ينظر: أصول النحو العربي، ص 226.

⁽٣) ينظر: الخصائص (باب في مقاييس العربية) ويقصد أن الوحدات اللغوية داخل التراكيب هي التي يعمل بعضها ١٩٩/١.

⁽٤) ينظر: أصول النحو العربي ص 227.

^(°) ينظر: الرد على النحاة، لأحمد بن عبدالرحمن بن مضاء القرطبي تحقيق دكتور شوقي ضيف، القاهرة 1386هـ - 1947م، ص 87.

الأول: وهو شائعٌ مشهورٌ: إن العوامل مؤثرة حقيقةً وإن أثرها تلك الحركات والحروف والسكنات. (١)

الثاني: لم يصل في الشهرة إلى حد الأول، بل هو أفكارٌ مبعثرةٌ هنا وهناك، وقد ضُمّنت فيها قضية العامل والعمل، وهو ما ساقهُ ابن جِنِّي إلى أن المتكلم هو العامل الحقيقي، وأما قول ابن مضاء: إن الألفاظ يحدث بعضُها بعضاً، فباطلٌ عقلاً وشرعاً لا يقول به أحدٌ من العقلاء ،لمعان يطولُ ذكرُها فيما القصد إيجازُهُ.(٢)

وكان ردُّ ابن مضاء (٣) على ابن جِنِّي في قوله: "للمتكلم لا لشيءٍ غيره" ، وأما مذهب الحق إن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله -تعالى- وإنما تُنسب إلى الإنسان كما ينسبُ إليه سائر أفعاله الاختيارية. (٤)

إن فكرة التأثير والتأثر التي قام عليها العامل في النحو العربي موجودة في منطق أرسطو، ففي كتابة المُسمى (قاطيغورياس) ومعناه (المقولات) وهي: عشرة: (المقولة التاسعة: وهي مقولة ينفعل، والانفعال هو قبول أثر المؤثر، والمقولة العاشرة: وهي مقولة يفعل وهي التأثير في الشيء الذي يقبل الأثر مثل التسخين والتسخن والقطع والانقطاع^(٥)، فإذا أضيف إلى ذلك أن العرب قد عرفوا المنطق في وقتٍ مبكرٍ وأغرموا به، وأن العقلية العلمية يؤثر في بحثها ولو بطريق غير مباشر – الجو الفكري العام الذي يحيطُ بها، اتضحت بداية الطريق في فكرة العامل النحوي، إذ تركت الفكرة المنطقية ظلالها على عقول الباحثين من علماء النحو الذين نقلوها بدورهم – إلى دراساتهم (٢) ، ومنهم ابن السراج وابن الرُمَّاني (١) الذي كان يمزج النحو بالمنطق –فيما نقله المتقدمون – حتى رُوي عن أبي على الفارسي أنه قال: "إن

⁽١) ينظر: أصول النحو العربي ص 225-226.

⁽٢) ينظر: الرد على النجاة ص 87.

⁽٣) هو أحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن سعيد اللخمي الجياني أبوجعفر القرطبي ، ولد بقرطبة 1119هـ وتوفى بأشبيلية 1156هـ ترجمته بغية الوعاة: بتحقيق دكتور . محمد الأحمدي أبوالنور ، مطبعة دار التراث العربي، القاهرة د .ت ١/١٣٩ ، وينظر الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي ، القاهرة ، 1405هـ – 1984م ، ص 208–211.

⁽٤) ينظر: الرد على النحاة ص 86-87.

⁽٥) ينظر: أصول النحو العربي ص 239.

⁽٦) ينظر: المصدر السابق ص 240.

⁽۷) مرت ترجمته ص 36.

كان النحو ما قاله الرماني فليس معنا منه شيء، وإن كان ما نقوله نحنُ فليس معه منه شيءٌ". (١)

ويؤكد هذا ما ساقه صاحبه أبوحيان التوحيدي على أنه كان عالي الرتبة في النحو واللغة والكلام والعروض والمنطق، وعقب بعد ذكر المنطق بأنه كان له منحًى خاص غير منحى أصحاب هذا العلم، لأنه لم يسلك طريق واضع المنطق، بل أفرد صناعة وأظهر براعة. (٢)

وأورد الشيخ عبدالقاهر الجرجاني -رحمه الله- أن نظرية العامل تمتد جذورُها عند الشيوخ الأوائل وهي في كتاب سيبويه (٢) فقد جاءت عند حديثه في (باب مجارى أواخر الكلم من العربية وقوله: "وهي تجرى على ثمانية مجارٍ ... وإنما ذكرتُ لك ثمانية مجارٍ لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل وليس شيءٌ فيها إلا وهو يزول عنه وبين ما يُبني عليه الحرف بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عاملٍ منها ضربٌ من اللفظ في الحرف وذلك الحرف هو حرف الإعراب". (٤)

وتوصل الخليل إلى أهمية نظرية العامل وأنها لا تقتصر على تفسير ظاهرة التصرف الإعرابي في بعض الألفاظ، إنما تمتد إلى التفسير الشامل، والتحديد لمواقع عناصر العبارة بعضها من بعض، وكثير بما يجوز أو لا يجوز من صور التقديم والتأخير، في نسق العبارة، والفوارق المعنوية الدقيقة في مختلف الأساليب التي تُصاغ عليها العبارات. (٥)

⁽۱) ينظر: الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي بتحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، ، منشورات دار مكتبة الحياة ، القاهرة 1339هـ -1918م، ۱٤٩/٨.

⁽٢) ينظر: البصائر والذخائر لأبي حيان، تحقيق أحمد أمين وأحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة 1374هـ - 1953م، ١٧٠/١.

⁽٣) ينظر: الكتاب ، بتحقيق عبدالسلام محمد هرون، ط 1 ، دار الجيل بيروت، ١٣/١-23.

⁽٤) ينظر: المصدر السابق ٢/٢٤، وينظر العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، للشيخ الإمام عبدالقاهر الجرجاني المتوفى 471ه، شرح الشيخ خالد الأزهري الجرجاوي، المتوفى 905ه تحقيق وتعليق دكتور البدراوي زهران، ط 2، دار المعارف، القاهرة، ص 5.

⁽٥) ينظر: القياس في النحو، أصوله، ومناهجه، لمنى الياس ص 229-230.

على أن اللغويين كانوا قد أسرفوا على أنفسهم في كل ما ترتب على نظرية العالم من افتراضات وتقديرات، وتأويلات، وأدخلوا مناهج العلوم الأخرى، خاصة مناهج المتكلمين، والأصوليين وغيرهم. (١)

وقد أشار ابن جِنِّي في خصائصه إلى كثيرٍ من ذلك مثل: (باب في عدم النظير) (۲) ، و (باب في إصلاح اللفظ) (۳) ، و (باب من غلبة الفروع على الأصول) (غ) ، (وباب في تركيب اللغات وهو تداخل اللُغات) (ف) ، (وباب التفسير على المعنى دون اللفظ) (٦) ، و (باب الامتناع من نقض الغرض) (٧) ، و (باب في جمع الأشياء من حيثُ يغمض الاشتباه) (٨) ، و (باب المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول) (٩).

والحق أن العربية كانت مرنةً معه، طيّعةً لأغراضه، فقد ظلت دائبة الاستجابة لما كان يريد أن يُحمّلها من احتمالات في وجوه المعاني المختلفة، فلم تخذله، ولم تتأبّ عليه.

وقد خرج عبدالقاهر الجرجاني بتفسير جديد لنظرية العامل، ومر تفسيره هذا بمراحل:

- مرحلة كتابة العوامل: والتي أضيفت إليه -فيما بعد- صفة (عتيق) وفيها جعل العوامل مائة، ثمانية وتسعين لفظياً سماعياً ، واثنتان معنوية ، وجعل أحد

⁽١) ينظر: العوامل المئة النحوية في أصول علم العربية، ص 5-6.

⁽٢) ينظر: الخصائص: ٢٢٢/١.

⁽٣) المصدر السابق ١/٣١٧.

⁽٤) المصدر السابق ١/٣٠٦–316.

⁽٥) المصدر السابق ٢/٢٧١–380.

⁽٦) المصدر السابق ١/٦٣٤–465.

⁽V) المصدر السابق ١/٥٠٥-408

⁽٨) المصدر السابق 2/ 510- 517.

⁽٩) المصدر السابق ١٨/٢ ٥- 528.

وتسعين عاملاً لفظية سماعياً ، وسبعة قياسية، وجعل السماعية ثلاثة عشر نوعاً (١). وهذا الجمع عمل تعليمي الهدف منه التقريب والتسهيل وجمع الكثير في لفظٍ قليلٍ.

وقد قرر الجرجاني أن الأسلوب الذي أصطلح عليه بـ(النظم) ليس إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تخلُ بشيء منها. (٢)

ويقول الشيخ عبدالقاهر الجرجاني: "وفي ذلك ردٌ على الذين صدُّوا عن النحو، واتهموه بالصعوبة والكثرة ورموه بالتعقيد وقلة الفائدة"(").

- مرحلة ثانية: حيثُ جعلها: الحروف العوامل والأفعال العوامل، والأسماء العوامل، إلى آخر أبواب الجمل، ثم عاد وطوّر فكرة نظرية العامل، بعد أن تفاعل مع قضية الإعجاز ورفضها في القرآن. (٤)

- مرحلة ثالثة: التي جعل منها العوامل المائة تأثر وحدات اللغة بعضها في بعض، فقسمها إلى مؤثر ومتأثر فهناك مؤثرات لغوية، وهناك متأثرات وأخيراً الأثر وهو الحركة الإعرابية (٥)، والعامل هو المؤثر في المعمول وأثره هو تلك الحركة الإعرابية التي تظهر في آخر المعمول، وهو الذي تتغير حركة آخره تبعاً لنوع العامل أو المؤثر الداخل عليه.

⁽١) ينظر: العوامل المئة النحوية في علم العربية ص 7-8.

⁽٢) ينظر: دلائل الإعجاز للشيخ عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه أبوفهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدنى، القاهرة، 1375هـ – 1954م، ص 88.

⁽٣) ينظر: العوامل المائة النحوية ص 9.

⁽٤) لأنه لا يريد أن يؤدى بذلك إلى أن بعض آيات القرآن فيها إعجاز، بل كله.

⁽٥) ينظر: المصدر السابق بتصرف ص 10.

وهذا التقسيم الأخير تقسيمٌ محدثٌ نتيجةً لفهمٍ جديدٍ مخالفٍ في جوهره للتقسيم السابق في كتابه (العوامل المئة) الذي أطلق عليه -فيما بعد- (عوامل عتيق). (١)

استمر النحاة في أعمالهم النحوية على الأصول التي سلف التحدث عن معالمها على تفاوت بينهم في الاتساع في التعليل، والقياس مما أفضى إلى أن أقحمت في النحو أشياء لا داعي لها، ومن جراء ذلك انبعث صوت ابن مضاء القرطبي لتحرير النحو من تلك الأشياء (٢)، والأستاذ إبراهيم مصطفى (٣).

وحقيقةً ما يتسم به المعنى الوظيفي للمبني الواحد من التعدد والاحتمال يجعل الناظر في النص يسعى دائماً وراء القرائن اللفظية، والمعنوية، والحالية؛ ليرى أن المعاني المتعددة لهذا المبني هو المقصود ومن هنا نرى التفاضل بين المعربين للجملة الواحدة. (٤)

وقد جاء قديماً أن العرب تنطق بسجيتها دون التفكر في صحة الكلام، لما نقله الأستاذ إبراهيم مصطفى الذي يعودُ في كتابه (إحياء النحو) (٥) إلى آراء القدامى فيما أورده عنه الدكتور مازن المبارك بلسان قطرب(٦).

وخلاصة قوله أن العرب أعربت كلامها لأن الاسم في حالة الوقف يلزمًه السكون، فجعلوا كلامهم في الوصل محركاً؛ حتى لا يُبطئوا في الإدراج، وعاقبوا بين الحركة والسكون، وجعلوا لكل واحدٍ أليق الأحوال به، ولم يلتزموا حركة واحدة لأنهم أرادوا الاتساع. (٧)

⁽١) ينظر العوامل المائة ، لعبدالقاهر الجرجاني ، ص 10-11.

⁽٢) ينظر: القياس في النحو، لمنى الياس ص 143.

⁽٣) ينظر: كتابه: إحياء النحو دار المعارف العربية، طبعة 1424هـ -2003م.

⁽٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، لدكتور تمام حسان، ط 2 ، الهيئة المصرية للكتاب، 1399هـ- 1979م ، ص 88 ، (بتصرف).

⁽٥) ينظر: إحياء النحو، لإبراهيم مصطفى، ص 164 وما بعدها.

⁽٦) هو محمد بن المستنير ، المعروف بقطرب ، أخذ النحو عن سيبويه ، كان عالماً ثقة ، له مصنفات منها: الاشتقاق ، والأضداد ، معاني القرآن ، توفي سنة 206ه. ترجمته بغية الوعاة 1/242 ، والبلغة ص 247، إنباه الرواة ٣/٣١٦ 221.

⁽٧) ينظر: نحو وعي لغوي، دكتور مازن المبارك، مؤسسة الرسالة ، سوريا 1399هـ -1979م، ص 77.

وخلاصة قول الباحثة أن فكرة العامل من أهم المقولات النحوية التي، تُوصِّل اليها قديماً، فيما يتعلق بنظم الكلام، وهي فكرة مرتبطة بطبيعة اللغة العربية على أنها أنها لغة معربة ، والمراد بذلك تغير أواخر بعض الكلم، تبعاً لاختلاف مواقعها من العبارة والمعنى الذي تؤديه، ومقولة العامل قائمة إذن على أن التصرف الإعرابي إنما يكون باقتران لفظ بلفظ آخر أو أكثر، فجعل اللفظ الأول أو ما هو في حكمه عاملاً والألفاظ التي يلحقُها الإعراب (التغيير) معمولة.

والذين أنكروها من المحدثين لم يستطيعوا أن يأتوا ببديل لها أو بإضافة تقوي تفسير هذه النظرية وصياغتها في مبادئ وقوانين محددة يطرد بناء الكلام عليها، في سائر الأصول التي بني عليها القدماء منهجهم في جميع الأصول والفروع التي انبي عليها التعليل في النحو.

الإطار التطبيقي بعنوان:

(جهود ابن جني من خلال شرح شعر المتنبي)

ويحتي على أربعة فصول:

الفصل الأول: ما له علاقة بالأسماء

الفصل الثاني : ما له علاقة بالأفعال

المفصل الثالث: ما له علاقة بالحروف

الفصل الرابع : ما له علاقة بالعوامل النّحويّة

الفصل الأول

(ما له علاقة بالأسماء)

ويحتوي على ستة مباحث

المبحث الأول : مجيئ اسم الإشارة بمعنى الموصول

المبحث الثاني : الفصل بين المتلازمين .

المبحث الثالث : القول في كلا وكلتا .

المبحث الرابع: ضمير الفصل وإعرابه.

المبحث الخامس : العطف على اسم إن (بالرفع قبل تمام الخبر) .

المبحث السادس : الجر على الجوار (على حذف المضاف) .

لم يكُن خلاف ابن جِنّي مع النّحاة خلافاً مذهبيّاً، بل كان ينطوي على هذا النّمط من التّأويل إلى حلّ التّعارض القائم بين القانون الإعرابي المطّرد والحالة المخالفة له من النّص "موضع الدراسة". (١)

ووسيلة ابن جِنّي لمعالجة هذا غالباً ما تتّجه كما الشّأن عند غيره من النّحويّين إلى الاستعانة بالاحتمالات المتعدّدة التي ينطوي عليها النّص من جانب المعنى.

وينطلق من ممارسة النّشاط الذّهني النّحوي الذي يُسميه ابن جنّي الصّنعة (٢) ويُنطلق من ممارسة النّشاط الذّهني النّحوي الذي يُعالج بها النّص، وتنتهي ويُريد به الاحتمالات الإعرابيّة، أو اللّغويّة التي يمكن أن يُعالج بها النّص، وتنتهي إلى نتيجةٍ مقنعةٍ أو مقبولة على الأقلّ. (٦)

وقد رُويت كثيرٌ من الحكايات عن المتنبيّ، نوّه فيها ببراعة ابن جنّي في إدراك المقاصد البعيدة، والغوص في المعاني من جهةٍ، وقدرته العجيبة على توجيه النّص، وحمله على غير ظاهره – في أحيانٍ كثيرةٍ – من جهة أُخرى؛ وذلك لاستنباط معانٍ توافق ما تقتضيه مواضعات اللغة، وشروط مقاييسها المطّردة؛ حتى لا يؤدّى ذلك إلى حمل اللفظ على غير ما أُريد به في الأصل، وصرفه عن الاحتمال الرّاجح إلى الاحتمال المرجوح؛ مراعاةً لمقتضيات الصّنعة اللّغويّة؛ الأمر الذي جعل كبار أهل الأدب ودارسيه يعدّون ابن جنى السّابق إلى فتح المقفلات وشرح المشكلات. (٤)

وقد اتخذ ابن جنّي هذا التّأويل وسيلةً ذهنّية وفنيّةً يُعالج بها ظواهر الخرق الصّريح للقواعد النّحويّة المطّردة(٥) وحرصه على الاعتذار عن أوهام الشُعراء، ممّا

⁽١) ينظر: دراسات في نظريّة النّحو العربي، وتطبيقاتها للدكتور صاحب أبوجناح، ص 146.

⁽٢) عرفها ابن منظور: الصّنعة والمصانعة من صانع يُصانع أي: أن تصنع له شيئاً ليصنع لك شيئاً آخر، والصّنيعة: ما أعطيته وأسديته من معروفٍ أو يدٍ إلى إنسان تصطنعه بها، وصانعه: داراه وليّنه وداهنه، ينظر: لسان العرب لابن منظور المصري الأفريقي، دار صادر بيروت، مادة (صنع) ٢١٢/٨- 213.

⁽٣) ينظر: المحتسب: ١/٢١٠.

⁽٤) ومنهم: الباحززي في دمية القصر، بتحقيق دكتور سامي العاتي، ط 2، الكويت، 1396هـ- 1985م، ٢/ ٩٠٠.

⁽١) ينظر: الشّعر والشّعراء، لمحمد بن عبدالله بن قُتيبة، بتحقيق أحمد محمد شاكر ٨٩/١.

يضطّرهم إليه موازين الشّعر، وأحكام القافية؛ لدفع تهمة الخطأ، والوهم عنهم، ولاسيّما الفصحاء منهم كأبي الطيّب المتنبّي.

المبحث الأوّل: مجئ اسم الإشارة بمعنى الموصول:

يرى الكوفيون أنّ (هذا) منها ما يكونُ بمعنى الموصول(الّذي) نحو: هذا قال ذاك زيدٌ أي الذي قال ذاك زيدٌ. (١)

ورأى البصريّين أنّ (هذا) لا يكونُ بمعنى (الذي)، وكذلك سائر أسماء الإشارة لا تكونُ بمعنى الأسماء الموصولة، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَنَوُلاَءِ تَقَنْدُونَ أَنفُكُمْ لا تكونُ بمعنى الأسماء الموصولة، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَنَوُلاَءِ تَقَنْدُونَ أَنفُكُمْ وَفِي قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيمِينِكَ بِيمِينِكَ يَمُوسَىٰ ﴾ (٢) والتقدير: هأنتم الذين تقتلون أنفسكم، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيمِينِكَ يَمُوسَىٰ ﴾ (٢) أي: ما التي بيمينك يا موسى ويجوز أن يكون ظرفاً في موضع الحال.

أما أبوحيّان فيرى أنّ اسم الإِشارة في الآية الأولى (هؤلاء) -عاملٌ في الحال، بما فيه من معنى الفعل، وقال: "يجوز أن يكون (هؤلاء) مُنادى حُذف منه حرفُ النّداء، خلافاً للبصريّين... ويجوز أن يكون (تقتلون) خبراً عن (أنتم) وفُصل بين المبتدأ والخبر بالنّداء وهو جائزُ ". (٥)

⁽۱) ينظر: معاني القرآن، لأبي زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء المتوفى سنة 207هـ، بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط 2 ، عالم الكتب، بيروت، 1402هـ - 1881، ١٤١/١ ومثلها الآية 24 من سورة النحل ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُو فَالُوٓا أَسَطِيرُ ٱلْأَوَّايِنَ ﴾ ويقول: لا يجوز إلا في الشعر عند البصريين.

⁽٢) الآيــة (85) من سورة البقرة وتمامها: ﴿ وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِينرِهِمْ تَظَهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدُونِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَرَىٰ ثُفَندُوهُمْ وَهُو مُحَرَّمُ عَلَيْتُمُ إِخْرَاجُهُمْ ۚ ﴾

⁽٣) الآية (17) من سورة طه.

⁽٤) ينظر: الحُجّة في علل القراءات السّبع، لأبي علي الحسن بن عبدالغفّار الفاري النحّوي، المتوفى سنة 277هم، بتحقيق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمّية، بيروت، 1428هـ - 2007م، ٢/٢٤، وينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دكتور محمد عبدالخالق عضيمة، بتصدير دكتور عبدالله عبدالمحسن، دار الحديث، القاهرة، ٣٥/٢، وينظر إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البهاء، العكبري ط 1، بيروت، ٢٠٠/٢.

^(°) ينظر: البحر المحيط وبهامشه تفسير النّهر المادّ لأبي حيّان ، والدُّر اللقيط من البحر المحيط، للإمام تاج الدين الحنفي، ط 2، دار الفكر ، بيروت ، 1403هـ 1983م ، ١٩٥١.

وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْعَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْمَفُو ۗ ﴾ (١) فهي تحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون (ماذا) في موضع نصب بـ (يُنفقُونَ) (٢)، وتكون "ماذا" استفهامّية والتقدير: أيُّ شيءٍ ينفقون؟ فأجابوا بالنّصب ليُطابق الجواب السّؤال، و الوجه الآخر: أن تكون (ما) استفهامّية في موضع رفع بالابتداء، و (ذا) موصولة بمعنى (الذي) (٢)، وهي خبره ويكون الجواب مطابقاً من حيثُ المعنى، والعائد على الموصول محذوفاً، والتقدير: (ما الذّي يُنفِقِونه؟).

وقرأ ابوعمرو⁽³⁾: (وقُل العفوُ) بالرّفع، والأولى أن يكون خبر مبتدأ محذوفاً، تقديره: قُل المُنفِقُ العفوُ، وأن يكون(ما)في موضع رفع بالابتداء، وذا موصول (⁽⁰⁾، وهذا مذهب البصريّين الذّين اشترطوا على مجئ (ذا) الإشاريّة بمعنى الموصول، أن تتركبّ مع (ما) أو (من) الاستفهاميتين، وذهب إلى ذلك أبوحيّان، وسيبويه (⁽⁷⁾)،

⁽١) الآية (219) من سورة البقرة.

⁽٢) ينظر: معاني القرآن،الفرّاء ط 3، بيروت ، 1403هـ - 1983م ، ٢/١١ اوهذا ما عليه أهل مكة (وجه النّصب).

⁽٣) ينظر: البحر المحيط: ١٦٨/١، وينظر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل لأبي القاسم جارالله الزمخشري الخوارزمي، المتوفى سنة 538هـ، ط 3 دار المعرفة بيروت 1385هـ – 1966م، ١٦٢/١ ومن أجازه هم الكوفيون خلافاً للبصريين الذين اشترطوا اتصال اسم الإشارة ب (ما) أو (من) الاستفهاميتين وهذا عن العكبري في إملاء ما من به الرحمن في القراءات وإعراب الآيات في جميع القرآن بتحقيق دكتور عبدالإله نبهان، دار الفكر دمشق، ط1 ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ، ١٩٣١.

⁽٤) هو أبوعمرو البصري، زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري، وقيل اسمه كنيته يحيى، وقيل اسمه كنيته، مقرئ، لغوي مشهور، توفى بالكوفة سنة 154هـ. ينظر: ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء كنيته، مقرئ، لغوي مشهور، توفى بالكوفة سنة 154هـ. ينظر: ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء كنيته، مقرئ، لغوي مشهور، توفى بالكوفة سنة 154هـ. ينظر: ترجمته عالم المعارف النهاية في طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط 2، دار المعارف القاهرة، بدون تاريخ، ص 35 - 40.

⁽٥) ينظر: البحر المحيط: ١٩/١٤.وينظر الحُجّة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي ٢٠/٢١-141

⁽٦) ينظر الكتاب، ٢/٤١٧ –419.

والأعلم (١)، والسّيرافي، وأبوعلي الفارسي، خلافاً للرّضي (٢)، الاستراباذي، وهذا ما أثبته ابن مالك. (٣)

وعلى قول الكوفيين في إجراء اسم الإشارة بمعنى الموصول، ما ذهب إليه سيبويه – قبلهم – في قول لبيد بن ربيعة: (٤)

ألا تسالانِ المرعَ ماذا يُحاوِلُ * أنحبٌ فيَقضى أم ضلالٌ وباطِلُ^(٥)

والشاهدُ في قوله (ماذا) فدلّ ذلك على أنّ (ذا) في معنى (الذي) وما بعده من صلةٍ فلا يعمل في الذي قبله، ف (ما) في موضع رفعٍ بالابتداء فلذلك رفع ما بعد همزة الاستفهام ردّاً عليها. (٦)

والكوفيون في مذهبهم هذا تبعهم -بعد تطوّر الدّلالة- أبوحيّان عند إحصائه لأنواع المعرفة بقوله: "والمبهم (ويعنى به اسم الإشارة) قد يُطلق المبُهم ويُراد به الاسم الموصول" (٧)

وجاء باستعمال (ذا) بمعنى الموصول لدى المتأخّرين الدّكتور فخرالدّين قباوة(١)

وجاء باستعمال (۱۱) بمعنى الموصول لذى المناخرين الدخلور فحرائدين فباوه

⁽۱) هو يوسف بن سليمان بن موسى الأعلم الشنتمري، الأندلسي، أبوالحّجاج، أديب، لغوي، نحويُّ ، ولد سنة 410هـ، ورحل إلى قرطبة، كُفّ بصره آخر عمره، شرح أبيات كتاب سيبويه وجمل الزجاجي، وحماسة أبي تمام، توفى سنة 476هـ بأشبيلية ترجمته: وفيات الأعيان ٢/٥١٤ ، ومعجم المؤلفين لعمر كحالة ١٦٢/٤ وينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالغني الدمياطي، الشافعي الشهير بالبناء المتوفى سنة 1117هـ، بتصحيح على محمد الصباغ، دار الندوة الحميدة، بيروت، بدون تاريخ ص 157، وبنظر كتاب السبعة في القراءات ، لابن مجاهد ص 182.

⁽٢) ينظر شرح الكافية في النحو، شرح رضي الدين الاسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة تاريخ ، ١٦٢/٤.

⁽٣) في قوله: ومثلُ ما - ذا - بعد (ما) استفهامُ * أو مَنْ إذا لم تُلغِ في الكلام. ينظر شرح ابن عقيل ١٤٤/١.

⁽٤) من بحر الطويل ، بديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر ، بيروت، بدون طبعة، وتاريخ ص 131 وينظر: أمالي ابن الشجري، لهبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي المتوفى سنة 542هـ بتحقيق محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 1 1412هـ – 1992م، ٢/٢٧ واللسان مادّة "حول".

^(°) النحّب: النّذر ويعنى: اسألُوه عن هذا الذي هو فيه أهو نذرّ نذره على نفسه فرأى أنّه لابُدّ من فِعله ، أم هو ضلالٌ وباطلٌ من أمره ويروى (فيُقضى) بالبناء وللمفعول.

⁽٦) ينظر: الكتاب: في باب إجرائهم ذا وحده بمنزلة (الذي) ، ٢/٧١٤.

⁽٧) ينظر: النُّكَ تَ الحِسان في شرح غاية الإحسان، للشيخ أبي حيّان النَّحوي الأندلُسي، بتحقيق دكتور عبدالمحسن الفتلي، ط 2 ، مؤسسة الرسالة، بيروت 1408هـ 1977م، ص 44.

والكوفيون احتجوا في مذهبهم باستعمال (ذا) بمعنى (الذي) بقول الشّاعر (٢): عـدْسْ مـا لعبّادٍ عليكِ إمارة * نجوتِ وهذا تحملينَ وَ طليقُ (٦)

والشاهد فیه، قوله: (وهذا تحملین طلیق) حیث جاء بر (ذا) اسم موصول مبتدأ، التّقدیر: والذي تحملینهٔ طلیق.

أما البصريّون فإنّهم يمنعون ذلك ويقولون: هذا اسم إشارة، و (تحملين) حال من ضمير الخبر، والتّقدير: وهذاطليقٌ محمولاً. (٤)

ومن استقرائي لأبيات المتنبّي للدّيوان، توصلت إلى أنّ أباالطيّب كان يُكثر من استعمال (ذا وذي وتا وتي) إلى أن لحظ ذلك عليه ابن جنّي -صديقه الذي لم يستغرب لذلك- لإلمامه التام بما كان عليه صاحبه من ثقافة، وفيما دار بينهما يوماً سأله ابن جنّي: تستعمل (ذا) و (ذي) في شعرِك كثيراً، "فأمسك قليلاً ثم قال: إنّ هذا الشّعر لم يعمل كُلهُ في وقتٍ واحدٍ قُلتُ له: صدقتُ إلا أنّ المادّة واحدةُ... فأمسك...". (٥) وذلك عندما سمع ابن جنّي قول أبي الطيّب:

ماذا يقولُ السني يُ عند * يا خيرَ مَنْ تحت ذي السماءِ

⁽١) ينظر: المورد النّحوي، ط 1 ، دار الفكر دمشق ، 1391هـ - 1971، ص 292إلى 296.

⁽٢) هو يزيد بن مفرّع الحميري، شاعر الغزل والهجاء، فكان هجّاءً مقذعاً، وله مديخ ينظر ترجمته: الأعلام لخيرالدين الزركلي 8/183، وديوانه بتحقيق عبدالقدوس أبوصالح، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1395هـ الخيرالدين الزركلي 172، والكتاب ٤١٧/2.

⁽٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٩/١-721 والحجة في علل القراءات السبع ١٤٤/١، وينظر بيت يزيد مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، طبعة دار الطلائع، شاهد (705)، ١٢٤/٢، والمحتسب: طبعة القاهرة"، ٢/٤/٢.

⁽٤) ينظر: المعجم المُفصّل لشواهد النحو الشعريّة، تأليف: إميل بديع يعقوب، طبعة بيروت 1413ه-1992م، رخب، والمقاصد النّحويّة على شرح شروح الألفية: ٢٦٣١-2065، وشرح الأشموني: طبعة بيروت ١٦/١-119، وينظر: المقدّمة الجزوليّة في النّحو، لأبي موسى بن عبدالعزيز الجزولي المتوفى سنة 607هـ، بتحقيق دكتور شعبان عبدالوهاب محمد، مطبعة الجامع الأزهر الشريف، القاهرة، بدون تاريخ وطبعة ص 52.

⁽٥) ينظر: الخصائص: ٤٩٤/١، والفسر شرح ابن جنّى لديوان المتنبّى بتحقيق د. رضا رجب ط1، ١٢٧/١.

شعلتَ قلبي بلخظِ عيني * إليكَ عن حُسن ذِا الغناءِ (١) ومنها قول أبي الطيّب:

حِمالَــةُ ذا الحُسام على حُسام * ومَوقعُ ذا السّحابِ على سَحاب (٢)

ويقُول ابن جنّي: "أرى أمراً عجيباً وهو حمالةُ السيف، وقعت على السّيف الذي هو سيف الدّولة؛ لأنه سيف تقلد سيفاً، وكذلك وقوع السحاب الذي هو المطر على سيف الدولة الذي هو كالسّحاب جؤداً". (٣)

وجاء رأى الشرّاح موافقاً لرأى ابن جنّي، فأضاف المعري أن الله تعالى كما خلق الإنسان خلق له خُلُقاً، وما كان فعل الله تعالى فلا يُسأل عنه العباد، واليازجي له رؤية أخرى فحواها: أن الذي يلومه على الجود كأنّه يقول له: لماذا خلقت كريماً؟ وإذا كان كذلك، فلا يقدر أن يُغير طبعه كما لا يقدر أن يُغير صورته(٤).

وترى الباحثة استخدام (ذا) -هنا- محل (الذي) على المعنى الذي أراده أبوالطيّب مستخدماً (ذا) الأولى للسيف، والثانية للسّحاب الذي هو المطر.

⁽۱) من بحر البسيط، ينظر ديوان المتنبّي، طبعة دار الجيل بيروت، بدون تاريخ، ص 200 وينظر: الفسر، ١٥٧/١.

⁽٢) من بحر الوافر ، بديوانه ص 296.

⁽٣) ينظر: الفسر ١٨٠/١.

⁽١) ينظر : معجز أحمد : ٥٣٥/٢ ، والعرف الطيب : ٢٦٤/١.

المبحث الثانى: الفصل بين المتلازمين:

ذهب الكوفيون إلى أنّه يجوزُ الفصلُ بينهما - بغير الظّرف وحرف الجر - وذهب البصريون إلى أنّه لا يجوز الفصل بغير الظرف والجار والمجرور. (١) والكوفيون تمسّكوا بكثرة استعمال ذلك في الشّعر، لقول الشّاعر:

فزججتُه المِزجّ القلّ وصَ أبي مرزجّ القلّ وصَ أبي مزاده (۲)

يقول ابن جنّي في باب (شجاعة العربيّة) هذا الفصل الذي نحن عليه ضرّبً من الحمل على المعنى، لما فيه من التّقديم والتّأخير. (٣)

ويُعلل الفصل بقوله: أي زجّ أبي مزاده القلوص، ففصل بينهما بالمفعول به هذا مع قدرته على أن يقول زجّ القلوص أبومزادة كقولك: سرّنى أكلُ الخبز زيدٌ.

وفي هذا البيت عندي دليل على قوّة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم، وأنّه في نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول، ألا تراه ارتكب هنا الضرورة مع تمكنه من تركها لا شيء غير الرغبة في إضافة المصدر إلى الفاعل دون المفعول. (٤)

ويرى ابن جنّي أنّ الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف وحرف الجرّ قبيحٌ كثيرٌ، لكنّه من ضرورة الشّاعر، فمن ذلك قول الشّاعر: (٥)

كأنّ أصواتَ مِن إيغالهنّ بنا * أواخر الميس أصواتُ الفراريج(٢)

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٧/٢٤ المسألة رقم 60،وينظر معاني القرآن للفراء: ٨١/٢-82.

⁽٢) من بحر الكامل، ولم ينسب لقائل، ينظر فيه الكتاب ١٧٦/١ وشرح الأشموني على الألفية ٢٧٢/٢ وينظر: المعجم المفصل لشواهد النحو الشعرية، لدكتور إميل بديع يعقوب، ١١٤١/٣ والمقاصد النحوية: ٣٢٧/٣، وينظر: المقرب، لابن عصفور، ٤/١٠.

⁽٣) ينظر: الخصائص 2/175 ويرى ابن جنّي أنه لو قال: زج القلوص أبومزادة لما انكسر وزن البيت وإنما تفعل العرب هذا وتترك تركيب ما يفحش عن غير ضرورة، لأن الشعر موقف فسيح واضطرار خلافاً للفراء الذي يقول: "زج القلوص أبومزادة" وهو ينكرُ هذا الفصل وبنسبه إلى نحوبي المدينة.

⁽٤) المصدر السابق ٢/١٧٧.

^(°) من بحر البسيط وهو لذي الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي، في ديوانه صححه ونقحه هنري هيس مكاريني، مطبعة كلية كمبريدج 1327هـ –1919م ص 76. ومعناه أصوات أواخر الرواحل من شدة السير كأصوات الهودج ويريد الشاعر: لقد طال سيرُهم برحالهم وبعض الرحال يُحكُ بعضُها بعضاً، فيحدث صوتاً مثل أصوات الفراريج من اضطراب الرّحال بشدّة السّير. ينظر أسرار البلاغة لعبدالقاهر الجُرجاني، صححها الإمام محمد عبده على نفقته وأقرأها في الجامع الأزهر، وعلق على حواشيها السيد محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقية، مصر، بدون تاريخ ص 102.

⁽٦) ينظر في الخصائص 2/175، وينظر: الكتاب ١٧٩/١، 286، 280، وينظر: أسرار البلاغة في علم البيان، ص 77، وينظر الفسر ٥٣٠/١.

والشاهد قوله: "أصوات من إيغالهنّ بنا أواخر الميس"، حيث فصل بين المضاف وهو قوله: (أصوات) والمضاف إليه وهو (أواخر الميس) بالجار والمجرور وهو: (من إيغالهنّ بنا) وهذا قبيح لا يجوز إلا في الشعر لضرورة القافية، وإقامة الوزن.

ولكنّ ابن مالك من الّذين أجازوا هذا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظّرف والجار والمجرور بقوّة في قوله:

فَصْلُ مُضافٍ شِبهِ فعلِ ما نَصبْ * مفعُولاً أو ظرفاً أجرْ ولم يُعَبْ(١)

فصل يمين واضطراراً وُجدا * بأجنبيّ أو بنعتِ أوبندا (٤٠٣)

وجاء في الخصائص الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظّرف على قُبحه، ولكنّ ضرورة الشّاعر تدعو إليه، ومن ذلك قول الشاعر: (٣)

كما خطّ الكتابُ بكفِّ يوماً * يهوديَّ يُقارب أو يَزيلُ (٤) والشاهد فيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظّرف وهو (يوماً) أي: بكفِّ يهوديّ. (٥)

⁽۱) أجاز المصنف أن يُفصل في الاختيار بين المضاف -إذا كان مصدراً أو اسم فاعلٍ- والمضاف إليه بمفعول به أو ظرف أو شبهه. ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، بتحقيق محمد كامل بركات، القاهرة، دار الكتاب العربي 1388هـ - 1967م ص 160-161.

⁽٢) الفصل في الضرورة بالقسم أو الأجنبي (الظرف) من المضاف، بنعت المضاف أو بالنداء. ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، لمحمد محي الدّين عبدالحميد، المكتبة المصريّة، 1405هـ -1984م، ص ٧٧/٢.

⁽٣) من بحر الوافر لأبي حية النُميري في ديوانه ص 76، والكتاب ١٧٩/١ ، شرح الأشموني ٣٢٨/٢ ، وابن عقيل ٧٨/٢، والمقاصد النّحويّة ٣٠/٢٤.

⁽٤) شبه الشاعر رُسوم الدّار بالكتاب في دقتها، أو في الاستدلال بها ، وخصّ اليهود؛ لأنّهم أهل كتاب وجعله يُقارب بين كتابته ويُفرق تمثيلاً لتلك الآثار. ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان، تحقيق مصطفى أحمد النماس ، ط 1 ، القاهرة ،1405هـ – 1984م ، ٢/٤٣٠ ، وينظر فيها الكشف عن وجوه القراءات السبع عللها وحججها، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ بتحقيق دكتور محيي الدين رمضان،مؤسسة الرسالة،بيروت 1401هـ -1981م، ٢/٣٥٤ -454.

⁽٥) ينظر: الخصائص ١٧٥/٢ ، وشرح ابن عقيل ٧٩/٢ ، ومعجم الشواهد النحويّة ٢٢٥/٢.

وقد جاء في التنزيل الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به في قوله تعسالى: ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّكِ لِكَثِيرِ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَدِهِمْ شُرَكَ آوُهُمْ لِيُرَدُوهُمْ وَلِيكَلِيسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ ٱللّهُ مَا فَعَكُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (١).

قرأ ابن عامر برفع (قتل) ونصب (أولادهم) وجرّ (شركائهم)، ففصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول وهو (أولادهم).

وقرأ الجمهور (زيّن) مبنيّاً للفاعل ونصب (قَتْلَ) مضافاً إلى (أولادهم) ورفع (شركاؤهم) فاعلاً بـ (زيّن). أو برفع (قتل) وجر (أولادهم) وشركائهم (٢) ·

وقرأت فرقة منهم الحسن (زُيّن) مبنيّاً للمفعول و (قتل) مرفوعاً مضافاً إلى (أولادهم) ، و (شركاؤهُم) مرفوعاً على إضمار فعل أي: زيّنه شركاؤهُم، وهذا رأى سيبويه أي: فاعلاً بالمصدر قتل أولادهُم شركاؤهم. (٣)

وهي مسألةٌ مختلف في جوازها؛ لأن جمهور البصريين متقدميهم ومتأخريهم اتفقوا على منعها ، ولا يجيزونها إلا في ضرورة الشّعر لوجودها في قراءة متواترة منسوبة إلى عربى محض. (٤)

ولأبي الفتح في القراءة: ﴿ زَيَّنَ لِكَثِيرِ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُ أَوْلَكِهِمْ شُرَكَ آوُهُمُ مَ ﴾ (٥) تأويلان:

⁽١) الآية (137) من سورة الأنعام.

⁽٢) ينظر: إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، تحقيق دكتور زهير غازي زاهد ، ط ٢ ، مكتبة النهضة العربية ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، ١٩٧/ – ٩٨. و البحر المحيط، ،ط 2 ، ٢٢٩/٤ ، وينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم (رسالة دكتوراه) لدكتور عبدالفتاح أحمد الحموز ، مكتبة الرشد، الرباض ، 1405هـ – 1985م ، ص 1405.

⁽٣) ويعنى سيبويه أنّ الشركاء مزيّنون لا قاتلون ، الكتاب، ٢٩٠/١.

⁽٤) وهو ابن عامر الذي أخذ القرآن عن سيدنا عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللّحن في لسان العرب، ولوجود أمثلة على السعة في الكلام، يُنظر كتاب السبعة في القراءات، لابن مجاهد بتحقيق د. شوقي ضيف دار المعارف، القاهرة ، ط 3 ، بدون تاريخ ص 270 ، وينظر إبراز المعاني في حرز الأماني في القراءات السبع ، للإمام الشاطبي المتوفي 590ه، تأليف الإمام عبدالرحمن بن إسماعيل المشهور بأبي شامة، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1402ه- 1981م ، ص 427.

^(°) الآية (137) من سورة الأنعام.

أحدُهما يحتمل رفع (شركاء) بفعلٍ مضمر دلّ عليه قوله: (زُيّن) كأنّه لما قال: "زين لكثيرٍ من المشركين قتل... "قيل: من زيّنه لهم؟ فقيل: زينه لهُم شركاؤهم، فارتفع الشركاء بفعلٍ مضمر دلّ عليه (زُيّن) فهو إذاً كقولك: أكِل اللّحمُ زيدٌ، ورُكب الفرسُ جعفرٌ ،فترفع (زيداً) و (جعفراً) بفعلٍ مضمر دلّ عليه هذا الظّاهر وإياك أن تقول ارتفع بالفعل الظّاهر؛ لأنّه هو الفاعل في المعنى ولا يرفع إلا واحداً (فاعلاً، أو مفعولاً) أقيم مقامه، وقد رفع هذا الفعل فاعله وهو: (قتلُ أولادِهم) فلا سبيل إلى رفع اسم آخر. (١)

والآخر: هو أن يكون (الشُّركاء) ارتفعوا في صلة المصدر الذي هو (القتل) بفعلهم وكأنّه قال: وكذلك زُيّن لكثيرِ من المشركين أنْ قتلَ شركاؤهم أولادَهم. (٢)

فأمّا الآية فليست من هذا الوجه بدلالة القراءة المُجمع عليها، وأنّ المعنى: إن المزيّن هم الشُّركاء والقاتل هم المشركون، وأجاز قُطرُب^(٣) هذا الأخير.

وممّا تقدّم يتضح أنّ قراءة ابن عامر -رحمه الله- غير منافيةٍ لقياس العربيّة، على أنّها لو كانت كذلك يجب قبولها لصِحّة نقلها، كما قبلت أشياء تُنافي القياس بالنقل، وإن لم تساو صحّة هذه القراءة المذكورة كقولهم: استحوذ وقياسها: استحاذ.

وقد أنكر الفراء هذه القراءة وأنكر قراءة شاذة أخرى هي قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْسَبُنَّ ٱللَّهَ مُغْلِفَ وَعْدِهِ وَرُسُلَهُ مَ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱننِقَامِ ﴾ (١) بأنها منسوبة إلى نحويّي أهل المدينة. (٥)

كان أبوالطيّب المتنبّي لقدرته على صياغة الألفاظ، واتساعه في المعاني؛ لتمكنّه من نواصي القول، كثيراً ما يُخالف الشّعراء ويُغاير مذاهبهم، فقد جمع بين المتناقضات وألّف بينها في جمال أسلوب فصيح رفيع قائلاً:

يا أعدل النَّاس إلا في مخاصمتي * فيلَك الخصِامُ فأنتَ الخَصم والحكمُ (٦)

⁽۱) ينظر: المحتسب في تبيين وُجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جنّي ، بتحقيق علي النّجدي ناصف ودكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة ، ط2، 1389هـ 1969م، ٢٢٩/١.

⁽٢) المصدر السابق ٢٣٠/١ ، وينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ط2، 1409هـ- 1988م ، وقد عدّه ابن رشيق من باب الحمل على المعنى في (باب الرّخص في الشّعر): ٢٧٩/٢.

⁽٣) وقد تتلمذ قطرب على عيسى بن عمر شيخ سيبويه كان عالماً ثقة.

⁽٤) الآية (47) من سورة إبراهيم.

⁽٥) ينظر: معاني القرآن: ١/٣٥٧ - 358.

⁽٦) مر تخريجه ص (39) .

وهذا يُخاطبُ فيه سيف الدّولة عندما لم يبادر ليدافع عنه أمام ابن خالويه؛ ليخفّف من غلواء المتنبّى واعتداده بشعره وبنفسه. (١)

فها هو ينطق بطبعه بما يجوز في لسان العرب من الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول على ما هو جارٍ في لسان العرب - يقول أبوالطيّب: (٢) حملتُ إليه من لساني حديقة * سقاها الحِجي سَقْيَ الرّياضَ السحائب (٣)

جاء قول ابن جنّي: جرّ (السحائب) بإضافة (سقى) إليها وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول الذي هو (الرّياض) وذلك ضرورة، والتّقدير: (سقاها الحُجي سقي السّحائب الرّياض)، وقد دعم ذلك الفصل بأبيات من الشعر العربي القديم الذي يحتج به. (٤)

أخذ عليه القزّاز الفصل بين المضاف والمضاف إليه، قال: "...وإنّما كان الوجه أن يقول أبوالطيّب: "سقَىَ السّحائبِ الرّياضَ أو سقيَ الرّياضَ السّحائبُ ، كما تقول: عجيبُ مِن ضرب زيدٍ عمراً ومن ضرب عمرو زيدٌ". (٥)

ويقول اليازجي في شرحه لشعر المتنبّي: "أراد أبوالطيّب: "سقى السّحائب الرّباض، فقدّم وأخر، وهو من شواذّ الاستعمال". (٦)

⁽۱) ينظر: اللامع العزيزي، شرح ديوان المتنبّي لأبي العلاء المعري المتوفى سنة 449هـ بتحقيق محمد سعيد المولوي، ط 1 مركز الملك فيصل للبحُوث والدراسات الإسلامية، 1429هـ-2008م، ص 10 وينظر العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب لليازجي: ١٢٠/٢، ومعجز أحمد ٢٥٢/٣.

⁽۲) ينظر ديوانه ص 228 ومعنى: الحديقة: البُستان وعنى بها القصيدة، الحُجي: العقل ويعنى أنه يريد بـ"يسقى الرّياض السّحائب": سقى السحائب الرياض، وينظر ضرائر الشعر ، لابن عصفور الإشبيلي، تحقيق السيد إبراهيم محمد، ط ١٠٤١ الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٠٤١هـ ١٩٩٨م، ص ١٩٩٨.

⁽٣) من بحر الطويل، وقالها في مدح أبي القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي، وجاء في بالديوان (معاملتي) بدلاً عن (مخاصمتي) .

⁽٤) ينظر شرح ابن جنّي "الفسر" ١/٢٧٥-530 ، وشرح الكافية، للرضي، تصحيح وتنقيح يوسف حسن عمر، ٢٩٣/١.

^(°) ينظر: ما يجوز للشّاعر في الضرورة لعبدالله بن محمد بن جعفر القزاز النحوي القيرواني، طبعة الدّار التونسية، بدون تاريخ ، 1398هـ-1967م، ص 35.

⁽٦) ينظر: العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب للعلامة، الشّاعر الشيخ ناصف اليازجي، دار صادر بيروت، 1384هـ-1964م، ٤٢٩/١.

وهذا في رأى الباحثة رأى مردود ؛ لما جاء في تفسير القرآن من قراءة ابن عامر التي ردّها الزّمخشري من المفسّرين، وكان ردٌ أبي حيّان عليه حاسماً للمسألة بأنّه قال: "أعجب لعجميّ.... يردُ قراءة عربي قُحّ (ويعنى ابن عامر) في قراءة متواترة صحيحة". (۱)

وقد جاء أبوالطيّب في شعره بالفصل بين جزأي الجملة، وأحياناً بين معطوف عليه، ومعطوف، وفعل وفاعله وغير ذلك من الضرورات التي أُبيحت للشّعراء في قول ابن جنّي: "...فإذا جاز هذا للعرب عن غير حصر ولا ضرورة قول كان استعمال الضّرورة في الشّعر للمولّدين أسهل، وهمُ فيه أعذر وعقب بقوله: فأمّا ما يأتى عن العرب لحناً فلا نعذر في مثله مولدّاً". (٢)

ومّما جاء فيه من شعر المتنبّي^(٣) فاصلاً فيه بين المعطوفين بالجار والمجروروقوله من الطّوبل:

نسيتُ وما أنسى عِتاباً على الصدِّ * ولا خَفَراً زادت به حُمرةُ الخدِّ (٤)

قال ابن جنّي: "قال: إنّه نسي أشياء ولم ينس عتاباً له مضى قديماً، ولم ينس خفر المعاتب أي: وفيتُ بعهد من غدر بعهدي". (٥)

ونقل عنه ابن المستوفي والواحدي نفس التعليل والشرح، ولم يُضيفا شيئاً يذكر.

⁽۱) ينظر: البحر المحيط: ٢٢٩/٤4-230، وينظر: الكشف عن وُجُوه القراءات السّبع وعِللُها وحجُجها: 454-٤٥٣/١.

⁽٢) ينظر: الخصائص: 1/330 في (باب في هل يجوز لنا في الشّعر من الضّرورة ما جاز للعرب أوّلاً) وينظر الخصائص: ١٧٩/١.

⁽٣) وهو يودّع فيها ابن العميد بعد وُصول كتاب عضد الدّولة سنة 354ه ، يستزيره إلى فارس.

⁽٤) ينظر: الديوان: طبعة دار الجيل ، ص 533.

⁽٥) ينظر الفسر شاهد 288: ١١٣٦/١.

⁽٦) ينظر: شرح الواحدي لدّيوان شعر المتنبّي، راجعه فريدريج ديترصي ، مطبعة برلين 1891م ص 750 وينظر: النظام في شرح شعر المتنبّي وأبي تمام لأبي البركات شرف الدين بن أحمد الإيربلي، المعروف بابن المستوفى ، تحقيق دكتور خلف رشيد نعمان ط 1، 1410هـ 1989م، ٣٦٣/٧.

بل أضاف أبوالعلاء المعرّي قوله: "ورُوِي نُسيت" على ما لم يُسمّ فاعله، والتّقدير: نسيني الحبيب، ويُضيف اليازجي قائلاً: نسيتُ كل شيءٍ ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصد، وما غشيه عند ذلك من الحياء الذي زادت به حمرة وجهه، وابن سيدة في (زادت به حمرة الخدّ) له تعليق وهو أنّ هنالك حمرة طبيعية سوى الحُمرة التي يولّدُها الحياء، لأنّ هذه حُمرة عارضة، تزولُ بزوال الحياء". (۱)

وفصل أبوالطيّب بين الفعل والفاعل توسُّعاً في الفصل بالجار والمجرور في قوله: (٢)

تُبِكي عليهن البطاريقُ في الدُّجي * وهُن لدينا مُلقياتٌ كواسِدُ(٣)

لم يشرح ابن جنّي البيت ولم يعرض له بشرحه، وقد أكّد المحقّق أنّ هذا البيت سقط مع ما يليه من نسخة المعهد البريطاني للفسر. (٤)

أمّا الشّراح فقد شرحوه بأنه يقول: "إنّ النساء الّلائي سبيناهُن هُنّ بنات كبار الرُّوم، ونساؤهم فهم يبكون عليهن عندما يخلون بأنفسهم ليلاً؛ لأنهم أقاربهن، وهُنّ مع ذلك عندنا مهاناتٌ ملقياتٌ ، لا يُلتفت إليهنّ، ويضيف اليازجي: بكّاهُ بمعنى بكاه، ولكنّ التّشديد للمبالغة". (٥)

والفصل بالجار والمجرور بين الفعل وفاعله، أو بالظّرف يجوز في الشّعر المولّد. (٦)

⁽۱) ينظر: معجز أحمد، لأبي العلاء المعري، تحقيق عبدالمجيد ضياء ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة ، 18 هـ ١٩٩٢هـ مصشرح مشكل شعر المتنبّي، لابن سيده، بتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، دمشق، دار المأمون للتراث، 1395هـ 1975م، ص 323.

⁽٢) من بحر: الطويل، قالها أبوالطيّب عندما أراد سيف الدّولة غزو خرشنه وعاقه الثلج في فصل الشتاء.

⁽٣) ينظر: الدّيوان طبعة دار الجيل ص 320.

⁽٤) ينظر: الفسر 1/809 بتحقيق د. رضا رجب، وينظر: معجز أحمد لأبي العلاء المعرّي دكتور عبدالمجيد دياب، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1413هـ - 1992، ٢١١/٣.

^(°) ينظر: العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب للشيخ صيف اليازجي دار صادر للطباعة والنشر بيروت 1384هـ - 1964م، ٢٠٣/٢.

⁽٦) ينظر: الخصائص ١/٣٣١ - 332.

وفصل أبوالطيّب بين المنعوت والنعت بالجار والمجرور في قوله: (١) يغصنَ إذا ما عُدنا في مُتفاقِدٍ * من الكنز غانِ بالعبيد عن المَشدِ(١)

قال ابن جنّي: أي: تدخل الكتائب التي أنفذها للغارة إذا عادت إلى مُعظم جيشه في عسكرٍ متفاقدٍ من الكثرة، كما يفيض الماء في الأرض^(٣). وتبعه المعري واليازجي في نفس المعنى. (٤)

وكان الفصل بين المنعوت في قوله: متفاقد بالجار في قوله (من الكنز) والنعت في قوله: (غانٍ)؛ لأنّه قد بين أنّه مستغنٍ بكثرة عبيدة (الذين هم مِلكُه) عن الجُند والحشد.

وفصل أبوالطيّب بين اسم إنّ وخبرها بالجار والمجرور في قوله: (٥) في قايد له الحُبّ بالجَهل فاسد (٦)

وشرح ابن جنّي: أنا أحبُّك بعقلٍ فتتفع بي، وغيري يُحبّك بجهلٍ فلا تتفع به. (٧)

ويُضيف المعرّي أنّه أكّد على قوله: "(أُحبُك يا شمس الزّمان وبدره)؛ لأني أحبُك بعقلٍ ، وإن قُدرت محبتي لك قليلة، ولكنّها لما كانت مع العقل كانت أنفع من محبّة الجاهل إياك؛ لأنّها كما أضاف اليازجي لطمع ". (^)

⁽١) من بحر الطويل، بالدّيوان ص 535.

⁽٢) قالها أبوالطيّب وهو يُودّع ابن العميد عندما أراد الخروج إلى عضد الدولة سنة 354هـ.

⁽٣) ينظر الفسر ١١٦١/١.

⁽٤) ينظر: معجز أحمد 4/316 والعرف الطيّب ٢/١٤٤.

^(°) من بحر الطويل، يمدح فيها سيف الدّولة وينذر خصومه السّاعين به عند سيف الدّولة، وينذره نفسه بعد ذلك بقوله: "إن الذين يتقربون منك ويتهالكون عليك قد يحتاجون إلى كثيرٍ من العقل لأنّ غلوّهم ربما أساء إلى الأمير على حين أنّ الاعتدال في الحُبّ مع العقل والنصح خيرُ كله". ينظر: مع المتنبّي، لطه حسين، دار المعارف، مصر، 1381هـ –1960م، ص 260–261.

⁽٦) ينظر الدّيوان ، طبعة دار الجيل، ص 321.

⁽٧) ينظر: الفسر ١/١٦٨.

⁽٨) ينظر: معجز أحمد 3/215، والعرف الطيّب ١٠٥/٢.

وهذا في رأي الباحثة تقابل بين الألفاظ في مطابقة رائعة وتعريض^(۱) بغيره من الكائدين، الحُسّاد.

وقد فصل أبوالطيّب - بين المعطوف عليه والمعطوف -بالواو - بالحال، ولا يجوز هذا الفصل في (باب العطف) إلا (بالواو) وحدها وعلى قلة؛ وهذا لإقامة الوزن، أو القافية على التّقديم والتّأخير، ليس بقاطع دليلٍ على ضعف لغته ولا قصوره عن اختياره الناطق بفصاحته. (٢)

وذلك في قول أبي الطيّب: (٣)

أفنى الحياة التي وُهبتَ له * في شرفٍ شاكِراً وتسويدِ (٤)

قال ابن جنّي فيه: "نصب (شاكراً) على الحال أي: أفني نفسه شاكراً لك(٥).

وأضاف المعري بعد اتفاقه على الشرح السابق، إلا أنّه روى عجُز البيت: (في شامخٍ وباذخ) بمعنى عالٍ ، وتبعه اليازجي بأنّ الحياة التي وهبها له أنفقها في الشرف والسيادة. (٦)

وترى الباحثة أن أبا الطيّب فصل -فيما سبق- بين الفعل والفاعل والتّابع والمتبوع، وغيره ليس عن جهلٍ منه، كما قال ابن جنّي: "قد تدخل الضرورة مع قدرتهم على تركها لاستقامة وزن الشّعر من غيرها..." (٧).

وعليه فقد كان شرح ابن جنّي لشعر المتنبّي نبراساً أضاء لمن جاء بعده من الشعراء؛ لأنّه أدرى بنفس صاحبه، وشرح المعاني الغامضة التي لم يزد فيها بقيّة الشرّاح إلا القليل على ضوء ما شرحه ابن جنّى.

⁽۱) التعريض هو: ما يفهم السامعُ مراده من غير تصريح ينظر: معجم التعريفات لأبي الحسن على بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني المتوفى سنة 816هـ وضع حواشيه محمد باسل عيون السُّود دار الكتب العلمية بيروت 1424هـ -2003م، ص 66.

⁽٢) ينظر: الخصائص ٢/١٦٦-167.

⁽٣) من بحر الكامل ، بالديوان ، ص 295

⁽٤) قالها يمدح فيها سيف الدّولة ويُرثي ابن عمه أبا وائل بن داؤود بن حمدان الذي توفى بحمص.

⁽٥) ينظر: الفسر ٢/٦٦.

⁽٦) ينظر: معجز أحمد 3/132 ، والعرف الطيّب ٢/٦٦.

⁽٧) ينظر: الخصائص ٢/٣٨٩.

المبحث الثالث: القول في (كلا وكلتا):

هُما اسمان ملازمان للإضافة، وقد ذهب الكوفيون إلى أنّ (كلا وكلتا) فيهما تثنيةً لفظيّةً ومعنويّةً؛ وأصل (كلا) (كلّ) فخففت اللام وزيدت الألف للتثنية.

وزيدت التاء في (كلتا) للتأنيث^(۱)، والألف فيهما كالألف في (الزّيدان والعمرانِ) ، ولزم حذف نون الثنية فيهما؛ للزومهما الإضافة. (۲)

ومذهبُ البصريّين أن فيهما إفراداً لفظيّاً وتثنيةً معنويّةً، والألف فيهما كالألف في (عصاً) و (رحاً).

وهُنا يقصر الألف الزائدة في حالة تنوين الاسم الصحيح.

أما الكوفيّون فاحتجُوا على أنّهما مثنيّان لفظاً ومعنى وأنّ ألفهما للتثنية ما نقلوه وقاسوه على قول الشاعر: (٣)

في كِلْتَ رجليها سُلامي واحدة * كلتاهُما مقرونة بزائِدة (٤)

والشاهدفي قوله (كلت رجليها) فاستعماله (كلت) دلّ على أنّه مفردٌ من (كلتا) التي للتثنية وهو يريد: إحدى رجليها.

وجاء قول ابن جنّي في باب (التثنية) إن (كلا) قد يُحمل الكلام بعدها على معناها فيُثنّي، وقد يحمل على لفظها فيفرد، والثّاني هو الأقوى فإذا حملت على المعنى فيضُعف أن تحمل على اللّفظ بعد ذلك(٥). ويعد ابن جنّي ألفها زائدة للدّلالة على التأنيث.

ويقول ابن جنّي: "وذلك جائزُ في لغتهم وظاهر وجه الحكمة ، قول الفرزدق: كلاهما حين جَدّ الجريُ بينهُما * قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي، (٦)

⁽١) وهذا رأى البغدايين والفراء، ينظر شرح الشموني ٣٤٢/٢ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٤٣٩/٢.

⁽٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيّين، المسألة 62 ص 439.

⁽٣) المرجع السابق نفسه (ولم ينسب لقائل).

⁽٤) ينظر: شرح الأشموني على الألفية شاهد رقم (18) ولسان العرب مادة (كلا)، والإنصاف: ٢٣٧/٢ وشرح الكافية لرضى الدين الاسترياذي ٢٨/١.

⁽٥) ينظر: الخصائص، بتحقيق عبدالحميد هنداوي، ط2 ، طبعة 1424هـ 2003م، ٢/٥٠٥.

⁽٦) من بحر البسيط، ينظر ديوان الفرزدق شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي برواية أبي العباس ثعلب، ، تحقيق دكتور عبدالقدوس أبوصالح ، دمشق، 193ه- 1973م، ٣٣/١ ، ونوادر أبي زيد الأنصاري ، طبعة دار الشروق، ص 453، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ٤٤٧/٢ ، وشرح الأشموني ٢٣/١.

فقوله: "كلاِهُما قد أقلعا" ضعيفٌ ؛ لأنه حملُ على المعنى وقوله: "كلا أنفيهما رابي" قويٌ، لأنّه حملٌ على اللفظ. (١)

وسيبويه - رحمه الله - ونحاة البصرة لا يرتضون قول البغداديّين بأنّ: (كلت) هُنا - مفرد - (كلتا) ، وزعمُوا بأن (كلا) و (كلتا) أصلهما قبل اللواحق (كلّ) بلام مشددة ، نحو قولك: الأمر كله بيد الله وذلك بعدهما (كلا وكلتا) مُثنيين لفظاً ومعنّى ويرى سيبويه، أن الألف فيهما هي لامُ الكلمة فوزن (كلا) فِعَل (بكسر الفاء وفتح العين)، نظير (رضا) و (مِعَي)، وهذه الأخيرة منقلبة عن واو خلافاً لابن جنّي الذي عدّ أنّ أصل الألف ياء، واختار أبوعلي الفارسي هذا لأن ألف (كِلتا) زائدة للدّلالة على التّأنيث.

ويقول ابن جنّي أصل (كلا وكلتا) كُلّ كأنّهم حذفُوا الواو وأبقوها على الضّمة، وإن العرب يضيفونها إلى الاسم الظّاهر، ويلزمونها الألف (رفعاً ونصباً وجرّاً) نحو: (كِلا الرّجلين مؤدّبٌ) و (كلا الرّجلين مودّبٌ) و (كلا الرّجلين مستقيمٌ) (٢).

ورأى ابن مالك أنّ (كلا وكلتا) من ألفاظ التوكيد المعنوي، حيثُ يؤكد بـ (كلا) المثني المؤنّث نحو: جاءت المُثني المؤنّث نحو: جاءت الهِنداتُ كلتاهُما ، وهُنا لابُدّ من إضافتهما إلى ضمير يُطابق المؤكد، وذلك في نظمه:

وكُلاً انكُرْ في الشَّمولِ، وكِلا * وكِلتا جميعاً - بالضّمير مُوصَلا * وكِلتا جميعاً - بالضّمير مُوصَلا * ويقول الأشموني في قول ابن مالك:

بالألف ارفع المثنّي وكِلا * إذا بمضمر مضافاً وُصِلا

كِلتا كذاك، اثنانِ واثنتانِ * كابنين وابنتينِ يَجريانِ

وتخلف اليا في جِميعها الألِف * جرّاً ونصباً بعد فتح قد أُلِفُ(١)

⁽۱) ينظر هذا في باب الجمع بين الضعيف والأقوى في عقد واحدٍ، وجاز هذا عنده لسماعه عن العرب في أشعارهم اتفاقاً مع البغدادين والفراء خلافاً للجوهري ينظر: معجم صحاح اللغة وتاج العربية للجوهري مادة (كلا).

⁽٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٠٤٤.

⁽٣) ينظر: شرح ابن عقيل على الألفيّة ١/٥٥.

ويريد ابن مالك: إن هذه المخرجات -التي ذكرها في نظمه- إنما هي ملحقات بالمثني في إعرابه، وليست منه؛ لذلك يقول: ارفع بالألف (كلا) إذا وُصِل بمضمر حال كونه مضافاً إلى ذلك المضمر حملاً على المثني الحقيقي وذلك نحو: جاءني الرّجلان كلاهُما والمرأتان كلتاهُما.

أما إن أضيفا إلى ظاهرٍ أُعربا بحركاتٍ مقدّرة على الألف (رفعاً ونصباً وجرّاً)، وبعضهم يعربهما إعراب المقصور مطلقاً. (٢)

وقال ابن جنّي: "قولنا: أخذتُ كلّ المال، وضربتُ كل القوم، فليس (كل) هو ما أُضيف إليه، إنّما (الكلّ) عبارة عن أجزاء الشيء ، فالأجزاء كلها هي الجملة ، فقد عاد الأمر إلى إضافة الشيء إلى نفسه وهذا فاسدٌ، وليس أجزاء الشيء هي الشيء وإن كان مركباً منها بل الكلّ في هذا جارٍ مجرى البعض، في أنّه ليس بالشيء نفسه، يدلّ على ذلك أن حال البعض متصورة في الكل كقولك: كلّ القوم على انفراده عاقلٌ، وهو طريق الحمل على اللّفظ^(۱) كقوله تعالى: ﴿ وَكُلُهُمُ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيكَمَةِ فَرُدًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ كُلُتَا ٱلْجُنَنَيْنِ ءَانَتُ أَكُلُهَا

فوحد في لفظ الفعل بقوله: "آتية" و "آنت" ولم يقل: "آتيهم، وآتتا" فحمل على اللفظ وهو الوجه المختار عنده (٦) أما قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَخِرِينَ ﴾ (٧). فهو محمولٌ على المعنى دون اللّفظ وإنّما حمله على المعنى -هنا- لأنّ كُلاً فيه غير

⁽۱) وينظر شرح ابن عقيل ٧/١٥ ،.

⁽٢) ينظر شرح ابن عقيل ٢٠/١ ، والمعجم المفصل لشواهد النحو الشعريّة ١١٤١/٣ .

⁽٣) ينظر: الخصائص بتحقيق دكتور عبدالحميد هنداوي ٥٢٣/٢.

⁽٤) الآية (95) من سورة مريم.

⁽٥) الآية (33) من سورة الكهف.

⁽٦) (وأبوحيان يرى مراعاة اللفظ ثم المعنى) ينظر البحر المحيط 8/44 ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم، لدكتور عضيمة ٢/٣٥٠–351 ، وينظر ألفاظ الخصوص والعموم، دراسة تفصيلية لغوية، لدكتور سمير أحمد عبدالجواد ، المدينة المنورة ، 1406هـ 1985م ، ص 83.

⁽٧) الآية (87) من سورة النمل.

مضافة ولذلك عوّض عن ذكر الجماعة في الخبر، لأنه لم يأت في "كل" بلفظ الجمع، فاستغنى ب(كل) عن ذكر الجماعة في الخبر. (١)

ويرى أبوحيّان أنّ هذا الذي جاء في التنزيل أجود بإفراد لفظي "كلا وكلتا"^(۲) وهو حملٌ على اللفظ.

وجاء في التسهيل أنّه يمكن الاستغناء عن "كلتا" المؤنّث بـ"كلا" في المذكر لقول هشام بن معاوية: (٣)

يمُتُ بقُربِي النِّينبين كليهما * إليك وقربي خالدٍ وحبيبٍ (٤)

ويحمل صاحب المقرّب هذا التّذكير للمؤنّث حملاً على المعنى للضرورة كأنّه قال: "بقربي الشخصين". (٥)

ويؤكد دكتور عضيمة أنّ اكلّ في القرآن يُراعي لفظها، و معناها لأنّ لفظها مفرد، ومعناها جمع، فيحُمل على لفظها بالإفراد وعلى معناها بالجمع. (٦)

والمبرّد يرى أنّ الحمل على المعنى ليس ببعيدٍ ، بل هو وجه جيدُ (۱) ، اتفاقاً مع ابن جنّي لما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِرِينَ ﴾ (١).

⁽١) ينظر: الخصائص ٥٢٤/٢ ، والبحر المحيط ٩٧/٧ -98، ط 2 وقيل: قراءة الجمهور بالمد: (آتوه) ينظر الكشف عن وُجوه القراءات السبع علُلها وحِجّجُها: ١٦٧/٢.

⁽٢) ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، لمحمد بن يوسف أبي حيان بتحقيق مصطفى أحمد بن النماس، ط1 القاهرة ، 1405هـ – 1984م، ١١/٢.

⁽٣) ينظر: شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لجمال الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله الطائي الجياني، ابن مالك، بتحقيق محمد كامل بركات ودكتور محمد بدوي المختون، دار هُجر، دار الكتاب العربي مصر 1398هـ 1967م ص 12 والمقاصد النحوية في شرح شروح الألفيّة ١٠٦/٤.

⁽٤) لم أعثر على ديوانه .

^(°) ينظر: المقرب لعلي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، المُتوفى سنة 669هـ بتحقيق أحمد عبدالستار الجواري، وعبدالله الجبوري، ط 1، 1391هـ – 1971م: ٢٣٩/١. وينظر: ما دار بين عمرو بن حمران الجعدي وعائذ بن يزيد اليشكري في المثل (كلاهما وتمرا). ينظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، لأبي عبيدة البكري، الأوبني، حققه وقدم له دكتور عبدالمجيد عابدين، ودكتور إحسان عباس، ط 1، جامعة الخرطوم، 1379هـ 1958م، ص 99.

[.] (7) دراسات (7) دراسات (7) دراسات (7)

⁽٧) المقتضب للمبرد، ٢٩٨/٢.

⁽٨) الآية (87) من سورة النمل.

ويرى صاحب المخصّص متفقاً مع من سبقوا، وممثلاً لجريان (كل) مرة على اللّفظ وأخرى على المعنى، فيقول: "يُقال: كلّهم ذاهب وكُلّهم ذاهبون". (١) وممّا جاء فيه استعمال (كلا) عند أبى الطيّب:

بكيتُ عليها خيفةً في حياتها * وذاق كلانا فَقُدَ صاحبه قِدما(٢)

يقول ابن جنّي: "يريد طول تغرُّبه عنها فثكلها وثكلته قبل الموت"(")، والمعرّي أوّل من جاء بذلك المعنى، وقد نُصب (قِدْماً) على الظّرف أي: في زمان، ورُوى: (خيفة) وحقبةً أي: مُدّة من الدّهر، وهو يقول: "يُريد: بكيتُ عليها في حياتها خوف فقدِها، وفرّقت الأيام بيني وبينها، فذاق كُلُّ منّا ثكل صاحبه قبل الموت" (٤)

وقد استخدم أبوالطيّب (كلانا)، مُضيفاً ضمير الجمع بدلاً من المثنّي حملاً على المعنى، وذلك لعظمة جدته عنده وهذا ما قاله ابن جنّي لانه أقوى لأن حمل (كلا) بعد اللفظ فيه ضعف (٥).

ومن قول أبي الطيّب حاملاً (كلا) على اللّفظ "للمثني المذكر" مضيفاً ضمير التثنية إليها في:

أسدٌ يرى عُضويه فيك كِلِيهما * متناً أزلَّ وساعداً مفتولاً(١)

جاء بشرح ابن جنّي: أنه قد شبه بدر بن عمار بالأسد في قوة أعضائه وفتل ساعده، وتبعه المعرّي واليازجي. (٧)

⁽١) ينظر: المخصص لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي ، ابن سيده، المتوفى سنة 450هـ، بتحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، بدون طبعة وتاريخ ، مادة (كلا).

⁽٢) من بحر الوافر ، ديوانه طبعة دار الجيل ص 174 ، وقالها بمناسبة رثاء جدته التي كتبت له لطول الشقة بينهما وعندما عاد وجدها توفيت.

⁽٣) ينظر الفسر شرح ابن جنّي لديوان أبي الطّيب ٥٤٤/٣ وقد أكدّ الشراح تبعاً لرأى المحقق ورود (ثكل) بدلاً عن (فقد).

⁽٤) ينظر: معجز أحمد للمعري: ٢٥٦/٢ ، والعرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب ٢٤٤١.

⁽٥) ينظر: الخصائص ، ط 2 بتحقيق هنداوي، ٢٠/٥٠٥.

⁽٦) من بحر الكامل ، لديوان المتنبّى طبعة دار الجيل ، ص 146، وهذه مطلعها :

وردّ إذا ورد البحيرة شارياً * ورد الفُرات زئيرُه والنيلا

في مدح بدر بن عمار، الأزل: قليل اللحم ويريد بعضوية ما ذكره من المتن والساعد، ينظر الفسر ٣/٥٨٤.

⁽٧) ينظر: الفسر ١٧٧/٣ ، ومعجز أحمد ١٦١/٢ ، والعرف الطيّب ٢٩٨/١.

ولعمري قد حمل (كلا) على اللّفظ لأنّه أعاد الضمير (هما) متصلاً بها في موضع بدلاً عن (عضوية).

وقد استبدل أبوالطيّب لفظ (كُلّ) بدلاً عن المثني، وأضاف إليه ضمير الجمع (نا) في قوله:

شاعِرُ المجَدِ خدِئُـهُ شاعِرُ اللف * ظكلانا ربُّ المعانى الدّقاق(١)

المعرى يقول: "جعله خدناً له لنفسه تخصصاً به، وتحققاً لمودته، فيها تكبّر وتطاول، وأضاف أنّ كلاً منّا يغرُب في فنّه، ويأتي بدقائق المعاني التي يعجزُ عنها غيره، فالملوك عجزوا عن مجده، والشعراء عجزوا عن شعره. (٢)

وجاء قول أبي الطيّب مستخدماً (كلتا) للمثني المؤنّث، حملاً على اللّفظ تارةً، وحملاً على اللّفظ تارةً، وحملاً على المعنى تارة أخرى ، مضيفاً لها ضمير التثنية بعد تاء التأنيث وذلك في قوله: (٣)

مثَّاتِ عينيكِ في حشاى جراحةً * فتشابها كِلتاهما نجالاءُ (٤)

جاء في شرح ابن جنّي: إنّ النجلاء: الواسعة، يقال: عينُ نجلاءُ وطعنةً نجلاء، وخرقٌ أنجلُ، وكله الواسع، ويُضيف ابن جنّي وقوله: "كلتاهُما نجلاء في موضع نصب على الحال كأنّه قال: فتشابهاً نجلاوين، وإن شئت لم يكن للجملة موضعٌ من الإعراب. (٥)

وقال: "فتشابها" ، ولم يُقل "فتشابهتا"، حمله على المعنى فكأنُهُ قال: "فتشابه المذكوران أو الشيئان، أو ذهب بالعين إلى العضو وبالجراحة إلى الجُرح وأفرد نجلاء؛ لأنّ (كلتا) مفردة، فردّها إلى اللّفظ وإنّما أراد بها تثنية (العين والجُرح). (٦)

⁽۱) ينظر من بحر الطويل ، ديوان المتنبّي ص 242 ، ويقول ابن جنّي أنت شاعر المعاني وأنا شاعر اللفظ. والمعنى: الخدن: الصديق والصاحب، أي كل واحدٍ منا خليل الآخر، فكل واحدٍ منا يفتنُ في صناعته. ينظر العرف الطيّب لليازجي ٤٤٥/١.

⁽٢) ينظر: الفسر ٢/٦٠٦ ، ومعجز أحمد ٢/٤٩٤.

⁽٣) ينظر: ديوان المتنبّى ص 125 ، وقاله أبوالطيّب يمدح أبا على هرون بن عبدالعزيز الأوراجيّ "الكاتب".

⁽٤) ينظر: الفسر ٧٣/١ ، ويقول ابن جنّي: "يريد أبوالطيّب أي: لما نظرتُ إليك جرحت قلبي جراحةً أشبهت لسعتها عينُك".

⁽٥) سقط شرح ابن جنّي لهذا البيت من نسخة الفسر المصرية ونسخة المكتبة البريطانية (ك،ب).

⁽٦) ينظر: معجز أحمد ٨٢/٢ ، والعرف الطيّب ١/٢٦٨.

وجاء في ديوان أبي الطيّب استخدام كل حملاً على المعنى بدلاً من كلا في قوله: (١)

تجمّع في ب كُل لسن وأمه * فما يُفهمُ الحُدّاثَ إلاّ التُراجمُ (٢)

ويقول ابن جنّي: استخدام كلّ حملاً على المعنى لأنّه لم يقل كل الألسنة بل أضاف المفرد إلى كل^(٣).

أما المعرّي فيقول: إنّ كلمة لسن جاءت في التنزيل بمعنى اللّسان في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلُنَا مِن رَّسُولٍ إِلّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (أ). قرأ بها أبوالسمال (أ): (لِسن) – بكسر اللام وسكون السين – فاللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى واحد ، فإذا أردت اللسن هو اللغة والكلام ، وإن أردت العضو فلا يقال فيه اللسن إنما ذلك (لسان)، كما يسمى الشيء باسمه ، لملابسته ($^{(7)}$ إياه كالراوية والظعينة ونحوها، وقال أبوحيان: "قرأ الجحدري ($^{(Y)}$ (لُسن) بضم اللام ($^{(A)}$.

ويقول المعرّي: الحُداث: جمع حادث وهو بمعنى المتحدّث والتراجم: جمع ترجمان، وقد نطقت به العرب، وتبعه اليازجي: الحدّاث: القوم المتحدّثون وهو جمع بلا واحد "اسم جمع".

⁽١) من بحر الوافر بديوان أبي الطيب طبعة دار الجيل، ص 387 ، وقيل فيه : اللسن: اللغة، الحداث : القوم، أي كل واحد منهم.

⁽٢) أي: كلُ واحد منهم ، أو حمل الجمع على المفرد (كُلّ) حملاً على المعنى.

⁽٣) ينظر: الفسر ٣/٣٩٠.

⁽٤) الآية (4) من سورة إبراهيم.

^(°) هو قعنب بن أبي قعنب ، أبوالسمال ، العردي البصري ، له اختيار في القراءة شاذ عن العامة، رواها عن أبي زيد الأنصاري ، وأسند الهذلي قراءة أبي السمال عن سند صحيح ، ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء ٢٧/٢ .

⁽٦) الملابسة: من لبس عليه الأمر ، ولبسّه ولابسه ، احتمل كذا وكذا ، والتبس به ، وتلبس ، ولابست فلاناً حتى عرفت دخلته: خالطته ، والتبست عليه الأمور وفي أمره لبس ولبسة -بالضم - إذا لم يكن واضحاً، ومن المجاز فيه : ملتبس : مجتمع ، وفلان قد لابس الناس عاش معهم ينظر: أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري ، ط1، دار صادر ، بيروت ، 1413ه-

⁽٧) هو ميمون ، أبوالمحشر الجحدري البصري، مات قبل 130هـ، ينظر ترجمته غاية النهاية في طبقات القراء ١٦٢/٢ .

⁽A) ينظر: المحتسب: 2/233، والبحر المحيط ط3، 5/405، وروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، لأبي الفضل السيد محمود الألوسي البغدادي، تصحيح السيد محمود شكري الألوسي، دار الطباعة المنيرة لإحياء التراث العربي، بيروت، طبعة 1405هـ 1984، ٢/٥٨٢.

ومن استقرائي لديوان المتنبّي وجدتُه كثيرامايحمل "كلا وكلتا"على المعنى وهذا ما رآه ابن جِنّي.

ورأيي أنّ أبا الطيّب قد حذا حذو صاحبه في الحمل على المعنى أكثر من اللهظ وهذا ما يستحسنه ابن جنّي من أنّه يستشهد بالمتنبّي وبشعره من حيث المعاني لأنّها هي التي تهجم بها طبائع العرب وترمى لتوصيلها أنى شاءت بالألفاظ التي تراها مؤدّية للمعاني المرادة.

المبحث الرّابع ضمير الفصل وإعرابُه ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: الفصل عند النحاة.

المطلب الثاني : الفصل عند المفسرين .

المطلب الأول: ضمير الفصل عند النحاة:

وهو ما يُسمّى عماداً عند الكُوفييّن، ويُفصل به بين النّعت والخبر، ويجعلون له موضعاً من الإعراب، وذهب بعضهم إلى أن حكمه حكمُ ما قبله، وآخرون أن حكمه حكمُ ما بعده (۱)، وذلك خلافاً للبصريّين الّذين يرون أنه يُسمّى فصلاً؛ لأنّه يفصِلُ بين النّعت والخبر، إذا كان الخبر مضارعاً لنعت الاسم؛ ليخرج من معنى النّعت، كقولك: "زيدٌ هو العاقلُ"، ولا موضع له من الإعراب وكأنّه آذن بتمامه، وأنّه لم يبق منه بقيّةٌ من نعتِ، ولا بدل إلا الخبر لا غير. (۲)

والكوفيون احتجوّا بأنّه يكون توكيداً لما قبله، لينزل منزلةً في النفس، لتقوية الخبر، كما تقول: "جاءني زيدٌ نفسُهُ ف (نفسهُ) تابعٌ لما قبله في الإعراب، فكذلك العماد في قوله: "زيدٌ هو العاقلّ"(")، فهم يجعلونه تابعاً لما قبله لما فيه من معنى توكيد الخبر فيما قبله، وبعضهم يتّخذُه تابعاً لما بعده؛ لزعمهم أنه مع ما بعده كالشيء الواحد، فوجب أن يكون حكمه بحكم ما بعده.

وابن جنّي يرى أنّهم حملوا الضّمير المنفصل على المتّصل في البناء؛ لمّا غلب شبه الحرفية عليه، إذ كان ضميراً مثله، وقد يستعمل في بعض الأماكن في موضعه (٤)، وقد استشهد ابن جنّى ببيت الفرزدق:

بالوارِث الباعِثِ الأمواتِ قد ضَمِنت * إياهُمُ الأرضُ في دهرِ الدّهاريرِ (°)

وشاهده أنه يمكن أن يقول: "ضمنتهمُ الأرض" بدلاً عن (ضمنت إياهُمُ الأرضُ). (^{٦)} وهذا ما رآه سيبويه قبله من انفصال الضمير مع إمكان اتصاله، واختار

⁽۱) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة 100 (۲۰٦/۲) وينظر: شرح الكافية للرضي ٢٤/٢ وشرح المفصل لابن يعيش: ١١٨/٢.

⁽٢) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ٢٩٦/١.

⁽٣) ينظر: المصدر السابق نفسه، والإنصاف في مسائل الخلاف ٧٠٦/٢.

⁽٤) ينظر: الخصائص ٣١٢/١ بتحقيق دكتورعبدالحميد هنداوي، ط 2، ٤١٢/١، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة رقم 98، وضرائرالشعرص ٢٦١.

⁽٥) ينظر ديوان الفرزدق ٢/١٤، الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٦٨/٢، وشرح ابن عقيل ومعه منحة الجليل تأليف محمد محي الدين عبدالحميد، في مدح يزيد بن عبدالملك بن مروان ٩٩/١.

⁽٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٩٩/٢، والخصائص ٣١٢/٢، وشرح ابن عقيل شاهد رقم (15)، وينظر: ضرائر الشعر، لابن عصفور، ص ٢٦١.

الانفصال في نحو: (كنتُ إيّاهُ)، ولا يقول: (كنتُهُ)، ومذهبه أرجح لأنّه هو الكثير في لسان العرب، على ما حكاه سيبويه، وهو المشافه لهم وقال: "قد سمع من يُوثق برواية العرب قولهم: (١)

كأنَّ ا ي وم قُ رِّي إ * نّم ا نَقُت لُ إِيّان اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ

ورأى ابن مالك أنه لا يؤتى بالصّمير المنفصل إذا أمكن أن يؤتى بالمتصل، ولا يجوزالعدول عن المتصل إلا في عشرة مواضع، وإن لم يكن الإثبات بالمتصل تعيّن المنفصل نحو إيّاك أكرمتُ وذلك من قول الناظم:

وفي اختيارٍ لا يجئ المنفصل * إذا تاتي أن يجئ المتّصِل (٦) فهو من ضرورة الشعر التي لا يجوز استعمالها في اختيار الكلام.

وجاء صاحب الجُمل المعاصر لابن جنّي قوله: "اعلم أن العرب تجعل (هو، وهي، وهما وهنّ وأنت وأنتم وأنتما)، وما أشبهها فصلاً بين كل معرفتين، لا يستغنى أحدُهما عن الآخر، وبين معرفة ونكرة (تقارب المعرفة) وذلك في باب (كان وأخواتها) وباب (إنّ وأخواتها)، وفي الظنّ والابتداء والخبر وذلك قولك:

"كان زيدٌ هو القائم، بجعل (القائم) خبراً لكان و (هو) الفصل لا يُعتدّ به". (٤) وإن قُلت: "كان زيدٌ هو القائمُ فتجعل (هو): مبتدأ والقائم: خبره والجملة خبر كان، ومثله (كنت أنت القائمُ والقائمَ -بالرفع والنصب (٥) - والرفع هو لغة بنى تميم.

⁽۱) نسبه سيبويه لذي الإصبع العدواني: ينظر الكتاب (باب ما يجوز في الشعر من إيا ... وما لا يجوز في الكلام) ۱۱۱/۲.

⁽٢) نسبه ابن جنّي في الخصائص لبعض اللصوص 2/362 ، وينظر أمالي ابن الشجري ٣٩/١ ، ونسبه هذا في ٢/٤ الابن بجيلة ، وقرئ بالضم وتشديد الراء (قرّ) وهي موضع في بلاد بني الحارث بن كعب. وشاهده قوله: "نقُتلُ إيّانا" ، وهذا دليل لاستحالة وضع المتصل موضع المنفصل فلا تقول "نقتلنا".

⁽٣) ينظر فيها شرح ابن عقيل مع منحة الجليل ، ط1 ، 97-98 (هامش 2) .

⁽٤) ينظر: الجمل في النّحو، لأبي القاسم الزّجّاجي، بتحقيق وتقديم على توفيق الحمد، ط 1، مؤسسة الرّسالة، دار الأمل 1404ه-1984م، ص 142.

⁽٥) خلافاً لابن عصفور في حالة النّصب ، فيعربه بدل أو فصل.

ولابن جنّي في إعراب الفصل، الذي يعدّ "ضمائره" أوتي بها طلبا للخِفّة، ف (أنت وأخواتها وإياك وإياي) حروف للتكلم والخطاب والغيبة (إيّاه)، فيقول عليه: إنه مذهبٌ هولٌ وهو إنّه -كذلك- جار على القوّة ومقتاس بالصّحّة". (١)

وهو يقيسها على المتّصِلَة من (قمت وقعدت) ف (التاء) تفسد الاسميّة وتخلص للتكلم والخطاب؛ لأن الاسم في (أنت):(أن) وحده والتاء من بعدُ للخطاب.

وأمّا الضمائر المنفصلة فجارية بانفصالها مجرى الأسماء الظّاهرة القويّة المعربة. (٢)

خلافاً لقول الخليل في الكتاب بأن العرب صيرت (هو) فصلاً في المعرفة بمنزلة (ما) إذا كانت لغواً وهم يقصدون ما كانت في (إنّما وكأنّما) وممّا يقوّى ترك ذلك في النّكرة، لأنه خالف المعرفة في الواجب (المثبت) الذي هو بمنزلة الابتداء، لم يجر حكمه في النكرة مجراه، لأنّه قبيحٌ في الابتداء نحو: أظنّ رجلاً خيراً منك، لا يستقيم حتى تنفي بقولك: لا أظنّ رجلاً خيراً منك، فجيدٌ بالغٌ، وتجعل رجلاً بمنزلة (أحداً).(٢)

ويقصد بذلك أنّ الرّفع هو الوجه المختار في الإثبات (هو خيرُ)؛ لأنّ الجملة في محل نصب المفعول الثّاني (أظن) ولا تكون حالاً لأنّ ما قبلها نكرة إلا إذا استندت على النفي ونحوه.

المطلب الثانى: ضمير الفصل عند المفسرين:

وأبدأ بابن جنّي- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ هَـُوُلآء بَنَاقِ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَأَتَّقُواْ اللّهَ وَلَا تُخُرُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُورُ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ (١).

⁽١) ينظر: الخصائص في باب (خلع الأدلة) ، تحقيق دكتور عبدالحميد هنداوي ، ط2، ٥٣٤/١.

⁽٢) ينظر المرجع السابق (باب خلع الأدلّة): ٥٣٣/١-535 ، والكتاب: بتحقيق هرون) ، وينظر: شرح الجمل لابن عصفور ٢/٥٦.

⁽٣) ينظر الكتاب: "باب لا تكون هو وأخواتها فصلاً" طبعة هارون ١/٥٩٥-397 ، وينظر: الخصائص قول ابن جتّي: "الضمير الشّأن لا يؤكد ولا يُعطف عليه ولا يبدل منه ولا يوصف" الخصائص ٤٠٧/١-408.

⁽٤) الآية (78) من سورة هُود.

قال أبوالفتح: "... وأنا من بعدُ أرى أنّ لهذه القراءة وجهاً صحيحاً وهو أن تجعل (هُنّ) أحد جزأي الجملة (هُنّ بناتي) ، وتجعلها خبراً لـ (بناتي) كقولك: "زيدٌ أخوك هو "، وتجعل (أطهر) حالاً من (هُنّ) أو من (بناتي) والعامل فيه الإشارة (هؤلاء) كقولك: هذا زيدٌ هو قائماً أو جالساً أو نحو ذلك، على قراءة سعيد ابن جبير والحسن. (۱)

هذا خلافاً لسيبويه الذي جعل (هُنّ) فصلاً وهو ليس بين جزأي الجملة (هؤلاء بناتي أطهر)، وعدّ ابن جنّي هذه القراءة ضعيفة مع قبح ذلك. (٢)

وأبوحيّان يرى أنّ الجمهور قرأ (أطهر) بالرّفع، والأحسن في الإعراب أن تكونا جُملتين ، وجوّز في (بناتي) أن يكون بدلاً، أو عطف بيان، و (هنّ) فصل، و (أطهر) الخبر وأورد قراءة الفرّاء بالنّصب له (أطهر) ويقول: إنّها رويت عن مروان بن الحكم على نصب (أطهر) على الحال، وجاء يقول المبرّد بتخريج القراءة على جعل (هؤلاء بناتي) مبتدأ وخبره (هُن)، وقيل (لكم) (خبره) وقيل العامل المضمر (هم) لما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار، وقيل (هُنّ) فصل و (أطهر) حال ، ورُدّ بأنّ الفصل لا يقعُ بين جزأي الجملة، ولا يقع بين الحال وصاحبه، وقد أجاز ذلك بعضهم وادّعي السّماع عن العرب لكنّه قليلٌ. (٣)

ويقول دكتور محمد عبدالخالق عضيمة: "إن الضمير يحتمل الفصل، والمبتدأ إذا وقع بعد اسم ظاهرٍ، أو دخلت عليه اللام مطلقاً، سواءً أكان بعد اسم ظاهر أو ضمير. (٤)

وعلى هذا القول يعرب الفصل (هُنّ) مبتدأ و (لكم) خبره ، أو الجملة الاسمية بعده خبراً له ، وهو على هذا فصلٌ على مذهب الكوفيّين.

⁽۱) ينظر: المحتسب: طبعة القاهرة 1389هـ- 1969م، ١/٣٥٥-326 وينظر: البحر المحيط لأبي حيان ط ٢٤٧/٥، 2

⁽٢) ينظر: البحر المحيط: ٥/٨٤٨، والكتاب ٣٩٧/٢.

⁽٣) ينظر: البحر المحيط: 5/248-249.

⁽٤) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1/139-140.

أما أبوعمرو فيقول: "... والأحسن أن يكون (هؤلاء) مبتدأ، (بناتي هُنّ) جملة حاليّة لأنّ الفصل لا يقع بين الحال وصاحبها، وأجاز ذلك بعضهم فادعى السّماع عن العرب، ومنهم أبوحيّان (١). والزمخشري، (٢) والعكبري. (٣)

ويرى الزّمخشري أنّ ضمير الفصل في القرآن يحتمل البدل مع الابتداء، والفصل، وأنّه يجعل له -هُنا- موقعاً إعرابياً كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَهُ ٱللّهِ وَلَهُ يَعَالَى: ﴿ وَكَلِمَهُ ٱللّهِ وَلَهُ يَالُكُ اللّهِ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ ال

ومن الآيات ما يحتمل الفصل والتوكيد كما في قوله تعالى: "﴿ إِن تَكُرنِ أَنَا أَقَلَ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ "(٦).

وأبوحيان يقول: "إن كانت (ترى) علميّة ف (أنا) فصلٌ أو توكيدٌ للضمير المتصل بها (١٠)، ومثله قوله تعالى: "﴿ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِندَ ٱللّهِ هُو خَيْرًا وَأَعْظُمَ أَجُرًا ﴾ ومثله قوله تعالى: "﴿ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِندَ ٱللّهِ هُو خَيْرًا وَمُا نُقَطِّم أَجُرًا ﴾ خلافاً للزمخشري الذي يُعرب (هو) فصلاً فقط. (٩)

وكل ما جاء في القرآن محتملاً الضمير الفصل والابتداء والتّوكيد، وقع بعد الضمير فعل، وقبله ضميرٌ لم تدخل عليه لام الابتداء كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحَنُ نَزَّلْنَا الضمير فعل، وقبله ضميرٌ لم تدخل عليه لام الابتداء كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحَنُ نَزَّلْنَا المؤكّدة. (١١)

⁽¹⁾ ينظر: البحر المحيط ٢٤٧/٥.

⁽²⁾ الكشاف للزمخشري: طبعة دار المعرفة بيروت، ٢ / ٤١٤.

⁽³⁾ ينظر إملاء ما منّ بن الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري، المتوفى سنة 616هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ، 1399هـ – 1979م، 177/ "هذا بعيدٌ وإنّما يجئ في ضرورة الشّعر".

⁽⁴⁾ الآية (40) من سورة التوبة.

⁽⁵⁾ ينظر: الكشاف ٢٧٢/٢.

⁽⁶⁾ الآية (39) من سورة الكهف.

⁽٧) ينظر: البحر المحيط ١٢٩/٦.

⁽٨) الآية (20) من سورة المزمل.

⁽٩) ينظر: الكشاف: ٨/٣٦٧، والبحر المحيط ٣٧٦/٨.

⁽١٠) الآية (9) من سورة الحجر.

⁽١١) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث ، القاهرة ، بدون طبعة، وبدون تاريخ، ١٤٦/١.

وأبوحيّان يستحسن الفصل بالضمير عندما يكون معناه التخصيص^(۱) مثل قوله تعالى: "هرْ إِنَّ شَانِعَكَ هُو ٱلْأَبْتَرُ فِي "(۲).

أي هو المنفرد بالبتر، المخصوص به، لا رسول الله فجميع المؤمنين أولاده، وذكره مرفوع معروف. (٣)

ومن استقرائي للآيات المحتملة للفصل، أو التوكيد أو الابتداء، وصلت إلى أنه إذا وقع ضمير الفصل بعد أحد أسماء الله تعالى تقرّر الفصل ويكون هُنا الضمير لا محل له من الإعراب على قول البصريّين، كما في قوله تعالى: "﴿ يَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُو خَيرًا ﴾ "فصل به بين مفعولي "تجد" ومعظمه بين اسم إنّ وخبرها وقوله: "﴿ وَكَلِمَةُ اللهِ هِي الآية.

وورد في ديوان أبي الطيّب استخدام ضمائر فصل كثيرة في مواضع عدّة من شعر المتنبّي، وسأورد بعضها على سبيل المثال لا الحصر، بل بتفصيل أقوال الشُرّاح حول هذه الأبيات ومنها قوله: في صف انتصار سيف الدّولة في غزوة السنبوس قائلاً(١):

وجدتُمُوهُم نياماً في دِمائِكُمُ * كان قتلاكُم إياهُمُ فُجِعُ وا^(٧) يشرح ابن جنّي بقوله: أي في دماء قتلاكُم، وكأنّ قتلاكم فجعوهم فهم قُعُودٌ بينهم بتوجعُون لهم.

⁽۱) معنى التخصيص: والخصوصية والتخصص تقرُّد بعض الشيء بما لا يشاركُه فيه الجملة أو العامة. ينظر المفردات في غريب الفاظ القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرّاغب الأصفهاني، المتوفى سنة 502ه، راجعه وقدّم له وائل أحمد عبدالرحمن، إشراف توفيق شعلان، المكتبة التوفيقية، مصر، بدون طبعة، وبدون تاريخ، مادّة خصّ خصص – وينظر: أساس البلاغة: (خصص)، ص 155.

⁽٢) الآية (3) من سورة الكوثر.

⁽٣) ينظر: البحر المحيط ٥٢/٨.

⁽٤) الآية (20) من سورة المزمل.

⁽٥) الآية (40) من سورة التوبة.

⁽٦) ينظر: الفسر ٢/٢٣٩.

⁽٧) القصيدة من بحر البسيط، الديوان ص 314، (يصف المسلمين سنة 339هـ).

ويذكر المعرّي أنه أراد أنّ المجد وحُسن الحال إنّما يُكسبان بالسّيف، فأطرح هذا المجد عن كفّي ثم أطلبه، أو أترُك سيفي في غمدي، وأشجع المعروف من وجهٍ آخر، وعلّل اليازجي بقوله: "وذلك لأنّهم كأنوا يطرحون أنفسهم بين القتلى خوفاً من الرّوم". (١)

وترى الباحثة أن هذا جائز: لأن الحرب خدعة، والضمير وقع بين اسم كأنّ (قتلاكُم) وخبرها الجملة الفعلية (فُجعُوا)، والجملة مكتملة بدون (إيّاهم)، فهو إمّا أن يكون بدلاً عن الضمير المتّصل في (وجدتموهُم)، أو توكيداً له، أو لا محلّ له من الإعراب على رأى ابن جنّي بأنّ الفصل (ضمير الشأن) لا يؤكد ولا يُعطف عليه ولا يُبدل منه ولا يُوصف. (٢)

ولكنّه لم يقُل: "ولا يُخبر عنه" لذا لا يجوز أن يكون مبتدأ.

وقال أبوالطيّب (٣) مستخدماً ضميري فصل (أنتِ) و (هُنّ):

لك يا منازلُ في القُلوب منازلُ * أقفرتِ أنتِ وهُنّ فيكِ أواهِلُ (٤)

شرح ابن جنّي بقوله: ذكر أن منازل الحُزن في قلبه ومغانيه آهلةً وإن كانت المنازل نفسها قفراً -ووقّى للفظة الصّنعة حقّها، وطابق فيها أباتمام (٥) الذي ذكر أنّ أحشاءه منازلُ الأسى، ولم يذكر أنّها آهلة، ومن الإنصاف إذا ما ذكر الإنسان ذُكِر ما له. (٦)

ويُضيف المعرّي قوله: أي: يا منازل لك منازلٌ في قلبي وأنت نازلةً فيها، أي: إنيّ أذكرُكِ وأذكر أهلك وقد أقفرت أنت عن أهلك النازلين بك، واليازجي يقول:

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ٣/١٧٥، والعرف الطيّب: ٩٣/٢.

⁽٢) ينظر الخصائص: بتحقيق دكتور عبدالحميد هنداوي، ١/٧٠١ - 408.

⁽٤) من بحر الكامل، بالديوان ص 177.

⁽٥) قالها أبوالطيّب يمدح فيها القاضي أبا لفضل أحمد بن عبدالله الأنطاكي.

⁽٦) في قوله: وقفتُ وأحشائي منازلُ للأسى ** به وهو قفرٌ قد تعفّت منازله. ينظر ديوان ابي تمام، بتحقيق إيليا الحاوي، ٢١/٣.

⁽٧) ينظر: الفسر ١٨٩/٣.

وقوله: هُنّ أي: المنازل أي (منازُلك) التي في قلبي ذوات أهل (وهو يخاطب) منازل الأحدة. (١)

ويحتمل الضمير (هُنّ) الابتداء بعد واو الحال أو البدل من منازل القلوب في صدر البيت، وذلك حملاً على المعنى الذي أراده أبوالطيّب. وهذا واضح من قول ابن جنّى: "إذا حملت العرب شيئاً على المعنى لم تكد تُراجع اللفظ". (٢)

وقد جاء قول أبي الطيب مستخدماً ضمير الفصل بدلاً من الرياح ومن المخاطب سيف الدولة قائلاً:

بكرتْ ضررًا وبكرتَ تنفع * سجسجٌ أنت وهن زعَزعُ (٣)

وكل ما استخدمه أبوالطيّب من ضمير الفصل لم يكد يخرج عما أجازه اللغويّون، ودار على اللسان العربي، ولو في ضرورة الشّعر.

⁽¹⁾ ينظر: معجز أحمد ٢٧٠/٢، والعرف الطيّب ٣٤٨/١.

⁽²⁾ ينظر: الخصائص: ١٨٨/٢.

⁽³⁾ من بحر الكامل، ص300 بالديوان، قالها في تشييع يماك التركي في طريقه إلى الرقة وهبت ريح شديدة. ينظر قوله - عن ابن عباس: "هواء أهل الجنة سجسج لا حر ولا قر". ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك ابن محمد الجزري، ابن الأثير، تحقيق محمود محمد الطناحي، وطاهر أبمد الرازي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ-1979م، ٣٤٣/٣.

المبحث الخامس: العطف على اسم (إنّ) قبل تمام الخبر. (١)

جاء ابن الأنباري بآراء الكوفيين والبصريين، وما بينهم من خلافٍ في هذه المسألة، بأن الكوفيين يرون أنه يجوز العطف على موضع(إنّ) قبل تمام الخبر، واختلفوا بعد ذلك، فذهب الكسائي إلى أنّه يجوز العطف بالرفع مطلقاً، سواءً يظهر فيه عمل (إنّ) أو لم يظهر وذلك نحو: "إنّ زيداً وعمرو قائمان وإنّك وبكر منطلقان، خلافاً لأبي زكريا الفراء الذي يرى أنه لا يجوز ذلك العطف بالرفع إلا فيما لم يظهر فيه عمل (إنّ). (٢)

ومنع البصريوّن العطف على موضع اسم (إنّ) قبل تمام الخبر على كلّ حالٍ وتبعهم العكبري الذي رأى أنّه إذا عطفت على اسم (إنّ) قبل الخبر لم يُجز فيه إلا النّصب، وبه أخذ الفراء فيما يظهر فيه الإعراب. (٣)

وذهب جمهور البصريّين إلى أنّ العطف على محل اسم (إن) - قبل أن تستكمل خبرها - يتعيّن النّصب فتقول: إنّ زيداً وعمراً قائمان، وأجاز بعضهم الرّفع وجاء ذلك في قول ابن مالك - رحمه الله-:

وجائزٌ رفُعكَ معُطوفًا على * منّصوب (إنّ) بعد أن تستكمِلا(٤)

وابن جنّي ومن حذا حذوه يرى أنّ ذلك الرّفع له وجه عنده: هواته مُقدّمُ في اللفظ مؤخّرٌ في المعنى، وهو يريد أنّ فصل اسم إن (المبتدأ) عن خبرها (الخبر)، إنّما يجوز وقوع المعمول فيه بحيث يجوز وقوع العامل، ويمنع تقديم المعطوف على المعطوف عليه وبرى ذلك استئنافاً على الابتداء بعد التقديم والتأخير. (٥)

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 1/185-187 مسألة (23)، وشرح ابن عقيل: ٣٤٥/١.

⁽٢) ينظر: المصدر السابق ١٨٦/١، واللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، المتوفى سنة 616هـ، بتحقيق غازي مختار طليمات، ط 1، دار الفكر، دمشق، 1415هـ – 1995م، ١١٢/١.

⁽٣) ينظر: المصدر السابق 1/114 (وإن لم يظهر فيه الإعراب جاز فيه الرّفع).

⁽٤) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك، ط1، ٣٤٤/١-345.

^(°) ينظر: الخصائص، باب شجاعة العربيّة فصل في التقديم والتّأخير، ١٥٨/٢-165، وينظر رأى رضي الدين الاستراباذي في شرح الكافية (باب حروف العطف)، ٤٠٩/٤-413.

ومنع البصريون ذلك العطف (بالرفع قبل الخبر)، وعدّوا هذا من قبيل أن يعمل في اسم واحدٍ عاملان وهذا مُحالً.

وحمل الكوفيون رأيهم على العطف قبل تمام الخبر على اسم (لا) نحو: لا رجُل وامرأة أفضل مِنك؛ لأنهم يحملون الشيء على ضده كما يحملون على نظيره. (١)

واحتج الكوفيون بأن قالوا: الدّليل على جواز ذلك العطف على اسم إن قبل الخبر بالرّفع النقل والقياس، أمّا النّقل فقد جاء في قوله تعالى: "﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلصَّدِعُونَ ﴾ " (٢).

ووجه الدليل عند الكوفيين أنه عطف "الصّائبون" على موضع "إنّ" قبل تمام الخبر وهو قوله: ﴿ مَنْ ءَامَرَ عَالَيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ وقد جاء عن بعض العرب فيما رواه الثقات: "إنك وزيدٌ ذاهبان"، وقد ذكر ذلك سيبويه في كتابه على غلط أناس من العرب يقولون: أنهم أجمعون ذاهبون، ولكنّه لم يجز العطف بالرّفع وقد جاء بقول الشاعر: (٣)

من يك أمسى بالمدينة رحله * فإنّى وقت اراً بها لَغريب بُ(٤)

والشاهد قوله: "فإنّي وقياراً بها لغريب، حيث عطف على اسم إنّ بالنصب قبل خبرها (لغريب) والتقدير فإنّي بها لغريب وإنّ قياراً بها لغريب. (٥)

(٢) الآية (69) من سورة المائدة وتمامها قوله تعالى : ﴿ وَالنَّصَرَىٰ مَنْ ءَامَرَ إِلَيْهِ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَاخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَعْزَنُونَ ﴾.

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٨٦/١، وينظر الخصائص ٩٤/٢-95.

⁽٣) من بحر الطويل، وينظر ديوان ضابئ بن الحارث بن أرطأة التميمي البرجمي، ص 92. (لم أعثر على ديوانه).

⁽٤) قاله ضابئ في السجن حينما حبسه سيدنا عثمان -رضى الله عنه- لهجائه قوماً من بني جرول بن نهشل، وقيار اسم فرسه، الرحل: المنزل.

⁽٥) ينظر: الكتاب ٧٥/١، وشرح كتاب سيبويه ٢٦٥/١، وشرح ابن عقيل هامش 344، وشرح شواهد المغني لجلال الدين السيوطي، منشورات مكتبة الحياة وبذيله تصحيح الشيخ محمد محمود التلاميذ التركزي الشنقيطي، دون طبعة ودون تاريخ، ٨٦٧/٢، وينظر مغنى اللبيب، طبعة دار الطلائع، ١٣٥/٢.

وسيبويه يرى أن النصب أولى لمّا كان فيه فصلٌ بين اسم (إنّ) وخبرها بالمعطوف والجار والمجرور.

ومنهم من أجاز رواية الرّفع بقوله: "فإنّي وقيارٌ بها لغريب"، لأجل اللاّم في الخبر، وبعضهم رفع على الابتداء لخبر محذوف، وعدّ الواو للاستئناف، والتقدير: وقيارٌ بها كذلك لغريبُ، واستغنى عن الخبر لذكره مع أوّل قوله: "فإنّي بها لغريبُ"(١) وهذا رأى جمهور البصريين، خلافاً للكسائي الذي جعله خبراً لمبتدأ محذوف معطوف على موضع اسم (إنّ) قبل دخولها. (٢)

أما قول الكوفيين حول الدّليل من التنزيل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللِّذِينَ ءَامَنُواْ وَالْصَابِئُونَ ﴾ (٣) فجاء رأى ابن جنّي حول قولهم (٤)" (والصابئون) قيل: "قراءة الرّفع فيمن قرأ بها تحتاج إلى أن يقال: إنّه مقدّمٌ في اللفظ مؤخرٌ في المعنى حتى كأنّه قال: ولا خوف عليهم ولا همُ يحزنون والصابئون كذلك". (٥)

أما العكبري فيرى للرّفع في (الصابئون) وجهين:

أحدهُما أنّه معطوفٌ على الضمير في (آمنوا)، وقام الفصل بينهما مقام التوكيد. والثّاني: إن خبر الصابئين محذوفٌ، والنية به التأخير، وتقدير: إن الذين آمنوا ... ولا هُم يحزنون، والصابئون كذلك)، ويجوز أن يكون (فلا خوف عليهم) خبراً للصابئين وخبر (إنّ) محذوفٌ لدلالة هذا الخبر عليه. (٢)

⁽١) ينظر: المعجم المفصل لشواهد النّحو الشعريّة، تأليف إميل بديع يعقوب، ط1، ٨٩/٣.

⁽۲) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بإشراف د. إميل بديع يعقوب، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ – 1998م، ۳۱۳/۱، وينظر الأصمعيات، (طبعة منقحة) بتحقيق وشرح دكتور محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ۱٤۲۲هـ – ۲۰۰۲م، ص ۲۰۲.

⁽٣) الآية (69) من سورة المائدة.

⁽٤) ينظر: تأويل مُشكل القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة 276ه، ضبط حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1423هـ–2002م، ص 38، حيث جاء رأيه في العطف بالرفع على موضع اسم إن قبل دخولها وهو (الابتداء) وينظر: التحول في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع، للعباس بن جاسم أحمد، المجمع الثقافي، أبوظبي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، 1997م، ص 85-87.

^(°) ينظر: المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحيط (°) ينظر: المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحيط (°) ينظر: المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحيط (°) ينظر: المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحيط (°) ينظر: المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحيط (°) ينظر: المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحيط (°) ينظر: المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحيط (°) ينظر: المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحتسب بإشراف محمد توفيق عويضه، القاهرة، 1386هـ- 1966م، ٢١٧/١، والبحر المحتسب المحت

⁽٦) وينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، ص 112-113، وينظر إملاء ما من به الرحمن ٢٢١/١-222.

لم يأت ابن جنّي بهذا في شاهدٍ كما فعل ابن مالك وشرًاح ألفيته، وإنّما جاء به في القول عن التقديم والتأخير، (۱) مع الحذف وتقدير المحذوف، كما أسلفناه وهو يقول: "لا يجوز تقديم المعطوف على المعطوف عليه إلا في حالة (الواو) وحدها على قلةٍ فهذا ضعيفٌ من جهة القياس، فكأنّك أعملت في اسم واحد عاملين وليس هذا من باب الإعمال نحو: (قام وقعد زيدٌ)؛ -لأنّك هُنا- مُخيّرٌ أنّى شئت أعملت الأوّل أو الثّاني وليس هُنا كذلك. (۲)

ومن قوله يتضح أنّ الرّفع على اسم (إنّ) يجوز مع ضعفٍ، وهذا أحسبُ في ضرورة الشعر بعدها لغة عند بعض العرب، جرى عليها بعض القرّاء كما سبق الإشارة إليه.

والشّعر لا يحتمل هذا رغم التأويل الذي ذهب إليه المفسرّون بالمعنى؛ لأنه يكون على وزنٍ محدد ولا يحوي كثيراً من التّوابع إلا إذا تطلب المعنى تأكيداً أو عطفاً بعد المترادفات أو الأضداد، لأن المشهور الذي لا خلاف فيه بالإجماع العطف على اسم إن بالرّفع بعد مجئ الخبر كما جاء عن ابن مالك رحمه الله(٣).

ووجه الجواز على أنه يمكن أن يكون منصوباً لا مرفوعاً (المعطوف على اسم إنّ)، ومذهب سيبويه أنه يمكن أن يكون على التقديم والتأخير بعد مضى الخبر. (٤) وترى الباحثة أن استخدام المترادفات والتّوابع لا يكون في الشعر كثيراً لأنّه قد يؤدى إلى الخلل الذي يحدُث في الوزن والموسيقي الداخليّة للأبيات، والمتنبي أحرى أحرى أن يدراك ذلك، فهو لم يأت بها إلا بما هو جار على قواعد اللغة والعروض.

⁽۱) وهو يقول: "التقديم والتأخير ضربان: أحدهما ما يقبله القياس والآخر ما يسهلُه الاضطرار الأول كتقديم المفعول على الفاعل وعلى الفعل الناصية وعلى الظرف والخبر على المبتدأ والثاني كتقديم المفعول معه على الفعل الناصبة له، التمييز على ناصبه.

⁽٢) ينظر: الخصائص ١٥٨/٢-159.

⁽٣) ينظر هامش 4 ص 104 من هذا المطلب.

⁽٤) ينظر: الكتاب: ١٥٥/٢.

المبحث السمادس: الجرُّ على الجوار (على حذف المضاف):

إنّ مسألة الحمل على الجوار وردت كثيراً في كلام العرب، ورغم ذلك لم يفرد لها ابن الأنباري مسألةً خاصّةً، ولم ينقل آراء الكوفيين والبصريّين حول ما دار فيها من خلاف^(۱)، وقد حمله ابن جني على حذف المضاف في قوله: " ...، فمّما جاز خلافُ الإجماع الواقع فيه منذُ بُدء هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ما رأيتُه أنا في قولهم: (هذا جحر ضبٍ خربٍ)، (٢) ويقول: إنهم تناولوه عن بعضهم على أنّه غلطٌ من العرب، وأنّه من الشّاذ الذي لا يُحمل عليه، ولا يجوزُ ردُّ غيره إليه. وأمّا أنا فعندي أنّ في القرآن مثل هذا الموضع نيفاً على ألف موضعٍ وذلك أنه على حذف المضاف لا غير، فإذا حملته على هذا الذي هو حشوُ الكلام من القرآن والشّعر ساغ وسلس وشاع وقبُل". (٢)

ويلخًص ابن جني ان أصل: (هذا جُحر ضبٍّ خربٍ جحرُهُ)، فيجرى (خربٍ) وصفاً على (ضبٍ) -وإن كان في الحقيقة للجُحر - كما تقول: مررتُ برجل قائم أبوه، فيجرى (قائماً) وصفاً على (رجلٍ) -وإن كان القيام للأب لا للرجل - فكذلك هناك حُذف (الجُحر) المضاف إلى الهاء وأقيمت الهاء مقامه فارتفعت، لأن المضاف المحذوف كان مرفوعاً، فلما ارتفعت استتر الضمير المرفوع في نفس (خربٍ) فجرى وصفاً على (ضب) -وإن كان الخرابُ للجُحر لا للضّب على تقدير حذف المُضاف (٤).

أما سيبويه فرأيه أنّ ما جرى نعتا على غير وجه الكلام (هذا جُحُر ضبٍ خربٍ)، فالوجه الرفع وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم وهو القياس؛ لأنّ الخرب نعت الجُحر والجُحر رفع، ولكنّ بعض العرب تجرّه وليس بنعت للضّب، ولكنّه نعت للذي أضيف للضّب فجرّوه لأنّه نكرة كالضب ولأنّه في موضعٍ يقع فيه نعت الضّب، ولأنّه صار هو والضّب بمنزلة اسم واحدٍ. (٥)

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٠٢/٢.

⁽٢) ينظر: الخصائص: بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي، ٢١٧/١.

⁽٣) ينظر: الخصائص: باب في الجوار في المنفصل، ٣٢/٢.

⁽٤) ينظر المصدر السابق ٢١٧/١ - 218.

⁽٥) ينظر: الكتاب ٢/٤٣٦-437، و الإنصاف فيس مسائل الخلاف ٢٠٤/٢.

ويقول سيبويه: هذان التفسيران للخليل $-رحمه الله-<math>^{(1)}$ والذي حمل عليه قول الشاعر $^{(7)}$

كأنّ ثبيلً في عَالنين وَبْلِهِ * كبيلُ أُناس في بجادِ مزمَّل (٣)

ولم يحمله أبوعلي على الغلط قال: "لأنّه أراد: مزمّلٌ فيه، ثم حذف حرف الجر فارتفع الضمير، فاستتر في المفعول، ويُضيف ابن جنّي أنّه لم يكن أكثر من حذف المضاف، الذي شاع واطّرد وكان حملُه عليه أولى من حمله على الغلط الذي لا يُحمل غيرُه عليه ولا يُقاسُ به. (٤)

ويرى ابن الأنباري أن جرّ "مزمّل" نسبة ودليلاً على روي القصيدة كلّها، فهو مرفوعٌ تبعاً لموصوفه، وعلامة رفعه ضمّة مقدّرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة. (٥)

وترى الباحثة أنّهم جميعاً لم يختلفوا كثيراً، بل يمكن القول بأنّه مجرورٌ لفظاً مرفوعٌ محلاً؛ لأنّهُ يأتي دائماً نعتاً تابعاً لما قبله مرفوعاً كان أو منصوباً، أو معطوفاً. ومن الشّاذ أن يأتي في باب التوكيد كما جاء به ابن هشام في قول الشّاعر: (٦) يا صاح بلّغ ذوي الزوجاتِ كُلّهمُ * أنْ ليس وصُلٌ إذا اتّحلت عُرى الذّنب(٧)

يروي ابن هشام ما دار بين الفراء وابن الجراح بخفض (كُلّهُم) قال: فقُلتُ له: هلا قلت (كُلّهم) -بالنصب - فقال: هو خيرٌ من الذي قُلتُهُ أنا، قال ثم استنشدتُه إيّاه فأنشده بالخفض. (١)

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي بديوانه، بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط 4، دار المعارف، القاهرة، 1405هـ-1984م، ص 39.

⁽١) المصدر السابق نفسه، وينظر الخصائص ١/٢١٧.

⁽٣) من بحر الطويل، شرح شواهد المغني، ٢/٧٥٩، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، (وروايته كأن أبانا بدلاً عن ثبيراً)، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، القاهرة، ٣٣٩/٢، والمحتسب ١٣٥/٢.

⁽٤) ينظر: الخصائص ١/٢١٨، ٢٣٣٢.

⁽٥) ينظر: الإنصاف ٢٠٤/٢.

⁽٦) من بحر الكامل، لم ينسب لقائل، ينظر فيه شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، ٢٣١/١.

⁽٧) وقيل أنشد بجر (كُلهِم) وهو توكيد لـ(ذوى) الواقع مفعولاً به لـ (بلغ)، وفيه النصب ولكن جر لمجاورته الزوجات المجرور بالإضافة، وسببه المجاورة وهو شاذ جداً في باب التوكيد وفيه خلاف.

وما كان فيه الخلاف كثيرٌ، والآراء متعدّدة، ما جاء في التنزيل الحكيم والذي خضع فيه المفسرون إلى إقامة العربية من السُّنة والإجماع قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّهِ الْمَانُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوْةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا اللَّهِ عَلَى المَّكَوْةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْمَكَعْبَيْنِ ﴾ (١).

وسأورد بشيء من الإيجاز ما جاء به أبوحيّان في تفسيره للآية في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهِ مَنُ وَارْجُلَكُمْ إِلَى اللَّكَعْبَيْنِ ۚ ﴾ هذا أمرٌ بالمسح واختلفوا في مدلول بأء الجر، فقيل: إنّها للإلصاق وهو مذهب سيبويه، وهذا الذي نختارُه وقيل الباء للتبعيض، وهذا ينكرُه أكثرُ النّحاة، وقيل الباء زائدة مؤكّدة، ومثلها في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدّ فِيهِ بِإِلْحَامٍ بِظُلْمٍ ﴾ (٣) أي: إلحاداً بظلمٍ، وحكي سيبويه: "... مسحتُ رأسهُ ومسحتُ برأسه" في معنًى واحدٍ. (١)

وقراءة الجرقرأ بها الجمهور، وحجّتهُم أنّهم حملوه على العطف على (الرؤوس)؛ لأنّها أقرب إلى (الأرجل) من (الوُجوُه). والأكثر في كلام العرب أن يُحمل العطف على الأقرب من حرف العطف فحمل (الأرجل) على (الرؤوس) -في الخفض - على المسح الذي قامت الدلالة عليه من السُّنة والإجماع ومن تحديد الوضوء في (الأرجل) مثل التّحديد في (الأيدي) المغسولة على أنه أريد بالمسح الغسل والعرب تقول: "تمسّحتُ للصلاة أي: توضأتُ لها". (٥)

⁽١) ينظر: مغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب، بتحقيق محمد مُحي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، شاهد رقم 919، 2/339، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 2/604.

⁽٢) الآية (6) من سورة المائدة.

⁽٣) الآية (25) من سورة الحج.

⁽٤) ينظر الكتاب، 1/154.

^(°) ينظر المحتسب 1/314، وينظر رأى الزمخشري في الكشّاف إن قراءة الحسن في قوله: "وأرجُلُكم بالرّفع قد جمع بين الأمرين المسح والغسل"، طبعة دار المعارف، بيروت، 1/326، والكشف عن وُجُوه القراءات السبع، ط3، 1/406، وينظر إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ، للإمام الشاطبي، المتوفى 590ه، تأليف الإمام عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ، المعروف بأبي شامة، المتوفى 665ه، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1402هـ 1981م، ص 427-٤٢٨.

ويُضيف أبوحيّان أنّ من قرأ (وأرجَلكُم) -بالنّصب- هم نافع وابن عامر والكسائي وحفص عطفاً على موضع (رؤوسكُم)، فاقتضى ظاهره مسح (الرّجلين)، ولكنّ الجمهور يرى أنّ فرض الرّجلين الغُسل لا المسح، وذلك ثابتٌ عن الرسول على الأحاديث التي قاربت التّواتر (۱)، من أنّه كان عليه الصّلاة والسّلام يغسلُ رجليه في الوضوء. (۲)

وحُجّة من نصب (وأرجَلكُم)، فاختلفوا في تخريج هذه القراءة، فرأى بعضهُم أنّه معطوف على قوله: "﴿ وُجُوهَكُمُ وَأَيْدِيَكُمُ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ "، وقيل: فيه الفصل بين المتعاطفين بجملة ليست باعتراض، بل هي مُنشِئةٌ حُكماً (")، وأجاز ذلك أبو البقاء العكبرى بلا خلاف. (٤)

وقرأ الحسن^(٥): "وأرجُلُكم" -بالرّفع- وهو مبتدأ محذوف الخبر أي "أغسلُوها إلى الكعبين" على تأويل من يمسح. (٢) وبعد هذا الجدال حول إعراب (الأرجل) يقول أبوحيّان: "إنّ الخفض هو على الجوار، وهو تأويل ضعيف جداً، ولم يرد إلا في النّعت حيث فيه خلاف، وتأويل إلى

⁽۱) هو الطّريق الذي نُقل به القرآن من الصحّابة الثّقات، وهو طريق يخرج المنقول آحادّياً والقراءات الشّاذة. ينظر الموسوعة القرآنية المتخصصة، للأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق، دار الأوقاف، القاهرة، 2002هـ-2006م، ص 102، وينظر: دفاع السمين الحلبي عن القراءات المتواترة ضد المعترضين من النحاة، لحمدي عبدالفتاح مصطفى خليل، ط1، مصر، 1424هـ- 2003مص ٢١-٢٨

⁽٢) ينظر البحر المحيط: 3/437، والكشّاف: 1/326، و الحّجة في القراءات السّبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، مؤسسّة الرّسالة، ط 1، 1421هـ 2000م، ص 75.

⁽٣) ينظر: البحر المحيط: 3/438، والإنصاف في مسائل الخلاف، 2/603.

⁽٤) ينظر: إملاء ما منّ به الرّحمن: 208-209.

^(°) هو الوليد بن مسلم، أبو العباس وقيل: أبو بشر الدّمشقي، عالم أهل الشام، ولد 119هـ، وروى حرفاً واحداً هو (وأرجلُكم) بالرفع –عن يحيى بن الحارث الذماري، ونافع بن أبي نعيم، وهو أعقل الشاميين، صنف سبعين كتاباً للقضاء، توفي سنة 195هـ، (منصرفه من الحج). ينظر غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، بعناية براجستراسر، ط1، 1351هـ، 1932م، 2/306. والنشر في القراءات الأربع عشر للشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالغني الدمياطي المشهور بالبناء، المتوفى سنة 1117هـ، صححه محمد الضباع دار الندوة، بيروت، بدون تاريخ، ص 198.

⁽٦) ينظر: البحر المحيط: 3/438، ومعجم القراءات القرآنية ، لدكتور حمد مختار عمر ودكتور عبدالعال سالم مكرم، ط3، عالم الكتب، ١٠/٢، وينظر الحمل على الجوار في القرآن الكريم ، لدكتور عبدالفتاح أحمد الحموز، ط1، مكتبة الرشد،الرياض، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص ٤٣.

أنّ: (الأرجل) مجرورة بفعلٍ محذوفٍ يتعدّى بالباء أي: وأفعلوا بأرجُلِكُم الغُسل، وحذف الفعل وحرف الجر وهذا تأويلٌ غايةٌ في الضعف، أو تأوّل أنّ الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة، مظنّة الإسراف المذموم المنهي عنه، فعطف على الرّابع الممسوح، لا ليمسح ولكنه ليُنبّه على وجوب الاقتصاد في صبّ الماء عليها.

وترى الباحثة أنه لكثرة التأويل والاختلاف حول هذه القراءات التي شابها كثيرً من الاجتهادات والتّأويلات، أن تقدّر قراءة الجر على الجوار على حذف المضاف على رأى ابن جنّي الذي لم يأت بهذه الآية في (باب الجر على الجوار)، لا في خصائصه ولا في المحتسب لو قدّرنا هذه القراءة من شواذ القراءات ولم يأت ابن مالك بذلك ولا سيبويه.

وعليه ترى الباحثة أن حذف المضاف الذي ورد كثيراً في آي القرآن الكريم، ولا تخلو آية إلا وفيها حذف مضافٍ أو أكثر، وقيل هي ما يربو على ألف موضع وثلثمائة. (١)

وسأورد بعض المضافات المحذوفة من التّنزيل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْمِرِّ مَنِ اتَّعَى وَيقُول ابن جنّي: "وإن شئت كان تقديرُه: ولكنّ ذا البرّ من اتقي، والأوّل أجود؛ لأنّ حذف المضاف ضربٌ من الاتساع (٣)، والخبر أولى بذلك من المبتدأ، لأنّ الاتساع بالأعجاز أولى منه بالصُّدور (٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَسُعُلِ ٱلْقَرِّيةَ ﴾ (٥)، أي: أهلها، والحذف للمضاف قد يكون في الآية

⁽١) ينظر: الخصائص: (... يقول ابن جنّى: ".... وفي الشّعر منه ما لا أحصيه)، ١٤٣/٢ - 214.

⁽٢) الآية (189) من سورة البقرة.

⁽٣) الاتساع هو: من السّعة يُقال في الأمكنة وفي الحال وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك. ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن لأبي القاسم الحسن بن أحمد المعروف بالراعب الأصفهاني، المتوفى سنة 503هـ، ضبطه إبراهيم شمس الدين، طدار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ-2004م "مادة وسع" ص 595.

⁽٤) ينظر: الخصائص: بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي في فصل الحذف (باب في شجاعة العربيّة)، ١٤٢/٢ و الخصائص في (باب أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة)، ٤١٢/٢.

⁽٥)الآية (82) من سورة يوسف وتمامها ﴿ أَلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيَ أَقَبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾

الواحدة أكثر من موضعين كقوله تعالى: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبَضَـٰةً مِّنْ أَثَـرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ (١) ، أي: من تراب أثر حافر فرس الرّسول. (٢)

وتبع ابن جنّي أبوحيّان، في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ۗ ﴾ (٢) في قراءة سليمان بن جمّاز (٤) على خفض (الآخرة) على حذف مضاف تقديره "غرض الآخرة). (٥)

وجاء في السنة الشريفة إثبات غسل الرجلين في الوضوء، حدّثنا موسى قال: حدّثنا أبوعوانة عن أبي بشر، عن يوسف بن ماهك عن عبدالله بن عمرو قال: تخلّف النّبيُ عنّا في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا صلاة العصر فجعلنا نتوضًا ونمسح على أرجلنا فنادي بأعلى صوته: "ويل للأعقاب من النار ثلاث مرات". (1)

وما جاء على حذف المضاف، كما ذكره ابن جنّي أكثر مما لا يسعه الإحصاء في هذه الدراسة، وكلّه على تفسير الآيات في كتابه العزيز لدى المفسرّين، وفي كلام العرب.

وقد جاء في شعر أبي الطيّب أبياتٌ كُثر، ممّا ورد فيه حذف المضاف وأشار إليها ابن جنّي بقوله:

⁽١) الآية (96) من سورة طه.

⁽٢) ينظر: البحر المحيط، ط2، ٢٧١/٦ ، وإملاء مامنّ به الرّحمن، ط1، ٢٧٦/٢ و الخصائص، ١٤٢/٢، وينظر الإبدال لأبي يوسف يعقوب بن السّكيت، بتقديم وتحقيق دكتور حسن محمد محمدّ شرف، ومراجعة أستاذ على النجدي ناصف، الهيئة العامة لشئون المطابع، القاهرة، 1398هـ 1978م، ص 124.

⁽٣) الآية (67) من سورة الأنفال.

⁽٤) هو سليمان بن مسلم بن جمّاز، وقيل: سليمان بن سالم بن جماز، أبوالربيع الزهري مولاهم المدني مقرئ جليل، ضابط عرض على ابي جعفر وشيبة ثم على نافع مات سنة 170هـ، ينظر: ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء: ١/٥/١.

⁽٥) ينظر: البحر المحيط ١٢/١، و معجم القراءات القرآنية ١٢/١ -28.

⁽٦) ينظر: باب غسل الرجلين في الوضوء ولا يمسح على القدمين، في كتاب العلم، بصحيح الإمام عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه البخاري الجعفي، دار الحديث، القاهرة، حديث رقم 163، ٢٥/١.

إن العرب إذا أرادت معنًى جاءت به بغير اللّفظ الذي يدور على اللّسان، ولم تعتد عليه، لأنّ المعانى عندهم أشرف من الألفاظ. (١)

وإذا جاز أن يكون في أصول هذه اللغّة المقرّرة اختلاف اللّفظين والمعنى واحدٌ كان جميع ما نحنُ فيه جائزاً، سائغاً، ومأنوساً به، متقبلاً. (٢)

وممّا جاء فيه حذف المضاف من شعر المتنبّي قوله: (٦)

تجفُّ الأرضُ من هذا الرّبابِ * ويَخَلقُ ما كساها مِن ثِياب (٤)

قال ابن جنّي: "يريدُ من مطرِ هذا الرّباب، فحذف المضاف، ويعني أنّ بالجملة مضافين، لأنّ الأرض تَجفُّ من الماء وليس من السّحاب". (٥)

لم يُضف الشُّرّاح شيئاً يذكر على ما قاله ابنُ جنّي، بل تبعوا ابن جنّي في حذف المضاف. (٦)

ومن حذفه المضاف في شعره قوله:

والأمُ ربّ مجتهد * ما خاب إلا لأنه جاهد (٧)

وهو يريد: اجتهدت في طلب المُلك، فخاب سَعُيك وسبب خيبته اجتهادك وحرصك، (^) وهذا كما قيل في المثل: (الحريصُ محرُومٌ). (٩)

ويُضيف اليازجي: إنّ الإمارة والدّولة لا تُنال بالاجتهاد بل هي من الله.

ومن المعنى يتضح حذف المضاف في قوله: "ربّ مجتهدٍ"، والتقدير: رَبُّ كلِّ مجتهدٍ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وهُنا حمل (كلّ) على اللفظ، فأعاد عليها المفرد.

(٣) قالها أبوالطيب من بحر الوافر وهو يُساير سيف الدّولة إلى الرّقّة وقد اشتد المطر بموضع التُّديّيْنِ ينظر ديوانه ص 296 ط1 دار الجيل.

⁽١) ينظر: الخصائص ٢٢٦/٢ بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي بتصرف.

⁽٢) المصدر السابق ص 228.

⁽٤) الرّباب: السّحاب الأبيض يَخُلقُ: يرِثُ ويبلوفاعل كسا: مستتر تقديره هي يعود على الرّباب.

⁽٥) ينظر: الفسر في شرح ديوان المتنبّي ١٨١/١.

⁽٦) ينظر: معجز أحمد للمعرّي طب١٣٨/٣ وينظر العرف الطيّب لليازجي: ٦٨/٢.

⁽۷) ينظر: من بحر ديوان المتنبّي ص 554 طبعة دار الجيل وهو يخاطب وهشوذان .

⁽٨) ينظر الفسر ١١٩٣/١ ومعجز أحمد: ٣٧٦/٤.

⁽٩) ينظر: مجمع الأمثال للميداني مثل رقم 1149.

وقال أبوالطيّب على حذف المضاف: (١)

دّعثه بمفزع الأعضاء منها * ليوم الحرب بكر أو عوان (٢)

قال ابن جنّي جرّ (بكر) على أنّه مضاف إليه، مضافه محذوف، أي: حرب بكرٍ وأنّ بكرٍ أنّ وأضاف المعرّي: بكرٍ: نعت لمحذوف بدلاً من الحرب أي: حرب بكرٍ. وأنّ الدّولة تفزع إليه كما تفزع اليد إلى عَضُدِها (٤) في الحروب والشدّة.

ويَضيف الوحيد الأزدي، الذي تحامل على المتنبّي في نقده لشرح ديوانه بقوله: بموضع الأعضاء أي بقُرباها منها لأنّه عضُدَها، فدعته بباقي الأعضاء (٥) على طريق الالتفات والمشاكلة. (٦)

وقد كان إيراد ابن جنّي لمعاني شعر المتنبّي يئم عن فهم تام لما أراده أبوالطيّب وذ لك حملاً على المعاني التي كان ابن جنّي مدركاً لأوجه أساليبها المختلفة، وهذا ممّا انفرد به بين معاصريه وسابقيه من اللغويّين والمفسرين، حيث كان يوازن بين اللفظ والمعنى.

⁽١) ينظر ديوانه: ص 543 وقالها في مدح عضد الدّولة في وصف سيره إلى شعب بوان في قصيدته النونية الشهيرة التي مطلعُها:

مغاني الشّعبِ طِيبٌ في المغاني * بمنزلة الرّبيع من الزّمانِ.

⁽٢) من بحر الطويل ويعنى: إنّ السّيوف دعته بمقابضها والرّماح بأعقابها لأنها موضع الأعضاء منها ودعنه أنّ الدّولة أباشجاع عضدها قالها بدلاً عن الدّولة.

⁽٣) ينظر: الفسر شرح ديوان المتنبّي: ٣٤/٣٠.

⁽٤) ينظر: معجز احمد: ٤/٣٤٣ ، والعرف الطيّب: ٢/٢٥٤.

⁽٥) ينظر: المآخذ على شراح ديوان المتنبّي للوحيد الأزدي ص وهامش الفسر 735/3.

⁽⁷⁾ المشاكلة هي من الشَّكل أو الشبه بفتح الشين أي: هذا من شكل هذا أي مثله وأشكل الأمريشكل إشكالاً أو مشاكلة إذا التبس ومنها شكل المرأة بكسر الشين أي دلها وشكلت الدالة أشكله كلا أي: إذا اشتدت قوائمها وجمع مشكال شُكل ينظر: جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري ابن دُريد مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد بدون تاريخ ٦٨/٣مادة "شكل".

الفصل الثاني (ما له علاقة بالأفعال)

ويحتوي على أربعة مباحث

الأول: القول في نعم وبئس أصلُهما وعملُهُما"

الثاني: وألفاظ أبي الطيّب في مدحه وذمّه

الثالث : كفي وفاعلها

الرابع : وليس وعملها

الخامس: أولى العاملين بالعمل في التنازع

المبحث الأوّل: القول في "نِعم وبئس أصلُهما وعملُهما"

وقد اختلف قول النّحاة في أصِلهما لما أورده لنا ابن الأنباري(١) بقوله:

جاء عن الكوفيين أنّ "نِعْمَ وبئس" اسمان مبتدآن، وعن البصري أنّهما فِعلان ماضيان لا يتصّرفان وتبعهم في ذلك على بن حمزة الكسائي من الكُوفيين. (٢)

والكوفيون احتجُوا بأنّ دليلهم على اسميتها هو دخول حرف الخفض عليهما، فإنّه قد جاء عن العرب أنّها تقول: "ما زيدُ بنعِمَ الرجّلُ" وفيه قول الشّاعر: (٦)

ألست بنعِمَ الجارُ يُؤلَفُ بيتَـهُ * أَخَا قِلَّةٍ أَو مُعدِمَ المالِ مُصرِما(٤)

والشّاهد في قوله: "بنعم الجارُ: فزعم الكوفيّون أنّ "نعم" اسمُ بمعنى الممدوح بدليل دخول حرف الجرّ عليه وهو لا يدخُل إلا على الأسماء.

والبصريّون يرُدّون عليهم بأن "نِعم وبئس" فعلان جامدان (٥)، بدليل دخول تاء التّأنيث عليهما في قول الرسول الله عليهما في قول الرسول الله الله عليهما في ألفيته قائلاً:

فع الن غير منصر قفين * نعم وبئس رافعان اسمين (٧)

وهذا مذهب جمهور النّحوبين الذين ردّوا بأنّ حرف الجر يدخل على اسم محذوف من قولهم: "بنعمَ الجار" والتقدير: بجار مقُولٍ فيه نِعم الجارِ. (^)

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٩٧/١.

⁽٢) ينظر: المسألة الرّابعة عشر من المصدر السابق.

⁽٣) امن بحر الوافر ، البيت لحسان بن ثابت الأنصاري ، كما زعم المؤلف ، ولم يوجد بديوانه، كما زعم المؤلف ، لم يوجد بديوانه. ينظر البيت في الإنصاف في مسائل الخلاف ٩٧/١.

⁽٤) ويريد من قوله: الجار الذي يستجيرُ به النّاس من الفقر والحاجة فينزلون في حماه ويستظلون بظله فيؤلف بينه ببناء القول للمعلوم يألف أي يجعل المقل يألف بيته، وذلك ببسط الكفّ وبذل العرُف والبشاشة وهو: القصير الذي لا يجد كفايته، المصرم: المعُدِم وأصله من العدّم وهو انقطاع اللبن وجفافه وذلك لمرض بالضرّع أو نحوه.

⁽٥) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٩٨/١ ، والكتاب: ٢/١٧٥.

⁽٦) وينظر الحديث: في صحيح سُنن النَّسائي صحح أحاديثة وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، في كتاب الجمعة باب رقم 19 (الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة) ،ط 1 مكتب التربية العربي لدولة الخليج، الرياض، 1409هـ 1988م /1307، ورواه أكثر التابعين والرّواة من الصّحابة فهو حسنُ ومنهم: سعيد بن سفيان الجحدري عن شعبة عن قتادة عن الحسن عن سُمرة بن جُندب عن النبي ، وينظر تصحيح فصيح ثعلب وشرحه، لابن درستويه ، بتحقيق محمد بدوي المختون ، مراجعة دكتور رمضان عبدالتواب ، القاهرة، 1430هـ - 2009م، ص 517 - 519

⁽V) ينظر: شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك بتحقيق محمد محي الدين. (V)

⁽٨) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف هامش ٩٨/١

فهما على صحيح رأى البصريّين أنهما يرفعان اسمين أولهما الفاعل المستتر والمبتدأ (المخصوص بالمدح أو الذّم) نحو: نِعمَ الرّجلُ زيدٌ "غير الرّجل المضمر في نعم، إذا قلنا: نِعمَ رجلاً زيدٌ؛ لأن المضمر على شريطة التفسير لا يظهر، ولا يُلفظ به، ولذلك ضمّنه سيبويه (١) في باب ما لا يعمل في المعروف إلاَّ مُضمراً أي: إذا فُسّر بالنّكرة في نحو: نِعم رجُلاً زيدٌ، فإنّه لا يظهرُ أبداً. (١)

وأيضاً سُمع عن العرب الفصحاء أنّهم قالوا: نِعم السّيرُ على بئسَ العِيْرُ "(٦) وهنا احتج الكوفيوّن بأنّهما اسمان لدخول حرف الخفض على "بئس" ولكن خُرّج المثل على جعل (نعم وبئس) مفعولين لقولٍ محذوفٍ أو صفةً لمحذوف (موصوف)، وهو المجرور بالحرف، لا (نعم وبئس) والتّقدير: نعم السّيرُ على عير مقولِ فيه بئس العيرُ ، فحذفوا الموصوف والصّفة وأُقيم المعمول مقامهما مع بقاء (نعم وبئس) على فعليتهما. (٤)

ويُضيف ابن مالك قوله: (٥)

مُقارِبَي "ال" أو مُضافَين لمِا * قارنها: "نعِمَ عُقبي الكُرَما" ويرفعان مُضاربً يُفسُّره * مُميزُّ: "نِعَم قوماً مَعشَّرُه" (٦)

فلا يُستعمل منهما إلا الماضي (لعدم تصرّفهما) للزومهما إنشاء المدح والذّم على سبيل المُبالغة وهُما فعلان يأتيان بأربع لغات". (٧)

⁽١) ينظر: الكتاب: بتحقيق عبدالسلام محمد هارون ١٧٥/٢.

⁽٢) ينظر: الخصائص: بتحقيق د. عبدالحميد هنداوي ٣٨٩/١.

⁽٣) ينظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم للميداني تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم بدون طبعة وبدون تاريخ ١٦/١ وينظر: شرح الجمل لابن عصفور بتحقيق وصاحب أبوجناح ١٦/١.

⁽٤) ينظر: شرح ابن عقيل على الألفيّة ٢/١٥١.

⁽٥) ينظر: شرح ابن عقيل ١٥٠/٢-151.

⁽٦) ويذكر ابن مالك أنواع فاعل نعِم وبئس وهي ثلاثة: الأول: أن يُحلّى بالألف واللام نحو: نِعم الرّجلُ زيدُ وفيه قوله تعالى ﴿ نِعُم اَلْمَوْلَى وَنِعُم النّصِيرُ ﴾ الآية 40 من سورة الأنفال، والثاني: أن يكون فاعلهما مضافاً لمافيه ال نحو: نعم عقبى الكرما وفيه قوله تعالى: ﴿ وَلَنِعُم دَارُ الْمُتَقِينَ ﴾ الآية 30 من سورة النحل، والثالث: أن يكون فاعلهما مضمراً مفسراً بنكرة منصوبة على التمييز كقوله تعالى: ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ الآية 50 من سورة الكهف.

 ⁽٧) ينظر: شرح ابن عقيل ١٥١/٢ (نعَوم - نعِم - نعِم - نعم ") وينظر الكتاب ١٧٥/٢ - 177 .

وقد ورد فيهما عدم الجمع بين الفاعل والنّكرة المنصوبة على التمييز وذلك في قول ابن مالك-رحمه الله-:

وجَمع تمييز وفاعلٍ ظهر * فيه خلافٌ عنهُمُ قد اشتهَرْ (١)

ولا يجوز الجمع بين فاعل نعم الظاهر وتمييزه نحو: نعم الرّجلُ رُجُلاً زيدٌ، وذهب بعضهم إلى جواز ذلك وهو منقولٌ عن سيبويه، وذهب بعضهم إلى جواز ذلك (الجمع بين الفاعل والتمييز)، واستدلوا بقول جربر بن عطيّة: (٢)

ترود مِثْلُ زاد أبيك فينا * فَيْعُم الْزَادُ زادُ أبيك زادا(٣)

والشاهد فيه، قوله: "فنعمُ الزّادُ زادا" ،وذلك أنّ فاعل (نعَم) مظهر فلا حاجة به إلى أن يُفسّر. (٤)

ويُضيف ابن جنّي قوله: إنّ الشّاعر إذا اضطرّ جاز له أن ينطق بما يُبيحُه القياس، -وإن لم يرد به سماعً- وعدّ ابن جنّي (زادا) في قول جرير: "فنعم الزّادُ زادُ أبيك زادا" زائداً (٥)، لأنّ إعرابه تمييزاً لا يجوز عند جمهرة البصريّين فبعضهم أعربه مفعولاً به بـ"تزوّد" في صدر البيت (ومثل) حالاً من (زاد) والأصل فيه نعت تقدّم عليه، فصار حالاً والتقديرتزوّد زاداً مثلَ زاد أبيك فينا، فنِعم الزّاد زادُ أبيك. (٦)

ولا يجوز بالإجماع تقدّم المخصوص بالمدح أو بالدّم على الفاعل في (نعم وبئس) في نحو: نِعم الرّجلُ عبدالله؛ لأنّه بمنزلة: ذهب أخوه عبدُالله لأن نِعَم عملت

⁽۱) ينظر: شرح ابن عقيل 2/153، والكتاب ١٧٦/٢ ، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور بتحقيق، دكتور صاحب أبوجناح، عالم الكتب، بيروت 1419هـ 1999م، ١٩١٦.

⁽٢) وهو جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مُر، وكنيته "أبوحزرة"، عمر نيفاً وثمانين سنة مات سنة 111هـ ينظر ترجمته ، ينظر طبقات فحول الشعراء ٢٤٩/٢، والشعر والشُعراء ص 108.

⁽٣) ينظر من ديوان جرير تأليف محمد إسماعيل عبدالله الصاوي منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت بدون طبعة ص 135 وينظر: الخصائص ٣٨٩/١ و ٢٥٤/٢ في مدح عمر بن عبدالعزيز وينظر: المقاصد النّحويّة في شرح شروح الألفية للعيني ٩٧/٣ ومغنى اللبيبشاهد 462 طبعة دار الطلائع.٢٥/٢.

⁽٤) ينظر: الخصائص: ١/٣٩٠.

⁽٥) المصدر السابق نفسه، وأحسب أن الشَّاعر زادها لضرورة القافية.

⁽٦) ينظر: شرح ابن عقيل ١٥٤/٢-155 :و شرح الجمل لابن عصفور ١٩١١.

في الرّجل ولم تعمل في (عبدُالله) والرّابط بينهما هو العموم الذي في الألف واللام من "الرّجَل" فلا يُقال: نعم عبدُالله الرجل، خلافاً للكوفيين ولا على التمييز فلا يقال: نعم عبدُالله رجُلاً(١)، ولا يجوز حذف المخصوص إذا دلّ عليه دليل، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبَدُ إِنَّهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَجَدْنَهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبَدُ إِنَّهُ وَاللهُ اللهُ ا

وممّا تقدّم يتضح -جليّاً - أنّ كل ما وجب ذكره يُفيد في الجملة، حتّى من أجازوا الجمع بين الفاعل والتمييز اشترطوا إفادته فائدة زائدة نحو: نعم الرّجلُ فارساً زيدٌ، وإلا فلا يذكر في نحو: نعم الرّجل رجُلاً زيدٌ.

لا يكون فاعل (نِعَم وبئس) إلا فيه الألف واللام نحو نعم الرّجل، وبئس غُلام المرأة، أو مضمراً على شريطة التفسير، وهذا لا يأتي كثيراً إلا في الشّعر، لأنّه لا يُفهم منهما الجنس إلا في مواضع منها نحو قولهم: "رجلٌ خيرٌ من امرأةٍ" وذلك لأن خير أفعل تفضيل وهو أقرب إلى المعرفة من النكرة. (٤)

أجاز المبرّد^(٥) والفارسي إسناد (نِعْم وبئس) إلى الذي نحو: نعم الذي آمن زيدٌ، كما يُسِندان إلى ما فيه (ال) الجنسية خلافاً للكوفيين وجماعةً من البصريّين، وهو القياس، لأنّ كلّ ما كان فاعلاً لـ"نعِم وبئس" وفيه أل، كان مُفسّراً للضمير المُستنر فيهما ولو نُزعت منه الذي (٦)، وليس كذلك لقول ابن مالك:

و (ما) مُمِّيازٌ وقيل فاعِلُ * في نحو "نِعم ما يقولٌ الفاضِلُ

⁽١) ينظر: مجيب الندى إلى شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، ص 626.

⁽٢) الآية (44) من سورة ص.

⁽٣) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك بإشراف إميل بديع يعقوب ص 277 وينظر شرح ابن عقيل ١٥٧/٢، وينظر البحر المحيط: ٤٠٠/٧.

⁽٤) ينظر: شرح جمل الزجاجي لا بن عصفور ٢/٦١٣، شرح ابن عقيل: ٢/٥٥/٠.

^(°) ينظر: المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد بتحقيق د.محمد عبدالخالق عضيمة القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية 1386هـ - 1965 ص 890. وينظر إملاء ما من به الرحمن من سورة الجمعة في قوله تعالى: ﴿ بِئَسَ مَثَلُ الْقَوْرِ اللَّهِ يَكَتُ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمُ الظّلِمِينَ ﴾:: ٢١٠/٢ ، وينظر: مشكل إعراب القرآن ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، بتحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، سوريا طبّت ، تَعَمَالَ: في الله في محمد مكي بن أبي طالب القيسي، بتحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، سوريا طبّت ، تَعَمَالَ: في الله من المعلقة عنها المعلقة عنها

⁽٦) ينظر: شرح الأشموني بإشراف إميل بديع يعقوب ص 280.

وهذا يعني أنّ (ما) تقع بعد (نِعَم) و (بِئس) فيقال: "نعم ما"، أو "نِعّما" و "بئس ما". (١) وقد أخُتلف في (ما) و (من) الموصولتين بعد (نِعْم وبئس)، وقال بعضهم: هي نكرة منصوبة على التمييز (في محل نصب تمييز)؛ لأنّ أصلها: (نعم ما هي) و (ما) بمنزلة شيء "كما في قوله تعالى: ﴿ إِن تُبُدُوا ٱلصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا (٢) هِي ﴾ (٥) وهي: (خبر ابتداء مُضمر، وحُذف اسم الممدوح وهو (الإبداء) لدلالة (إن تبدوا) عليه ، والتقدير كأنّه قال: (تبدو الصدقات) ، فنعم شيئاً هو، أي: الإبداء (٤) وذلك لقول ابن مالك:

ويُذكّرُ المخُصوصُ بعد مبتدًا * أو خبرُ اسم ليس يبدُو أبدا(٥)

وهُنا يأتي خلافٌ لابن عصفور الذي قال: إذا قدمت الممدوح أو المذموم أو أخرته، فمنهم من يجعل (نعم وبئس) اسماً مبتدأً ، والاسم الذي بعد الممدوح أو المذموم خبراً ، أو يجعلهما خبراً والاسم الذي بعدهما مبتدأ، فكأنه قال: الممدوح زيد، والمذموم عمرٌو، ومن يجعلهما فعلين، فإنّه يجعل اسم الممدوح أو المذموم إذا تقدّم مبتدأ و (نِعَم وبئس) جملتان في موضع الخبر (٢) كأنّه: "زيدٌ هو نِعم الرّجلٌ ، وهذا مذهب ابن السيّد البطليوسي. (٧)

⁽۱) ينظر: شرح ابن عقيل: ۲/٥٥/١-156.

⁽٢) "فَنِعِما" بكسرتين على نونها وعينها هي لغة هُذيل، جاءت عن سيبويه، عن أبي الخطاب. ينظر الكتاب: على الخطاب. ينظر الكتاب: ﴿ إِنَّ اللهَ يَهَا يَعِظُكُم بِهِ ﴾ الآية 58 من سورة النساء.

⁽٣) الآية (271) من سورة البقرة وتمامها: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقُرَآةَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمُّ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمُّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خِيرٌ ﴾.

⁽٤) ينظر: قول ابن عصفور في شرح الجمل: ٦١٤/١.

⁽٥) ويعنى ابن مالك أن المخصوص بالمدح أو الذم يصلح أن يعرب مبتدأ مؤخر، و (نعم) وما دخلت عليه خبر مقدم أو يكون خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره هو. ولم يأت هذا إلا في التنزيل لدلالة المذكور عليه كما سبق هامش ٢ ص 120 من هذا المطلب.و ينظر شرح ابن عقيل ١٥٨/٢.

⁽٦) ينظر شرح الجمل لابن عُصفور: ١١/٥٦١٦-616 و شرح ابن عقيل: ١٥٦/٢.

⁽٧) هو أبومحمد عبدالله بن محمد بن السيد، المعروف بالبطليوسي أديبُ نحوي، لغوي من أهل الأندلس سكن في بلنسية، وتوفى بها سنة 521ه. ينظر ترجمته: إنباه الرواة على أنباه النّحاة ١٤١/٢ ، وبغية الوعاة ص 288 ، ووفيات الأعيان: ٢٨٢/٢.

وللاستئناس بما اختلف فيه النّحاة أعود إلى المفسرّين وما قيل في (نعم وبئس).

وما جاء به المفسّرون لا يختلف عن آراء اللغوبيّن من العلُماء، ولم يذكر المخصوص بالمدح أو الذّم إلا نادراً كما في قوله تعالى – في قصة محنة سيدنا أيوب –عليه السلام –: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَهُ صَابِراً نِعْمَ ٱلْعَبَدُ إِنَّا يُؤَمُ أَوْبُكُ ﴾ (١).

وحُذف المخصوص بالمدح-هُنا- لأن سياق القصّة يدل عليه وهو سيدنا أيوب. (٢)

وقد جاء بالتنزيل قوله تعالى: ﴿ إِن تُبُدُواْ ٱلصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِمٍّ ﴾ (٣).

قال أبوعلي الفارسي في قوله تعالى: ﴿ فَنِعِمّا ۖ ﴾ بإتباع كسرة العين النون فهي لغة (٤) من قال: "نِعِمَ" قيل الإدغام في (ما) وكلُّ حسنٌ ثمّ قال: إنّ في (نِعِم) ضمير الفاعل المضمر قبل النكر، والتقدير: نِعِم شيئاً إبداؤها"، ف (الإبداء) هو المخصوص بالمدح، وهو الإبداء بالصدقات، لأنّ المضاف محذوف وأقيم المضاف إليه مقامه (الذي هو خير الصدقات هي) (٥)، وتبعه أبوحيان في الحذف (١) والعكبري. (٧)

أمّا حذف المخصوص والفاعل وتفسيره - شرطاً - بالتمييز، فقد جاء في قوله تعالى : ﴿ بِئْسَ لِلظَّلِمِينَ بَدَلًا ﴾ (^)

⁽١) الآية (44) من سورة ص، ومثلها الآية (30) من ص قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلِيَمَنَ عِنْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُۥ أَوَّابُ ﴾.

⁽٢) ينظر: البحر المحيط: ٧/٠٠٠.

⁽٣) الآية (271) من سورة البقرة.

⁽٤) هي لُغة هُذيل ينظر: الكتاب هامش ١٧٥/٢ ، ولسان العرب مادة (نعم).

⁽٥) ينظر: الحُجة في علل القراءات السّبع: ٢٠٢/٢.

⁽٦) ينظر البحر المحيط: ٤٩٥/٤ وإملاء مامن به الرحمن "40 من الأنفال: في وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، للعكبري دار الكتب العلمية بيروت 1399هـ -1979م ١١٥/١، ٤٧٦/٤ (الآية ٤٠ من سورة الأنفال)

⁽٧) ينظر: إملاء ما من به الرحمن، للعكبري أبي البقاء في الآية 5 من سورة الجمعة في قوله: ﴿ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْرِ ٱلَّذِينَ كَذَّهُواْ بِعَابَتِ اللَّهِ ﴾ وينظر هـ 5 ص 120 من هذا المطلب .

⁽٨) الآية (٥٠) من سورة الكهف .

وابوحيّان يقول: "المخصوص بالذّم محذوف أي: بئس للظالمين بدلاً من الله إبليس وذريته، وقال: "للظالمين" لأنّهم اعتاضُوا من الحق بالباطل، وجعلوا مكان ولايتهم الله ولايتهم إبليس وذريته، وهذا نفس الظُّلم، لأنّه وضع الشيء في غير موضعه. (١)

ومن هُنا يتبيّن أنّه لا يجوز حذف المخصوص أو تقديمه على فاعل (نِعم وبئس) إلا على شريطة تفسيره بالتمييز. (٢)

ومّما تقدّم يتضح أن (نِعَم وبئس) تعملان في الرّجل ولا تعملان في المخصوص (عبدالله) في قولك: نِعَم الرّجلُ عبدالله، أي نعم الرّجلُ هو عبدُالله.

ابن جنّي لم يُعلّق على لفظي (نعم وبئس) في المدح والذّم لا في الخصائص ولا في المحتسب في تفسير القراءات الشّاذة لديه إلا في اليسير (باب واحد في الخصائص ذاكراً فيه حذف المخصوص وحذف الفاعل على شريطة التفسير)، وكان رأيه واضحاً في الجمع بينهما حتى في بيت جريرفعد (زادا) زائداً على اللفظ، وترى الباحثة أنه جاء به للقافية المطلقة بالقصيدة. (۳)

وذلك لأنّ كل من فسر استخدام (نعم وبئس) للمدح أو الذّم مبالغة، وهذا يعنى أنّه يمكن المدح والذّم بغير هذين اللفظين وهذا كثيرٌ في البلاغة في بابي تأكيد المدح بما يُشبه الذم، وتأكيد الذّم بما يشبه المدح، وهذا نجده في استخدام أبي الطيّب لهذا الأسلوب عند مدحه أو هجائه، وذلك في شعره كثيرٌ ، ولنا معه في هذا السياق الكثير من قوله في مدح سيف الدّولة بشعرٍ كثيرٍ مفرقٍ في ثنايا قصائد ديوانه، وهذا المدح لم يُعنَ به الذين درسوا المتنبّي وديوانه حقّ العناية إلى الآن، ويعتقد طه حسين أنّ ذلك الشّعر خليقٌ بالعناية كُلّها، لأنّ له أثراً عظيماً في مستقبل حياة المتنبّي في مصر والعراق(٤) .

⁽١) ينظر: البحر المحيط: ١٣٥/٦.

⁽٢) ينظر: الكتاب: ١٧٦/٢-177 وينظر: تهذيب وإغناء شرح قطر الندي وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري، بإعداد عدنان العظمة، حقق ق شواهده دكتور محمد على سلطاني، دار العصماء، سوريا، ط 1، 442هـ 2009م، ص 237-238.

⁽٣) ينظر: الخصائص: ١/٣٨٩ ، وينظر ه (5) ص 119 من هذا المطلب.

⁽٤) ينظر: مع المتنبّي لطه حسين، دار الحديث، القاهرة بدون طبعة، وبدون تاريخ ص 247.

ولكنّ النّقاد والشُّرّاح معذورون في إهمالهم هذا الشّعر، لأنّه لم يستقل بقصيدة أو مقطوعة بعينها، وإنّما جاء عرضاً في قصائد الوصف، والغزل، والرّثاء والهجاء، لما كان من جهاد سيف الدّولة لعدوّه من الرُّوم أو للثّائر عليه من العرب، وهو الشّعر الذي عرّض (۱) فيه المتنبّي بأصحاب السُّلطان في مصر والعراق تعريضاً خفياً مرةً ، وواضحاً يكاد يبلغ التصريح مرةً أخرى (۲) وذلك لدافعين:

أحدُهُما: أنّه حين كان يمدح سيف الدّولة، ويُعجب بمضائه وحُسن بلائه لم يملك نفسه أن يعيب أولئك الملوك الَّذين ينعمون بالحياة وسعة المُلك وضخامة الثروة في غير مشقة ولا جهد.

والآخر: أنّ سيف الدّولة كان يظهر على بعض ما يُدبر من الكيد في العراق أو في مصر، وكان ذلك يُفسد بينه وبين العراق أو الفسطاط، وهذا يُغرى المتنبّي أن يمسّ هذه الناحيّة من السّياسة الإسلاميّة، ليُنذِر أو يعذرَ أو يغيظ. (٣)

كان أبوالطيّب يمدح سيف الدّولة منذُ اتصاله به، ويناقض طه حسين نفسه بأنه لم يحفل بهذا الشعر الأنّه مرتجلّ. (٤)، وقيل في معظم مناسباته وذلك كان له خطرٌ عظيمٌ من وجهين:

أحدهما: الناحية الفنية لأنه لا يتهيّأ الشّاعر له ولا يُعنى به ويصوّر طبعه الذي لم يكن صافياً دائماً.

والآخر: إن هذا الشعر كان موضوع التنافس بين الشّعراء، والتسابق بين النّدماء ، وكلّهم يريد أن يظهر بما عرض عليه من رضا الأمير. (٥)

فقد مدح أبوالطيّب سيف الدّولة عند انتصاره على الرّوم سنة 340هـ في داليته المشهورة، قائلاً فيها وهو يُهنئهُ بالانتصار:

فلا تعجبا إنّ السُّيوف كثيرة * ولكنّ سيفَ الدّولةِ اليوم واحدُ (١)

⁽١) مر تعريف التعريض هامش 1 ، ص 86.

⁽٢) ينظر: مع المتنبّي ، ص 247.

⁽٣) المصدر السابق ص 248.

⁽٥) المصدر السابق، ص 256.

⁽٦) المصدر السابق، ص 256-257.

شرح البيت ابن جنّي بقوله: "ما أحسن ما خرج أي: أنا في الشّعراء كسيف الدّولة في السُّيف، ومعنى واحد: أوحد، ونقل الوحيد في هامش المُحقِّق إضافة إلى قوله: "اليومَ واحدُ": هذا حشوٌ ردئٌ ، وكان ينبغي أن يصف السيّف بلفظه ولكنه لما ذكر كلمة (كثيرة) في العدد كان عليه أن يأتي بـ (واحد) من هذه الأعداد. (٢)

ولأبي الطيب مذهب آخر في اسلوب مديحه سيأتي تفصيله كقوله في المديح من خلال التعريض بالحاسدين والكائدين له:

أحُبُّك يا شمسَ الزّمان وبدرَهُ * وإن لامَنِي فيك السُّها والفَراقِدُ (٣)

ويرى ابن جنّي: جعله إلى أضداد كالشمس والقمر بالنسبة إلى السُّها والفرقدين وجاء تعليق الوحيد في القافية أنّه اعتمد في أمر النجوم على رؤية العين لصغر هذه الكواكب مع علق مكانتها . (٤)

وطه حسين يرى مدحه لسيف الدّولة، والتّعرُّض له بلباقةٍ وبظرفٍ معرّضاً بغيره من الأمراء الذين يلومونه على قربه منه وحُبّه له. (٥)

وأحسب نقده الوحيد لأنّه لم يجد شرحاً وافياً للبيت، أو لأنّه لم يستطع فهم ما يريده ابن جنّي من شرحه في تفسيره لبيت أبي الطيّب، وكان المتنبّي – من غير شكّ – أخصب الشّعراء الذين لزموا سيف الدّولة، وأغزرهم مادّةً، وأسرعهم بديهة وأسبقهم إلى عطف الأمير، علاوةً على تفوقه في قصائده الرّسميّة، فكان نصيبه –

⁽۱) من بحر الطويل، ينظر: ديوانه طبعة دار الجيل ص 319 ، . ينظر الفسر ٣٦٨/٣ وقال ذلك بعد (الميمية) التي أثارت سيف الدولة بدلاً أن ترضيه وكان مطلعها:

واحرّ قلباهُ ممن قلبه شبم * ومن بجسمي وحالي عنده سَقَم.

ينظر: الديوان ص 331 ، ومع المتنبّي ص 263 (ورأي طه حسين أن المتنبّي أجاد فيها فنيّاً وألحَّ في العتاب حتى كاد يبلغ الهجاء، وأسرف في المدح ليصحح ما أفسده العتاب، فقال التي مطلعها:

⁽أزِل حسدَ الحُسّادِ عنّي بكيدهم) . ينظر مع المتنبّي ص 263.

⁽٢) ينظر الفسر 1/797 (وقد سقط هذا التعليق من نسخة الفسر الأحمدية بهامش المحقق).

⁽٣) من بحر الطويل، ينظر: الديوان ص 110.

⁽٤) ينظر الفسر ١/٦١٨. (وسقط البيت من النسخة المصرية وشرحه من النسخة الأحمدية).

⁽٥) ينظر: مع المتنبّي لطه حسين ص

منذ اتصاله بسيف الدولة - ما لقي من كيدٍ ومكرٍ وحسدٍ، نغّص عليه حياته وعرّض صلته للخطر حيناً،ثم انتهى به حيناً آخر إلى القطيعة بينه وبين الأمير.(١)

وقد مدح أبوالطيب سيف الدولة بغرض الدّعاء له، من خلال الرّثاء لعبده يماك التركي قائلاً: (٢)

لا عَدِمَ المُشَّدِيعَ المُشديعُ * ليتَ الرِّياحَ صُنعُ ما تصنعُ (")

وهو يعنى: لا عدم (يماك) المشيَّع (سيف الدّولة) المشيِّع ، ثم قال: ليت الرّياح تفعل مثل فعله؛ لأنّ أفعاله تزيد عليها وهذا يتضمّن دعاء لسيف الدّولة، واليازجي يقول هذا استئناف وضمير تصنع للمخاطب. (٤)

ومن هُنا يتضح أنّ أباالطيّب خالف الشعراء في مدحه وذلك في قوله: (٥) إذا كان مَدْحٌ فالنّسيبُ المُقدّمُ * أكُلُ فصيح قال شعراً مُتَيّمُ؟(٦)

قال ابن جنّي: "هذا المألوف من مذاهب الشّعراء ثمّ جاء بلفظ الاستفهام ومعناه الإنكار، فكأنّه قال: ليس كُلُّ من قال شعراً عاشقاً، أي: حُبُّه للمدح أولى من القول في النسيب" وهو الشّعر الرقيق المتغزل به في النساء "(٧).

والشرّاح يرون أنه مخالفٌ لعادة الشّعراء القدامي، وليس كُلّ من يمدح ينسب وهو منكرٌ لهذا (رغم أنّه لم يأتِ بقصائد من أجل المدح المباشر). (^).

(٢) من بحر الكامل في الديوان طبعة دار الجيل ، ص 300.

⁽١) ينظر: مع المتنبّي ص 257.

⁽٣) كل النسخ للشراح متفقة على مناسبة القصيدة وأنه في طريقه إلى الرّقة وهبت ريح شديدة. ينظر الفسر شاهد رقم 36،وشرح الواحدي ص 434. ويليها قوله: "سجسج أنت وهن زعزع". ينظر ه 9 ص 103.

⁽٤) ينظر: معجز أحمد ١٣٥/٣ ، والعرف الطيّب: ٧٢/٢.

⁽٥) من بحر الطويل، ينظر الديوان ص 302.

⁽٦) ينظر: مع المتنبّي ص 5.

⁽٧) ينظر: الفسر: ٣٥٢/٣٥.

⁽٨) ينظر: معجز أحمد: ١٤٩/٣، والعرف الطيّب: ٧٥/٢.

ونرى أبا الطيب استعمل لفظ (بئس) مرة واحدة في الذم في صباه قائلاً^(۱): بئس اللّيالي سَهِدتُ من طَربٍ * شوقاً إلى من يَبيتُ يرقُدُهُا (۲)

وجاء قول المعري موافقاً للعكبري ، بل أضاف أن الطرب: هو الخفَّة من فرح أو حزنٍ وأراد أبوالطيب -هنا- من الحزن، وقال: هو يذم الليالي التي سهر فيها حزناً على المحبوبة؛ لأنها ليالي المحنة، ومفارقتها له، و نصب (شوقاً)، لأنها مفعول له، ويحتمل أن يكون مصدراً في موقع الحال^(٦).

ولم يضف اليازجي غير أنه جعل السَّ وهر والسُّهد بمعنِّى واحدٍ (٤).

وهذا تراه من أنّه استخدم لفظ الذم بئس من خلال المدح في صباه قائلاً: "بني مرعشاً فتباً لهُم تبّا". (٥)

ويفسره ابن جنّي بقوله: التّب هو الخُسران، ومنه قوله تعالى: ﴿ تَبَّتُ يَدَا أَيِ لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (٦) أي: خسرت، واتفق الشراح مع ابن جنّي في أنه يمدح سيف الدّولة، معرّضاً بالملوك، -خاصة المصربين- بأنه يتميز من بينهم بأنّه لا يخاف ولا يتعذّر عليه أمرٌ. (٧)

ودعا عليهم بالذّم لآرائهم كقولك: قبحاً له، وهو لم يفعل ما فوق طاقته حتّى يُتعجّب من بنائه مرعش. (^)

⁽١) من بحر المنسرح ، ص 8 بالديوان .

⁽٢) من قصيدة في مدح محمد بن عبيدالله العلوي، ولم يشرح ابن جني البيت ، ويشير المحقق إلى أنه سقط شرحه من النسخة المصرية، ونسخة المعهد البريطاني ، ووردت الرواية (سهرتُ) في النسخة المصرية، وقال أبوالبقاء : "قد فرق أهل اللغة بينهما" فقالوا : (السهر) – بالراء – في كل شيء ، وبالدال للّديغ والعاشق . ينظر : شرحه التبيان ٢٩٤/١.

⁽٣) ينظر معجز أحمد : ٢١/١ ، والفسر ٨٥١/١ .

⁽٤) ينظر العرف الطيب: 1/97.

^(°) كقوله: في مدح سيف الدولة مع التعريض بمنافسيه ، وخاصة المصريين في قوله عند بنائه مرعش سنة 341هـ في قوله : أي بنى مرعشاً تباً لهم تباً . ينظر مع المتنبّي ص 250. وصدره كفى عجباً أن يعجب الناس أنّه . ينظر الدّيوان ص 328.

⁽٦) الآية (1) من سورة المسد.

⁽٧) ينظر: الفسر: ١/١٤١.

⁽٨) ينظر: معجز أحمد: ٣٤١/٣، و العرف الطيّب: ١١٥/٢.

ويتضح مما سبق أن أبا الطيب خالف الشعراء في استخدام أسلوب الذم بغير الألفاظ المعتادة عند هجائه الأمراء .

وقد رأينا أن أبا الطيّب يقول الشّعر -ولو مرتجلاً -بسرعة خاطر، وقد عيب عليه مرة ارتجاله الشّعر، فردّ عليهم قائلاً: (١)

أراكِ ضُ مُعوصاتِ القولِ فسراً * فأقتلُها وغَيَري في الطّرادِ(٢)

فهو يفخر بأنّه غلبةً يُسرع في إدراك المعاني ويسابق ويطارد شديد القول كالصّيد يأخذه قسراً ، وغيره باق في مطاردته لم يُدرك شيئاً. (٣)

فهو يأتى بالمعانى التى يريدُها أنى ومتى شاء، فلا يتأبّى له الشّعر مطلقاً.

⁽١) من بحر الكامل ينظر الديوان: ص 246.

⁽٢) عندما قال له أبوالعشائر: "أعملت هذه القصيدة بهذه السرعة؟" ويقصد: إنه يُسابق الغريب والمستوحش من الألفاظ، كما يطارد الصيد النافر، فيظفر به وغيره في سياق بلا نيل.

⁽٣) ينظر الفسر: ١٠٥٢/١ ومعجز أحمد: ٥١٦/٢، والعرف الطيّب: ٥٥٤/١.

المبحث الثاني: كفي وعملُها:

وهي فعلٌ ، تدخل في الجملة على ثلاثة أضرب: (١)

الأوّل: أن يكون بمعنى (حسب) وهذه قاصرة (لازمة) لا تتعدّى إلى مفعول وهي التي يغلُب اقتران فاعلها بالباء الزائدة كقوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِأَللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٢).

الثاني: أن يكون بمعنى "وفي" فتتعدّي إلى مفعولين، ولا يقترن فاعلها بالباء نحو قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ ﴾ (٣) ، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ ﴾ (٣) ، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَنَصَوْ مُو السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) .

والثالث: أن تكون بمعنى (أجزأ) و (أغنى)، فتتعدّي إلى مفعولٍ واحدٍ، ولا يقترن فاعلُها بالباء الزّائدة، وهذه ترد غالباً في الشّعر (ضرورة) ومحمد محي الدين عبدالحميد أورد لها مثالاً من القرآن. (°)

وباتفاق النّحويين تدخل الباء الزائدة على فاعل (كفى) اللاّزمة وُجوباً وهي التي بمعنى (حسب). (٦)

ونرى ابن جنّي يُجيز الجرّ على الموضع، لضرورة الشّعر ويقول: إنه: من قوّة الصَّنعة وشرف الطّبع كقولك: "بحسبك أن تكون كذا" ، ويعني دخول الباء الزائدة بجزّ المبتدأ لفظاً في لفظ (حسب) فقط ويقول هذا: مذهب قادك إليه علو الطّبقة وجوهر الفصاحة. (٧)

⁽١) ينظر: هامش محمد محي الدين عبدالحميد في شرحه لكتاب الانتصاف من الإنصاف: ١٦٧/١-168.

⁽٢) الآية (79) من سورة النساء ، (28) من سورة الفتح.

⁽٣) الآية (25) من سورة الأحزاب وتمامها: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾

⁽٤) الآية (137) من سورة البقرة وهي ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَا ءَامَنتُمْ بِهِ . فَقَدِ اَهْتَدَواْ قَإِن نَوَلَوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ فَسَيَكُفِيكَهُمُ اللَّهِ وَهُوَ السَّكِيعُ ٱلْعَكِيمُ ﴾ . . .

⁽٥) ينظر هامش الإنصاف في مسائل الخلاف ١٦٨/١.

⁽٦) ينظر: الخصائص: ٢٩٣/١ ، والكتاب: ٢٩٣/٢ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ١٦٨/١ (هامش كتاب الانتصاف من الإنصاف) .

⁽٧) ينظر: الخصائص، ٢١٧/١ ، ٤٨/٢.

وقد جاء في شرح ألفيّة ابن مالك ما فحواه أنّ (كفى): التي يتّصل فاعلها بالباء كالتي يأتي معها التمّييز، ويقول بوجوب تأخير التّمييز؛ لأنّه فعلٌ متصّرفٌ ولكنه جاء بمعنى فعل غير متصرّف، وهو فعل التّعجب (ما أفعل)؛ لأنّ معنى قوله: (كفى زيد رجلاً): ما أكفاهُ رجلاً(١). وهُنا: يتعدّى لمفعولِ.

وذكر سيبويه أنّ الباء في فاعل (كفى) قد تُفيد التّوكيد، كما جاء في قول سحيم عبد بنى الحسحاس: (٢)

عُميرةَ وَدع إن تجهزتَ غَاديا * كفي الشّيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

والشّاهد فيه أن (كفى) في قوله: "كفى الشيّبُ" -هُنا- اللاّزمة، وجاء فاعلها بغير الباء، وفي رواية: كفى بالشيّبِ والإسلامِ" على جرّ فاعلها لفظاً بالباء الزّائدة فيه محّلهُ الرّفع. (٤)

ويأتي هذا اتفاقاً مع ابن السرّاج، بأنّ عدم زيادتها لا يجوز إلا في الشّعر وهو يعنى رواية رفع (الشيب و الإسلام) لفظاً ومحلاً. (٥)

ولم يأتِ ابن جنّي بهذا الشّاهد في هذا السّياق، بل في مجال آخر (عدم تقدّم المصدر على صلته ناهيا).

وهذا دليلٌ على أنّه جاء ضرورة في الشّعر، وقد قلّ مجيئُه في التّنزيل (عدم اتصال فاعل كفي بالباء).

وما ذكره ابن مالك من المعاني التي تأتي فيها الباء، لم يتعرّض إلى زيادتها في قوله:

بالبا استعِن وعدِّ، عوَّضْ ألْصِقْ * ومثل "مع" و"مِن" و"عَنْ" بها انطِقْ (٦)

⁽۱) ينظر: شرح ابن عقيل "باب التّمييز": ٦٠٩/١-610 .

⁽٢) هو سحيم عبد بني الحسحاس بن هند بن سُفيان بن غضاب بن كعب بن سعد بن تعلبة بن داود بن أسد بن خزيمة، من شعراء الطبقة التاسعة ، بطبقات فحول الشّعراء لمحمد بن سلام الجُمحي المتوفى سنة 231 هذا السفر الأوّل ، دار المدني جدّة، بدون طبعة وبدون تاريخ ، ص 172 (شعراء الجاهلية). ينظر: الكتاب: ٢٦/٢ وبنظر: مغنى اللبيب، طبعة دار الطلائع ١٢٧/١ .

⁽٣) من بحر الطّويل، بديوانه بتحقيق عبدالعزيز الميمني، مطبعة دار الكتب 1371هـ-1950م، ص 16.

⁽٤) ينظر :شرح الشواهد المغنى 112، وينظر: الكتاب: (وجاءت الرواية: "كفى بالشيب والإسلام") ٢٦/٢ .

^(°) ينظر: الأصول ي النّحو، لأبكر بكر ابن السّرّاج النّحوي البغدادي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٤١٧هـ - ١٤٧٨ه.

⁽٦) ينظر: شرح ابن عقيل (في باب حروف الجرّ) ، ٢٣/٢.

وقد استشهد بزيادتها في الحديث الشّريف صاحب الانتصاف (۱) في قوله الله الله الله أنّه له مُنِكرٌ "(۲) ، فهي "بحسب المرء إذا رأى منكراً لا يستطيعُ له تغييراً أن يُعلم الله أنّه له مُنِكرٌ "(۲) ، فهي زائدة في المبتدأ (حسب) بمعنى كفي.

وتريد الباحثة تفصيل إيراد قول المفسرين في (كفى) في القرآن ، فجاء قول دكتور عضيمة: زيادة الباء في فاعل (كفى) : "... وفيها وجهان: في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِأُللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٢):

أحدهما: اسم الجلالة (الله) فاعل ، والباء زائدة لتدلّ على الأمر إذ التّقدير: اكتف بالله.

والثاني: أنّ الفاعل مضمر والتقدير: كفى الاكتفاءُ بالله، و"بالله" مفعول به. (٤)، ويقول: هنالك خلاف إذ أجاز الكوفيوّن الوجه الثّاني، حيث يُعملون ضمير المصدر كإعمال ظاهره، وهذا لا يجوز عند البصريّين أي: حذف الفاعل وحذف المصدر ". (٥)

وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا ﴾ (٦) قيل الباء زائدة، ويجوز حذفُها عند الزّجّاج (٢)، الذي يرى أن الباء بمعنى التّوكيد، والمعنى: كفى الله ولّياً وكفى الله نصيراً، إلاّ أن "الباء" دخلت في اسم الفاعل، لأنّ معنى الكلام الأمر والمعنى: اكتفّوا بالله. (٨)

⁽١) ينظر: الانتصاف في هامش الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٦٩/١.

⁽٢) ينظر الحديث: في مجمع شرح الطبراني، تحقيق الدكتور حمدي عبدالمحيد السّلفي، ط 2، ٢٢٣/١٠.

⁽٣) الآية (6) من سورة النساء.

⁽٤) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لدكتور محمد عبدالخالق عضيمة، ٤٧٢/١.

⁽٥) المصدر السّابق: ١/٢٧٣.

⁽٦) الآية (45) من سورة النساء.

⁽٧) ينظر :دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ١/٢٤٤ - 453 والبحر المحيط: ٥٦/٨ في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا ﴾ الآية 28 من سورة الفتح. ينظر معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحق إبراهيم بن السّري الزّجّاج ، شرح وتحقيق دكتور عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ط 1، 1408هـ - 1988م ، ٢/١٥٥١.

⁽٨) ينظر: معني القرآن وإعرابه ص ٥٧.

ومّما جاء فيه أبوالطيّب باستخدامه (كفى) ومنها قوله: (١) الطّيب بُ مِما غَنِيتُ عنه * كفى بِقُرب الأمير طِيبا(٢)

يقول المعرّي قوله: "قد استغنيت عن الطّيب؛ لأنّ قرب الأمير طيبٌ وإن يبني الله به الله به المعالي، كما يغفر بكم الذنوب أيّها الأشراف (حب آل رسول الله على) ولم يُضف اليازجي معنًى آخر ". (٣)

وشاهده: اتصال الباء الزائدة بفاعل (كفى) وهي لازمة) وتقديره: كفى قرب الأمير طيبا ، وجاء أبوالطيّب بالباء زائدة في مفعول (كفى)، بدلاً عن زيادتها في الفاعل في قوله: (٤)

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا * وحَسْبُ المنايا أن يُكن أمانيا (°)

رأى ابن جنّي: "أن الباء في (بك) -هنا- ليست مثلها في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَسِبِينَ ﴾ (1) ، فالباء زائدة هُنا بتقدير: كفى الله حسيبا في الفاعل، والباء في (بك) إنّما دخلت على المفعُول؛ لأنّ التقدير: كفاك داءً رؤيتُكَ الموتَ شافيا، ونُصب "داءً" على التمييز أي: مِن داءِ. (٧)

وباتّفاق أقوال الشّرّاح أنّ (الباء) في قول أبي الطيّب: (بك داءً) زائدة في المفعول به (المخاطب) والتّقدير: كفاك داءً، والفاعل: المصدر المؤوّل (أن ترى). (^) وقد زيدت الباء على الفاعل في قول أبي الطيّب: (٩)

⁽١) وقالها أبوالطيب عندما أشار إليه أحد الطالبيّين -طاهر العلوي- بمسكٍ بحضرة سيف الدولة.

⁽٢) من بحر البسيط ، في الديوان ص 217.

⁽٣) ينظر: الفسر: ١/٩٦/، ومعجز أحمد: ٢/٢١٤.

⁽٤) من بحر الطّويل، بالدّيوان ص 441.

^(°) في مدح كافور الإخشيدي بمصر، في أول قصيدة قابله بها ، معرّضاً بفراقه لسيف الدولة وهو يعنى : إذا كنت في حالٍ ترى شفاءك منها الموت، فتلك الحال هي أشدُّ عليك وإن كُنت صحيحاً من الدّاء.

⁽٦) الآية (47) من سورة الأنبياء.

⁽٧) ينظر: الفسر: ٣/٧٧٣.

⁽٨) ينظر: معجز أحمد: ١٧/٤، والعرف الطيّب: ٢٩٤/٢.

⁽٩) من بحر الكامل، بالدّيوان ص 7.

كفى بجسمي نُحولاً أنني رجل * لولا مُخاطبتي إيّاكَ لم تَرني(١)

وقول المعرّي: "إنّ الباء زائدة في (بجسمي) أي: في الفاعل، وتزادُ كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكِ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (٢) ، وخالف اليازجي بقوله: زاد أبوالطيّب الباء في المفعول في قوله (بجسمي) وانتصب (نحُولاً) على التمييز، والباقُون على أنّه مفعولٌ ثانِ (لكفي)؛ لأنّ المعنى: كفي جسمي مِن النّحُول. (٣)

وقد جاء في ضرورة شعرية قول أبي الطيّب بـ (كفى)، وفاعلها مصدرٌ مؤوّل بدون باء في: (٤)

كفى عجباً أن يعجبَ النّاسُ أنّه * بني مَرَعشاً، تبّاً لآرائهم تبّاً (٥)

وقيل: فاعل كفى: "أن يعجب" أي: المصدر المؤوّل، وكفى -هُنا- بمعنى أجزأ أو قى المتعدّية لمفعول واحد كقولك: كفاني دِرهُمٌ. (٦)

"وعجباً: "نصباً على التمييز، اتفاقاً مع اليازجي وأضاف أنه بمعنى: من العجب أن يعجب النّاسُ من بنائه لهذه القلعة، ومن يفعل شيئاً في إمكانه، فليس في فعله عجبُ. (٧)

وجاءت زيادة الباء في فاعل (كفى) في قول أبي الطيّب: (^) كفى بَصفاءِ الوّد رقّاً لمِثْلِه * وبالقرُبِ منهِ مفخراً لِلبيبِ(٩)

⁽١) من شعر أبي الطيّب في صباه بالفسر ٦٤٩/٣ ، وينظر معجز أحمد: ١٢/١.

⁽٢) الآية (31) من سورة الفرقان

⁽٣) ينظر العرف الطيّب: ٩٥/١ ، والتبّيان للعكبري: ١٨٥/٤.

⁽٤) مرّ شرح الشاهد في المطلب الأوّل من هذا المبحث (نعم وئس) ص 126 هـ5.

⁽٥) ويذّم غيره من الكائدين بقوله تباً لهم وهي لا ضمير فيها خلافاً (لبئس). ينظر الخصائص: ٢٩٤/١.

⁽٦) ينظر: معجز أحمد: ٢٤١/٣.

⁽٧) ينظر: العرف الطيّب: ١١٥/٢.

⁽٨) من بحر الطّويل، الدّيوان ص 323.

⁽٩) قالها أبوالطيّب في مدح سيف الدّولة أي: هو يملك رقّ النّاس بجميل نيّته لهم، ويستعبد عبيده بالطاعة وصفاء المودّة.

أشار ابن جنّي إلى أن: اللبيب: العاقل والهاء في (مثله) عائدة على سيف الدّولة، والمعرّي واليازجي اتفقا على زيادة الباء في (بصفاء) وعطف عليها في قوله: "وبالقرب"، وهي في الموضعين زائدة في فاعل "كفي" ومجرورها مرفوعٌ محلاً. (١)

وبذا يتضح أن مذهب أبي الطيّب في زيادة الباء مختارٌ في القرآن ، ولا تحذف إلا في ضرورة الشّعر ، وهذا في فصيح كلام العرب، علاوةً على مجيئه في التّنزيل كثيراً في القاصرة (اللازمة) من (كفي).

وجاء قول أبي الطيّب في استخدام (حسب) مبتدأ بدون باء مخاطباً أبا الحسين على بن أحمد المرّي الخراساني مادحاً له: (٢)

حسبُك اللهُ ما يَضِلُ عن الح * قِ وما يهتدِي إليكَ آتَامُ (٣)

وأورد الشّراح المعنى أي: كافيك الله وهو الذي يكفيك في توقّى الضلال والإثم، فأنت لا تضلُ عن الحقّ ولا يجد الإثم سبيلاً إليك، لعصمته إيّاك عمّا يخالف رضاه.

⁽۱) ينظر: معجز أحمد: ۲۲۱/۳، والعرف الطيّب: ۱۰۷/۲، والفسر: 1/194 (ويشير المحّقق دكتور رضا رجب إلى أنّ هذا البيت سقط بشرحه في النسخة المصرية (ك) ونسخة المعهد البريطاني (ب).

⁽٢) من بحر الطويل ، ص 167 بالدّيوان.

⁽٣) لم يشرح ابن جنّي البيت ورويت آثام في الدّيوان "من الإثم".

⁽٤) ينظر: الفسر ٣/٥٤٠ ، ومعجز أحمد ٢١٩/٢ ، والعرف الطيّب: ٢٣١/١.

المبحث الثآلث: إعمال ليس في الخبر:

إن (ليس) فِعلٌ غير متصرّف (جامد)، فلا يجرى مجرى الفعل المتصرّف، كما أجُريت (كان)، فأشبهت عسى. (١)

وحملها بعضهم على معنى (ما)؛ لأنّ (ليس) تنفى الحال كما أنّ (ما) كذلك على أن من النّحويّين من يُغلّب عليها الحرفية ، ويحتج بما حكى بعض العرب أنه قيل: "ليس الطيبُ إلا المسكُ" (٢) لاقتران خبرها بإلا ، فرفع (الطيّبُ) و (المسكُ جميعاً بإهمالها ؛ لانتقاض النفى كقولك : ما كان الطيبُ إلا المسكُ .

قال ابن هشام في المغني: "إن ليس قد تخرج عن رفع الاسم ونصب الخبر (يعني الفعلية) في مواضع منها:

1- أن يكون حرفاً ناصباً للمستثنى بمنزلة إلا نحو أتوني ليس زيداً، ويضيف ابن هشام أن اسمها ضمير راجع للبعض المفهوم مما تقدم ، واستتاره واجبٌ ، فلا يليها إلا المنصوب في اللفظ ... وهذا سبب قراءة سيبويه للنحو، ولزوم الخليل الحديث في قوله - اليس من أصحابي أحدٌ إلا لو شئت لأخذت عليه ليس أبا للدرداء"، فقال سيبويه: "ليس أبوالدرداء ، فصاح به حماد بن سلمة : لحنت يا سببويه ..."(۲).

2- وخرّج الفارسي "ليس الطّيبُ إلا المسكّ في أوجه منها:

الأول ان في ليس ضمير الشأن، ويورد ابن هشام: لو كان كما زعم لدخلت (إلا) على أول الجملة الاسمية الواقعة خبراً فقيل: ليس إلا الطيب المسك، وأجيب بأن (إلا) قد توضع في غير موضعها مثل قوله تعالى: ﴿إِن نَظْنُ إِلَّا ظَنَّا ﴾ (٤)، أي: إن نحن إلا نظن ظناً؛ لأن الاستثناء المفرغ لا يكون في المفعول المطلق المؤكد، لعدم

⁽۱) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١٦١/١ مسألة 18 وينظر: شرح قطر النّدي ويلّ الصّدي لابن هشام ضبط وتصحيح يوسف الشيخ محمد البقاعي وبهامشه كتاب بلوغ الغايات في إعراب الشواهد والآيات دار الفكر بيروت 1427هـ 2007م ص 175.

⁽٢) ينظر: المصدر السابق نفسه وينظر: الكتاب ١/١١، 147. والخصائص ٣/٥٠٥.

⁽٣) ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق عمر الدمياطي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ 2003م، وجاءت الرواية: "ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت آخذ عليه ليس أبوعبيدة بن الجراح" ٢٢٧/١٠ حديث رقم ٣٣٤٨٣ وينظر الخبر في تاريخ دمشق الكبير للإمام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، تحقيق: أبي عبدالله علي بن عاشور الجنوبي، ط ١، دار إحياء التراث العربي حديث رقم ٢٥٥٤ والرواية (آخذ عليه في خلقه). ويتضح تحريف الخبر لدى اللغويين، ٢١٤١هـ - ٢٠٠١م. ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب بتحقيق محمد محى الدين، المكتبة العصرية بيروت، 1411هـ 1991م، ٢٤٢١.

⁽٤) الآية (32) من سورة الجاثية وهي ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعَدَاللَّهِ حَقُّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمُ مَّا نَدَّرِى مَا السَّاعَةُ إِن نَظُنُ إِلَّا ظَنَّا وَمَا نَعْنُ بِمُسَيَقِنِينَ ﴾

الفائدة فيه ورُدَّ عليه أن المصدر (ظناً) في الآية على حذف الصفة أي: إلا ظناً ضعيفاً (١) .

الثاني: إن (الطيب) اسمها ، وخبرها محذوف أي : في الوجود وأن (المسك) بدلٌ من اسمها (إلا المسك) نعت للاسم (الطيب)؛ لأن تعريفه تعريف الجنس، وهو نكرة في المعنى ، أي : ليس طيبٌ غير المسك طيبا.

ولأبي نزار (٣) (ملك النحاة)، توجية آخر هو أن (الطيب) اسم ليس و (المسك) مبتدأ حذف خبره ، والجملة خبر ليس والتقدير : (إلا المسك أفخره).

الثالث: أن تدخل (ليس) على الجملة الفعلية (المبتدأ والخبر) مرفوعين، والرابع: أن تكون حرفاً عاطفاً على مذهب الكوفيين والبغداديين (٤).

واحتُج بعدم فعليتها بما حُكي عن رجلٍ قيل له: "فلانٌ يتهدّدُك. فقال راداً عليه: رجلاً ليسي" ، فأتي بالياء وحدها من غير نون الوقاية، ولو كان فعلاً لوجب أن يأتي بها كسائر الأفعال (نون الوقاية قبل ياء المتكلم في ليس) ، وإذا اتصلت بتاء المتكلم يُقال: "لستُ، فينبغي أن يرد الأصل في الفعل مثل: (صَيّد، فبإسناده إلى التاء يقال: (صيدتُ)، فترد على الأصل وهو الكسر، فلما لم ترد الياء في (ليس) دل ذلك على أن الغالب عليها الحرفية لا الفعلية ، فهي موغلة في شبه الحرف حملاً على (ما) (٥)

⁽١) ينظر: مغني اللبيب ١/٣٢٥ ، وينظر : الخصائص ١٥١/٢.

⁽٢) ينظر المصدر السابق ١/٣٢٥.

⁽٣) هو الحسن بن صافي بن عبدالله بن نزار بن أبي الحسن ، الملقب بملك النحاة ، كان أبوه مولى حسين الأموي ، ولد بشارع دار الرقيق ببغداد ، ثم انتقل إلى الشرق وتفقه على الشافعي ، وقرأ الأصول على ابن برهان ، والنحو على الفصيحي حتى برع فيه، كان من أئمة النحاة ، غزير الفضل، صحيح الاعتقاد، كريم النفس، مطبوعاً ، صنف الحاوي في النحو ، والعمدة فيه والمقتصد في التصريف والعروض والتذكرة السفرية والحاكم في الفقه ، والمقامات ، وله ديوان شعر ، سافرالي خراسان وكرمان ، وإلى الشام واستوطن دمشق والحاكم في الفقه ، والمقامات ، وله ديوان شعر ، سافرالي خراسان وكرمان ، وإلى الشام واستوطن دمشق حتى مات سنة 8568هـ ، ترجمته بغية الوعاة : ١/٤٠٥ ، ومعجم الأدباء ١٢٢/٨ – 129 ، وإنباه الرواة ما ١/٥٠٣ – 306. وينظر سفر السعادة وسفير الإفادة ، للإمام علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفى في 643هـ، حققه دكتور محمد أحمد الدالي، وقدم له دكتور شاكر الفحام، ط2، دار صادر ، بيروت، 1415هـ 1994م، ١٩٦٣.

⁽٤) المصدر السابق نفسه .

^(°) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١٦٢/١، ونتائج الفكر في النّحو، لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي بتحقيق دكتور محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ط 2، بدون تاريخ، ص 75، وينظر الاحتجاج بالشعر في اللغة / الواقع ودلالته، للدكتور محمد حسن حسن جبل، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر الشريف، مطبعة المنصورة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص ٤٠.

وجاء عن سيبويه أنها لا تكون مثل (أصبح وأمسى) اللتين تكونان مرة بمنزلة (كان) ومرة بمنزلة (استيقظ ونام). (١)

أما ليس فلا يكون ذلك فيها؛ لأنها جامدة (٢)، فهي مُشبهة ب (كان) في عملها الرّفع والنصب وب (نعم وعسى وبئس) في جمودها ، فهي تكونُ بين منزلتين. (٣)

وقد شّبهّت (ليس) بر (ما) في لغة بني تميم كقول بعض العرب: "ليس خلق اللهُ مِثلهُ" ، فلولا أنّ فيه إضماراً لم يُجز لك أن تذكر الفعل، ولم تُعمِله في اسم، ولكن فيه إضمار مثل ما في (إنّه). (٤) وهذا إذا وليها فعلٌ ماضِ.

وأوّل من ذهب إلى أنّ (ليس) حرفٌ ابنُ السّراج^(°)، وتبعه في ذلك أبوعلي الفارسي^(۲)، وجماعةٌ من النّحوتين.

وقد جاء في هامش التُّحقيق لمحمد مُحي الدين عبدالحميد على شرح ابن عقيل قوله: إنّهم استدلّوا على ذلك بدليلين:

أحدُهما: أن (ليس) أشبه الحرف من وجهين:

الأوّل: إنه يدل على النّفي الذي تدلّ عليه (ما) وغيرها من حروف النّفي. والثّاني: إنّ (ليس) جامدةٌ لا تتصرّف، كما أن الحرف كذلك.

وبعضهم قال: إنّه خالف سنن الأفعال، وبيان ذلك أنّ الأفعال تامّةٌ مشتقةٌ من المصدر للدّلالة على الحدث -دائماً - والزّمان بحسب صيغتها، و (ليس) هذه لا تدلّ على نفي الحدث الذي دلّ عليه خبرها في الزّمان الحاضر، إلى أن تقوم قرينةٌ تصرّفه إلى الماضي أو المستقبل. (٧)

⁽١) ينظر: الكتاب: ١/٢٦.

⁽٢) ينظر شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، بتحقيق دكتور رمضان عبدالتواب، ط 1 الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1411هـ-1990م، 2/257، وينظر المفصّل في علم العربيّة، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط 2 دار الجيل، بيروت، ص 268 وشرح كتاب الأبيات المشكلة في الإعراب (المُسمّى بإيضاح الشّعر)، لأبي علي الفارسي بتحقيق دكتور حسن هنداوي، طبعة دار القلم، دمشق، وزارة العلوم والثقافة، بيروت، ط 1407هـ- 1987م ص 10.

⁽٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٦٤/١.

⁽٤) ينظر: الكتاب: 1/70 ،والبحرالمحيط ٢٩/٧.

⁽٥) ينظر: الأصول في النّحو، لابن السّرّاج، ١٧٨/٣.

⁽٦) ينظر: المسائل الحلبيات، لأبي على الفارسي (لم أجده).

⁽٧) ينظر هامش شرح ابن عقيل على الألفيّة: ٢٤٤/١.

هذا خلافاً لابن جنّي الذي يرى أن (ليس) كغيرها من الأفعال التي ترفع وتنصب وإن عريت من معنى الحدث، وكذلك تنصب الظرف لفظاً، لأنّها على وزن الفعل (في الشبّه اللفظي). (١)

وقد جعلها ابن مالك من الأفعال التي تعمل في المبتدأ والخبر بلا شرط، خلافاً لما تسبق بنفي أو شبهه (نهي أو دعاء) مثل: برح وزال وفتئ وانفك، فهذه لا تعمل إلا مسبوقة بنفي (لا) أي لا تأتي مع حذف النفي إلا بعد القسم (٢)، كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَاللّهِ تَفْتَوُّا تَذُكُرُ يُوسُفَ ﴿ (٣) : أي لا تفتؤ ولا تزال تذكرُ يُوسف، فحذفت قالُواْ تَاللّهِ تَفْتَوُ الذّي وَسف موضع نصب خبر "تفتؤ "(٤) ويضيف صاحب روح المعاني قوله: "وتعمل ليس كغيرها من الأفعال، فترفع المبتدأ وتنصب الخبر كما في المعاني قوله: "وتعمل ليس كغيرها أو الجارّ، وهي في هذه الحالة، تفسّر على الإضمار كان) كذلك، وقد يليها الفعل أو الجارّ، وهي في هذه الحالة، تفسّر على الإضمار كقول الشّاعر: (٥)

وبلدةٍ ليسَ بها أنيسُ * إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ (٦)

واستشهد به سيبويه كجواز إضمار الفعل، مع قوّته إذ جاز إضمار حرف الجرّ مع ضعفه أي (رُبّ).(١)

⁽١) ينظر: الخصائص: ١٧١/٢.

⁽۲) ينظر شرح ابن عقيل: ۲٤٥/١.

⁽٣) الآية (85) من سورة يوسف وتمامها: ﴿ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًاأَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ ﴾

⁽٤) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدّين السيد محمود الألوسي، البغدادي المتوفى سنة 1270هـ ، صححه السيد محمود شكري الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط 4، 1405هـ 1984 .

^(°) هو جران العود وهو عامر بن الحارث النّميري، شاعر ، وصاف ، أدرك الإسلام، وسمع القرآن واقتبس منه كلمات وردت في شعره ترجمته في الأعلام ، ط 16 ، 1426هـ – 2005م، ٢١٥/٣ ، ومقدمة ديوانه (وجران العود هو مقدمة عنق البعير المسن) ، والشعر والشعراء ص 285.

⁽٦) من بحر الرجز، ينظر ديوان جران العود وترجمته في الأعلام: ٣/٥٢٥ ط 16، 2005م وينظر ديوانه برواية وشرح أبي سعيد السكري، ص 52، والشاهد 444 بشرح الأشموني والإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٢٧١ (مسألة 35) في باب (هل تكون إلا بمعنى الواو) وشاهده رفع ما بعد إلا بجعله اليعافير والعيس أنيسةً للبلدة، على سبيل الاتساع والمجاز، وهذه لغة بني تميم في إبدال المستثنى من المُستثني منه وليس من جنسه.

وترى الباحثة أنّه يمكن تقدير تاء في ليس (ليستُ) لإضمار اسمها (هي)، وجعل متعلّق الجار والمجرور (كائنٌ) أو (مستقرٌ) جملة في مكان خبر (ليس) والمعنى (ليست كائنٌ أنِيسٌ بها)، أو جعل الجار والمجرور ابتداء وخبره (أنِيسُ) وذلك لاتساعهم في الجارّ والظرف^(۲)، وفي كلتا الحالتين اسمها مضمر (الشأن أو القصة).

وهذا لو حملناه على تفسير القرآن لجاز في قوله تعالى: ﴿ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمُ ﴾ (٣).

وجاز في التفسير لأنّ المعنى كادت قُلوبُ فريق منهم تزيغ، وهي قراءة جُمهور القراء ، خلافاً لمن قرأ بالياء (٤)، وذلك بإضمار اسم ليس كما في قولك: (ليس الطّيْبُ لا المِسك) كما تقول: "ما كان الطّيبُ إلا المِسكُ ، على إضمار اسمها والتقدير: ما كان الأمرُ إلا المِسكُ، فجاز هذا إذ كان معناه: ما الطّيبُ إلاّ المِسكُ(٥) ومثل هذا كثيرٌ في كلام العرب.

ومِمّا جاء فيه إعمال ليس في الرّفع والنّصب عمل (كان) في التّنزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّ قَلَ ﴾ (١).

ولا اختلاف في رفع "البرُّ " هُنا، لأن خبر ليس "بأن تأتُوا" ولزم ذلك لدخول الباء في الخبر "أن تأتُوا وهو خلاف قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَالْخبر "أن تأتُوا" وهو خلاف قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ ٱلْبِرَ أَن تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ (٧) ، إذ لم يقترن بأحدهما (اسم ليس أو خبرها) ما يُعين على الاسم أو الخبر . (٨)

⁽٧) ينظر: الكتاب: ٢٦٣/١ ، ومقدمة ديوانه ص 285 (بتصرف) .

⁽١) ينظر: شرح قطر النّدي وبلّ الصّدي، لابن هشام الأنصاري، ص 176.

⁽٢) الآية (117) من سورة التوبة وهي: ﴿ لَقَدَ تَابَ اللهُ عَلَ النَّبِيِّ وَالْمُهَدِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيعُ قُلُوبُ فَرِيقِ مِنْهُدُ ثُدَّ تَابَ عَلَيْهِمُ إِنَّهُ، بِهِدُرَءُوثُ تَحِيدٌ ﴾

⁽٣) وهما: حمزة وحفص، ينظر البحر المحط: ٩/٥، وإملاء مامنّ به الرّحمن: ٢٣/٢ "بقراءة (تزيغ)".

⁽٣) ينظر: الكتاب: ١/١٧.

⁽٤) الآية (189) من سورة البقرة.

 ⁽٥) الآية (177) من سورة البقرة.

⁽٦) ينظر: إملاء ما منّ به الرّحمن: ١/٨٤، وشرح قطر النّدي وبلّ الصّدي، لابن هشام، ص 170.

وابن مالك وابن هشام يُجيزان توسُّط الخبر بين (ليس) واسمها؛ لأنّها محمولةً على (كان) في الفعليّة، فابن مالك لا يُجيز تقديم الاسم على الخبر إن كان جارّاً ومجروراً كقولك: "كان في الدّارِ صاحبُها"، فلا يجوز: "كان صاحبُها في الدّارِ"، وذلك لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً، وإذا قلت: "كان أخي رفيقي" فلا يجوز تقديم "رفيقي" على أنّه خبرٌ، وذلك لعدم ظهور الإعراب(۱)، وقد ورد تقديم خبر كان في القرآن كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصُرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

ويقول العكبري في قوله تعالى: ﴿ وَكَاكَ حَقًا ﴾: حقّاً: خبر كان مقدّمُ على اسمها ، ويجوز أن يكون في كان الخبر ، ويجوز أن يكون في كان (ضمير الشّأن) وحقّاً (مصدر) وعلينا نصُرُ: مبتدأ وخبر في موضع خبر كان. (٣)

فإذا كان توسط الخبر رفع مع كان بخلاف، فهي متصرفة وحُملت عليها (ليس) فكيف بها وقد جاء رفعها الاسم ونصبها الخبر؟ في قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ لِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ (٤).

قال أبوحيّان: اختلفت القراءة في (عبده) بدلاً عن (عباده) ، فقرأ الجمهور "عبده" وقُرئ "بكافي عبدِه" -على الإضافة- "ويُكافي عباده" على مضارع كفى ونصب (عباده) وهو أبلغ من (كفى، لبنائه على لفظ المبالغة، وهو الظاهر لكثرة تردُّد هذا المعنى في القرآن (٥)، والظاهر في كل القراءات أنّ اسم الجلالة مرفوع اسم (ليس) و (كافٍ) خبره لاتصاله بالباء (٢)، رُغم أن المنقوص المنصوب قياس لفظته (كافياً) ولكنه مجرورٌ لفظاً بالباء الزّائدة (بكافٍ). (٧)

⁽۱) ينظرشرح قطرالندى وبل الصدى ص١٧٠ ، وشرح ابن عقيل ٢٥٣/١.

⁽٢) الآية (47) من سورة الرُّوم.

⁽٣) ينظر إملاء ما منّ به الرّحمن: ١٨٦/٢-187، وينظر شرح ابن عقيل هـ3: ٢٥٣/١.

⁽٤) الآية (36) من سورة الزُّمُر .

⁽٥) ينظر: البحر المحيط: ٢٩/٧.

⁽٦) ينظرالمصدرالسابق نفسه

⁽٧) ويُعرب: خبر ليس منصوب بالفتحة المقدرة على الآخر، منع من ظهورها اشتغال المكان بحركة حرف الجرّ الزّائد.

وكل ما جاء في القرآن في إعمال ليس يليها اسم الجلالة (الله) مرفوعاً لها، ويكون خبرها مؤكّداً بالباء الزّائدة في موضعه مثال قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْمُ اللهُ بِأَحْكَمِ اللهِ المُحالِقِينَ الهُ اللهِ اللهِ اللهِ الهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ الهُ اللهِ المَالِي اللهِ المَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المَالمُوالمُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ

يقول فيها العكبري: "أي: هو أحكمُ الحاكمين"(٢) "والله أعلم"، فكأنّه أبطل عمل ليس بالاستفهام (الهمزة) لأنّها نافية، ونفى الاستفهام إيجاب، فعادت الجملة اسمية (الله أحكمُ الحاكمين).

وبعد هذه المدارسة مع النّحويّين ننتقل إلى ما جاء به أبو الطيّب شرحاً وتعليقاً على أشعار ديوانه وقول صاحبه (ابن جنّي)، ومن شرحوا الدّيوان بعده فقال أبوالطّيّب في وداع أبي الفضل، ابن العميد: (٣)

وليس حياءُ الوجهِ في الذَّئب شيمِةً * ولكنَّهُ من شيمة الأسدِ الوَرْدِ (٤)

يقول ابن جنّي: ليس بُمزرٍ بهم ولا غاض منهم، كما أنّه لا يعيبً الأسد حياؤه، وإنّما القحة في الذئاب؛ لخُبثها، يصفهم بشدة الإقدام مع فرط الحياء (٥)، فهو لم يُشّرِ إلى الإعراب ولكن شرحه للبيت يرفع الحياء عن الأسد الذي كانت صفته الحياء، وأضاف المعرّي أنّه لما وصف غلمانه بالحياء بيّن أن ذلك من وصف الأسد، كما أنّ الحياء لا يمنعه من الإقدام، إذ الوقاحة من صفة الذّئاب؛ لخِسّتها ، ولم يُضف الليازجي أكثر من ما سبق. (٦)

وقال أبوالطيّب في مدح بدر بن عمّار:

بقائي شاءَ ليسَ هُمُ ارتحِالا * وحُسنَ الصّبرِ زَمُّوا لا الجِمالا(٧)

⁽١) الآية (8) من سورة التين.

⁽٢) ينظر: إملاء ما منّ به الرّحمن: ٢٨٩/٢.

⁽٣) من بحر الطويل، طبعة دار الجيل، يستزيده عضد الدولة إلى فارس صله منه 354هـ، ص 533 بالدّيوان.

⁽٣) الشيمة: الخليقة، الورد: المائل إلى الحمرة، ويُشير المحِّقق د كتور رضا رجب بأن هذا البيت سقط من النسخة الأحمدية للفسر وشرحه من النسخة المصرية ومن شرح ابن المستوفى "النظام".

⁽٤) ينظر: الفسر: ١١٤٤/١.

⁽٥) ينظر: معجز أحمد: ٣١١/٤ ، والعَرْف الطيّب: ٢/٤٣٨.

⁽١) من بحر الخفيف، ص 139 بالديوان.

شرحه ابن جنّي بقوله: أي حياتي شاءت الارتحال ليس هُم، فاسم ليس: الأمر أو ليس الخبر، (هُم شاءوا) فحذف (شاءوا) لتقدّم شاء في أوّل الكلام ويجوز أن يكون (هُم) اسم (ليس)، إلا أنّه استعمل الضمير المنفصل موضع المتّصل ضرورة أي: ليسُوا. (١)

ويُضيف المعرّي: (ارتحالاً) نصباً بـ(شاء)، وفاعُله ضمير (بقائي) وحُسن الصبر نصباً بأ(زمُوا) و (الجمال) عطفاً عليه وليس بمعنى (لا) فلا خبر له. (٢)

ويخالفهما اليازجي قائلاً^(۱): "اسم ليس: ضمير الشّأن محذوف، و (هُم): مبتدأ وخبره محذوف ويجوز أن يكون (ليس) هُنا حرفاً عاطفاً بمنزلة (لا) فلا اسم لها ولا خبر، وقيل اسم (ليس) مضمر و (هم) خبره (٤٠).

ومّما جاء فيه اسم ليس ضمير شأن قول أبي الطيّب: ^(٥)

وشيخٌ في الشّبابِ وليس شيخاً * يُسمّى كُلُ مَن بلَغَ المشِيبا(٢)

ورأي ابن جنّي فيه هو مع أنّه شابٌ في حُنكة الشيخ، ورُبّ إنسانٍ غيره بلغ المشيب، ولم يستحق أن يُسمّى شيخاً. (٧)

شرح البيت المعرّي واليازجي واتفقا على أنّ (شيخاً) مفعولٌ ثانٍ مقدم لـ (يُسمّى)، و (كل) على رأى اليازجي يجوز أن يكون اسم (ليس) أو نائباً لـ (يُسمّى) على طريق التّنازُع، ويقول: "هو في عقل الشّيوخ وكمالهم وإن كان في سِنّ الشّباب، وكم من إنسان بلغ المشيب ولم يستحق أن يُسمّى شيخاً لنقصه وتخلفه". (^)

⁽٢) ينظر: الفسر: ١٥٣/٣.

⁽٣) ينظر: معجز أحمد: 2/140، وبنظر: مُجيب الندا:ص 261.

⁽٤) يقول: لما جعل حياته راحلة جعل مطيتها حسن الصبر لأنّه لو صبر لم يكنُ لرحيل حياته سببّ.

⁽٥) ينظر العرف الطيّب: ١/٢٨٩.

⁽٦) من بحر الوافر، ص 195 بالدّيوان.

⁽٧) وكان قد أنفذ إليه علي بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي وكيلاً له ، فمدحه أبوالطيّب.

⁽٨) ينظر: الفسر: ٢٧٩/١، و"يُشير المحق لسقوط هذا البيت من نسخة الفسرالمصرية ونسخة المعهد البريطاني

⁽٩) ينظر: معجز أحمد: ٣٣٤/٢ ، والعرف الطيّب: ٣٧٦/١.

وترى الباحثة أن اسم (ليس) ضمير مستتر يعود على (شيخ) في صدر البيت ويجوز أن يكون (كُلُ) اسمها والمفعول الثّاني لـ(يسمّى) اسم الموصول (من)، و (بلغ المشيبا): صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب.

وجاء أبوالطيّب باسم (ليس) ضمير شأن وخبرها جملة فعليّة في قوله (۱): فرُبّ كئيبٍ ليس تَندِي جُفُونُهُ * ورُبّ نَدِيِّ الجَفنِ غيرِ كئيبِ فَلُبّ كئيبِ الجَفنِ غيرِ كئيبِ قال ابن جنّى: "الكئيب الحزين من الكآبة وهي الحُزن". (۲)

وأضاف المعرّي: إنّ الدّمع ليس دلالة الوجد، فكثيرٌ من النّاس يحزن قلبُه ولا يجرى دمعُه، وقد يجرى دمعه ولا حُزن في قلبه، وأتي اليازجي بنفس المعنى مع اختلاف في الألفاظ. (٣)

وترى الباحثة أنّ اسم (ليس) -هُنا- ضمير الشّأن العائد (على) الكئيب في صدر البيت ، وجملة (تندي جُفونُهُ) في محل نصب خبر ليس، فكأنّه قال: رُبّ كئيب ليس باكياً، أو تكون (ليس) بمعنى (لا) والتّقدير: رُبّ كئيب لا تندي جفونُهُ.

وجاء قول أبي الطيّب باسم ليس ضمير شأن وخبرها جملة اسميّة في: (٤) إنَّ السّبلاح جميعُ النّباسِ تحملُهُ * وليسَ كُلُّ ذَواتِ المِخْلَ َبِ السّبُعُ(٥)

لم يشرح ابن جنّي البيت في الفسر الكبير، ولا الصغير^(٦)، بل ترك الحلبة لمن أتوا بعده، فقال المعرّي: "كُلُّ ذوات المخلب السّبُعُ": مبتدأ، وخبره في موضع نصب

⁽١) من بحر الطويل، ص 324 بالدّيوان، قالها أبوالطيب يعزي سيف الدولة في عبده التركي (يماك) الذي مات سنة 340ه.

⁽٢) ينظر: الفسر: ١٩٩/١ (لم يُعلق المحقق ولا الوحيد الأزدي، وذلك لأنّ ابن جني لم يتعرض لناحية النحو ولا الإعراب) .

⁽٣) ينظر: معجز أحمد: ٣/٢١٥، والفرف الطيّب: ١٠٨/٢.

⁽٤) من بحر البسيط، بالدّيوان، طبعة دار الجيل ، ص 315.

^(°) المخلب: (في الطير والسباع بمنزلة الظفر عند الإنسان) والسّبع: المفترس من الحيوان يقول: أي ليس كلُّ من يحمل السّلاح شجاعاً ، كما أنه ليس كلّ ذي مخلب أسد.

⁽٦) ينظر: الفسر الصغير لابن جني ، بتحقيق دكتور عبدالعزيز ناصر الماتع ، بعنوان (تفسير أبيات المعاني في شعر المتتبّى) ، ٢/٣٥٠.

خبر ليس واسمها: هو ضمير الأمر والشّأن وقيل: إنّ (ليس) هُنا بمنزلة (ما) في لغة بني تميم "لا يُنصب خبرها ويُضيف اليازجي-بعد اتفاقه مع المعرّي-قوله:أي ليس كلٌ من يحمل السّلاح يستعمله كما أنّه ليس كل ذي مِخلبٍ يفترسُ.(١)

وتختم الباحثة القول في إعمال (ليس) في شعر أبي الطيّب بقوله: (٢) أصبْحتَ تَامُرُ بالحِجابِ لخَلِوةٍ * هيهاتَ ليس على الحِجابِ بقادِرِ

قال ابن جنّي: مَن قال: هيهاتِ (بفتح التاء) وقف عليها بالهاء (هيهاه) ومن كسرها ووقف بالتّاء فقال: (هيهاتِ)^(۳)، وقد أغفل ابن جنّي الناحية النّحويّة لذا لم يتعرض لشرح هذا البيت إلا المعرّي الذي أضاف قوله: أمرت بالحجاب لخلوة بنفسك، وما أبعد ما أردت؛ لأنك لا تقدر على الاحتجاب للعّلة التي ذكرها أبوالطيّب في البيت اللاّحق^(٤) وهو يخاطب بدر بن عمّار عندما دخل عليه أبوالطيّب وأمر ألا يدخل عليه أحدٌ ، وأن يُحجب ليخُلو للشرب فخاطبه المتنبّى ارتجالاً. (٥)

⁽١) ينظر: معجز أحمد ١٧٥/٣ ، والعرف الطيّب: ٩٦/٢.

⁽٢) من بحر الطويل، ص 153 بالدّيوان.

⁽٣) ينظر: الفسر: ١٣٠/٢.

⁽٤) وهو من كان ضوء جبينه ونَوالُهُ ، لم يُحجبا لم يحتجب عِن نَاظِرِ.

⁽٥) ينظر: معجز أحمد: ١٩٨/٢.

المبحث الرابع: القول في أولى العاملين بالعمل في التِّنازُع:

التنازع هو أن يتوجّه عاملان متصرّفان فأكثر ليس أحدهما مؤكداً للآخر الله معمولين فأكثر متأخّر عنهما. (١)

ويجو تنازع عاملين اتفقا في العمل، كقام وقعد أخواك، أواختلفا كما في: ضربني وضربتُ زيداً. (٢)

ولا خلاف بين البصريّين والكوفيّين في أنّه يجوزُ إعمال كلِّ واحدٍ من العاملين في ذلك الاسم الظّاهر، ولكن اختلفُوا في الأولى منهما، فذهب الكوفيُّون إلى أن الأوّل أولى به؛ لتقدّمه (٣) وذلك في قول ابن مالك:

إنْ عاملانِ اقتضيا في اسمٍ عمَل * قَبِلُ فللواحدِ مِنهُما العملُ

والثّاني أولى عند أهلِ البَصرة * واختار عكساً غيرُهُم ذا أسره(٤)

فالكوفيون اختاروا إعمال الأوّل، واحتجوّا بان قالوا: الدّليلُ عليه بالنّقل والقياس. أمّا النقل فقد جاءوا بقول امرئ القيس: (٥)

فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة * كفاني، ولم أطلُبْ قليلٌ من المال^(۱) فأعمل الأوّل، ورفع به (قليل) وهو (كفاني) ولو أعمل الثّاني لنصب (قليلاً) وذلك لأنّه أضمر المفعول في الفعل الأوّل (كفاني)، وإنما كان ذلك للمعنى، لأن

⁽۱) ينظر: مُجيب الندا في شرح قطر الندي وبل الصدي، للعلامة عبدالله بن أحمد المكي الفاكهي المتوفى سنة 972هـ، دراسة وتحقيق دكتور مؤمن عمر محمد البدرين، ط1، الدار العُثمانية للنشر، عمان، 1429هـ- 2008م، ص 356، والكتاب، باب الفاعلين والمفعولين ٧٣/١.

⁽٢) ينظر: شرح الأشموني: ١٢٢/١، وشرح التسهيل لابن مالك: ١٠٣/٢.

⁽٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٨٣/١ (مسألة رقم 13) ، وشرح ابن عقيل ٢٦٨/١.

⁽٤) ينظر: شرح ابن عقيل على الألفيّة: ٤٩٤/١ ، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٨٤/١.

^(°) من بحر الطّويل ، ينظر: ديوان امرئ القيس ص 39 ، وينظر رواية البيت في مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب شاهد 414 طبعة دار الطلائع، ، ٢٧٣/٢ ، 294، وينظر: شرح الكافية في النّحو، للشيخ رضي الأعاريب شاهد 414 طبعة دار الطلائع، ، ٢٧٣/٢ ، 294، وينظر: شرح الكافية في النّحو، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النّحوي، بتحقيق دكتور عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 121هـ – 2000م، ٢٧٠٠/١.

⁽٦) دليل إعمال الأوّل البيت اللاحق وهو ولكني أسعى لمجدٍ مؤتّلٍ * ولا يدركُ المجدَ المؤثلَ أمثالِي

المطلوب عنده الملك، ولم يطلبُ القليلُ ، ولو أعمل الثّاني ونصب (قليلاً) لفسد المعنى. (١)

وإنّ هذا الإعمال للأوّل من غير ضرورة مع ارتكابه محذوراً، وهو حذف المفعول من الثّاني، دلّ على أن إعمال الأول أولى عند الكوفيّين، ولا يكون البيت من التّنازع إلاّ إذا جعلنا (الواو) للحال في (ولم أطلُب) فيكون المعنى: لو كان سِعيى لأدني معيشة كفاني قليلٌ من المال، حال كوني غير طالبٍ له، وهذا مذهب أبي على وابن عصفور. (٢)

وابن الأنباري يرى أنّ إعمال العامل الأوّل أولى؛ لأنّ إعمال الثّاني يؤدّى إلى الإضمار قبل الذّكر، وهذا لا يجوز في كلامهم. (٣)

واختار البصريون إعمال الثّاني في الظّاهر، وإهمال الأوّل، لقُربه، ولسلامته من الفصل بين العامل ومعموله بأجنبيّ؛ لأنّ إعماله في كلام العرب أكثر من إعمال الأوّل، وهذا مذهب سيبويه، وابن جِنّي^(٤)، حيث جاء هذا في قول الشَّاعر:^(٥) جفوني ولم أجف الأخلاء إنّنِي * لغير جميلٍ من خَلِيليّ مُهمِلُ^(١)

والشّاهد فيه قوله: "جفوني ولم أجفُ الأخلاءَ" حيثُ تتازع (جفوني) (وأجفُ) معمولاً واحداً هو (الأخِلاءَ) فأعمل الثّاني (أجفُ) لقربه وأضمر في الأوّل وقد قدّم الضمير على مفسّره معمولاً لأوّل المتنازعين على قول البصريّين. (٧)

⁽١) ينظر: الكتاب: ٧٩/١.

⁽٢) ينظر: شرح ابن عقيل (هامش التحقيق) ١/٥٩٥ ، وينظر شرح الجُمل الكبير لابن عصفور، بتحقيق دكتور صاحب أبوجناح، ط 1، 1419هـ - 1998م، ٦٣٥/١.

⁽٣) ينظر: الإنصاف: ١/٨٧ ، وشرح ابن عقيل: ١/٩٩٨.

⁽٤) ينظر: شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ، نسخ محمد علي أكبر الخواناسري، ١٢٧٤هـ - ١٨٥٣م، ص ٤٩ ، والخصائص: ١٦٢/٢، و هامش الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٩/١ ومجيب الندا إلى شرح قطر الندي ص 357 .

⁽٥) من بحر الطّويل (ولم أجده في ديوان كثيّر عزّة) .

⁽٦) ينظر: الإنصاف: ٨٩/١-90 ، والمعجم المفصّل لشواهد النّحو الشّعريّة: ٧١٠/٢ .

⁽٧) ينظر: شرح الأشموني: ١٧٩/١ ، والمقاصد النّحويّة: ٣/١٤ ، .

وقد منعه الكوفيون، فقال الكسائي: يحذف الفاعل، وقال الفراء يُضمر ويؤخّر عن المفسر، فإن استوي العاملان في طلب الرّفع، وكان العطف بالواو نحو: قام وقعد أخواك فهو عنده فاعلٌ بهما. (١)

وإِنّ أكثر السّماع إنما ورد بإعمال العامل الثّاني وعليه نزل القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ ءَا تُونِيَ أُفْرِغُ عَكِيْهِ قِطْ رًا ﴾ (٢).

ويرى أبوالبقاء العكبري في هذه الآية: (قِطراً): مفعول (آتوني) ومفعُول (أفرغ): محذوف أي: أفِرغهُ، وقال الكوفيوّن: هو مفعول (أفرغ)، ومفعول الأوّل محذوف أي، فلو كان منصوباً بـ"آتوني (لكان): (أفرغهُ عليه). (1)

قال ابوحيان (قطراً) منصوب بافرغ، على إعمال الثاني، إذ ينازع مع (ءاتوني) حذف الضمير من الأوّل ، فلو كان أعمل الأول لكان التركيب (آتوني أفرغه عليه قطرا)، فكنت تضمر في الثاني على الفصيح، والقطر: النّحاس". (٥)

فثبت بما ذكرنا أن الاختيار إعمال الثّاني وأنّ إعمال الأوّل جائزٌ.

ومّما جاء في ديوان أبي الطيّب من باب التّنازُع قوله ، وهو يمدح كافوراً عندما قاد إليه فرساً أحمر:

رضيتُ بما ترضى به لي محبّةً * وقُدْتُ إليكَ النّفسَ قَودَ المُسلِّم (٦)

وشاهده إعمال الفعل الأول (رضيتُ) في نصب المعمول وهو (محبة) ، وقد أضمر في الثّاني ضميره وهو (ترضى به).

⁽١) ينظر: مغنى اللبيب طبعة دار الطلائع ، شاهد رقم 735، ١٤٨/٢.

⁽٢) الآية 96 من سورة الكهف وهي: ﴿ ءَاتُونِ زُبَرَ ٱلْحَدِيدِّ حَتَى إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواً حَتَى إِذَا جَعَلَهُ, نَارًا قَالَ ءَاتُونِ أَفْرِغُ عَلَيْهِ قِطْ رًا ﴾

⁽٣) ينظر: إملاء ما منّ به الرّحمن: ١٠٩/٢.

⁽٤) ينظر: شرح الجُمل الكبير لابن عصفور: ١/٦٢٧.

⁽٥) ينظر: البحر المحيط: ١٦٢/٦.

⁽٦) من بحر الطويل ، ينظر دّيوانه ص 462.

ورأى المعرّي أنه يريد: كلّ شيءٍ ترضى به لي، فإنّي راضٍ به، ومؤثرٌ هواك على كل شيءٍ؛ لأنّي قدتُ نفسي إليك مسُلّماً أمري لك، ويضيف اليازجي: إن هذا القود من عتاب الاستبطاء، فيقول: إن كنت ترضى بتأخير ما أرجُوه، فأنا أرضى محبّةً لك، فسقت نفسى إليك تُصرّفها كما تشاء. (١)

والملاحظ أنّ ابن جنّي لم يشرح هذا البيت، و الشّراح بعده لم يشيروا إلى الناحية اللغويّة ولا محقّق الفسر. (٢)

ومن شواهد أبي الطيّب في إعمال الفعل الأوّل قوله: (٣) يستكبُرون(٤) (٥) أُبيّاتاً نأمْتُ بها * لا تَحسُدُنَ على أن ينامَ الأسدَا(٢)

وجاء شرح البيت: إنهم يرون تلك الأبيات كثيرة في معناها على جدّته، وقد شبّه نفسه بالأسد؛ ليشعر أنها صغيرة إلى جنب فعله، لذلك صغّر (أبيات) إلى جانب صوته ونئيمه، لأنّ الأسد لا يُحسدُ على ذلك، فنصب (الأسد) بالفعل الأوّل (تحسدُن) وهو مفعول به، وفيه استعارة بالكناية (مكنيّة) لأنّ الثّاني في معنى المصدر ،كأنهُ قال لهم: لا تحسدون الأسد على نئيمه (٧) وهذا على مذهب الكوفيّين.

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ٨٦/٤ ، والعرف الطيّب: ٣٢٨/٢.

⁽٢) ينظر: الفسر شاهد رقم 254 ، ٩٠/٣٥.

⁽٣) عندما قال القصيدة التي يُرثي فيها جَدّته -التي بمثابة أمَه- وكتب لها كتاباً رداً عليها في قصيدة مطلعها ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً * فما بطشها جهلاً ولا كفّها حلما

واستعظم قوم ما قاله في آخرها:

فلا عبرت بي ساعةً لا تعُزّني * ولا صحبتني مُهجةُ تقبل الظلما.

فقال: ذلك البيت رداً عليهم بقوله: يستكبرون ..."

⁽٤) وجاءت رواية شرح المعري (يستكثرون)، ينظر هامش الفسر: ٩٧٦/١.

^(°) صغر أبوالطيّب أبيات بغرض التحقير ، وهو استصغار الحجم أو المكانة للشيء أو الشخص. ينظر: أساس البلاغة مادة (حقر) ص 135.

⁽٦) من بحر الطويل ، بالدّيوان، طبعة دار الجيل ، بيروت، ص 176.

⁽٧) ينظر: معجز أحمد: ٢٦٩/٢ والعرف الطيّب: ٢٨/١ وجاء محقق النسخة المصرية من الفسر برواية "على أن ينأمُ الأسد" وهذا مذهب ابن جِنّي في إعمال (أن) المخففة من الثقيلة وما بعدها مضارع مرفوع والتقدير: (على انه ينام الاسد)، وسيأتي تفصيل ذلك في مبحث الحروف من هذا الفصل إن شاء الله- وينظر المحتسب: ٩٣/١.

ومّما جاء فيه إعمال الفعل الثّاني على مذهب البصريّين قول أبي الطيّب، وهو يمدح سيف الدّولة عند مسيره نحو سمندو^(۱)، وتقدّمه الجيش سنة 339هـ:^(۲) رضَّ بينا والدَّمستق غير راضِ * بما حكمَ القواضِبُ والوَشِيجُ^(۲)

قال ابن جِنّي: (الوشيج في الأصل): عرُوق الرّماح ثُمّ كثرُ ذلك، حتى صارت الرّماح تُسمّى وشيجاً للمجاورة والملابسة (٤) والقواضيب: السّيوف، وقد أعمل الفعل الثّاني (راضٍ) على مذهب البصريّين، ولو أعمل الأوّل (رضينا) لقال: رضينا والدَّمستق غير راضٍ به، لأنّ المعمول هو الذي حكمهُ (القواضيب والوشيج)، أي: اسم الموصول (ما) الذي جُرّ بالباء ولم يُشِر الشراح إلى وجه التّنازع الذي أشار إليه أبوالفتح في فسره، بل اكتفوا بشرح المفردات. (٥)

ومّما رجح إعمال الثّاني - هُنا- الفصل بواو العطف للعامل الأوّل على الثّاني أو واو الحال مّما جعل الإعمال سهلاً لا يدخل في باب تناقض المعني.

ومّما جاء فيه تكافؤ إعمال العاملين قول أبي الطيّب: (٦)

وأيُّ فت _ يَ سلبتنِي المَنو * نُ؟ لم تدرِ ما ولَدتْ أُمُّهُ (٧)

رأي ابن جِنّي في إعمال الفعلين (تدر) و (ولدت) ، أنّ أمّه مرفوع عند الكوفيّين بر (تدر) أي عمل فيه الفعل الأوّل، وضميرها مرفوع في (ولدت)، مستتر

⁽١) ويقال: (سمندوة): هي من بلاد الرّوم، وتسمى الآن ببلغراد ، غزاها سيف الدّولة وهرب منها الدمستق سنة 339ه ، ينظر معجم البلدان، لياقوت الحموي، بدون طبعة وتاريخ، ٢٥٣/٣.

⁽٢) من بحر الوافر، ص 310 بالدّيوان.

⁽٣) الدمستق: هو قائد الجيش عند الروم مثل (اسفها لار) عند الفرس. ينظر معجز أحمد ١٨٤/٣،

⁽٤) الملابسة مر تعريفها هه 6 ص 92.

^(°) ينظر: الفسر: ٧١١/١ ، ومعجز أحمد:٣/١٧٤، والنظام في شعر أبي الطيّب وأبي تمام لابن المستوفي: 7/140 ، والعرف الطيّب: ٨٦/٢.

⁽٦) من بحر الطويل ، وهو يدخل عليه صديق بالكوفة وبين يديه تفاحة من الند عليها اسم فاتك قد أهداها إليه ، وينظر الديوان ص 499.

⁽٧) المنُون: جمع المنيّة ، وسُميت بذلك لأنها تذهب بالمِنة ولأنها شديدة المُنّة كلاهما وجه وهي تُذكر وتؤنث.

أي: (هي)، ونحنُ نختار الثّاني وهو (ولدتُ)؛ لقربه من الفاعل (أُمُهُ)^(۱) وهو هُنا يُجيز القولين، واتفق الشّراح مع أبي الفتح وأضاف المعري: إنّه عُظم أمرُه؛ لأن أمّه لم تدرِ ما ولدته، لأنّها ولدت الموت في صورة مولود، فحسبته ولداً فإذا لم تعلمه فغيره أولى ألا يعلمه. (٢)

ومّمِا تقدّم يتضّح أنّ أبا الطيّب قد أورد معانيه متمكّناً من القياس، ومما تبيحه له ضرورة الشّعر على أنّه لم يخل بالمعاني وذلك جليٌ من شرح العلماء لشعره، إلا من أراد أن يُخطئه أو يقلّل من شأنه، أو يكتم إلمامه بفنون اللّغة، وتراكيب الكلام وأساليبه المختلفة.

⁽١) ينظر: الفسر: ٣/٢٠٢ والوحيد يقول في هامش التحقيق: "ليس ثمَّ خلافً بينهما".

⁽٢) ينظر: معجز أحمد: ٢٣٦/٤ ، والعرف الطيّب ٣٨٦/٣.

الفصل الثّالث

(ما له علاقة بالحروف)

ويحتوي على أربعة مباحث

الأول : (أنْ) وعملها في المضارع

الثاني: (كي) معانيها ، وعملها فيما بعدها"

الثالث: (لعل) معانيها وإعمالها"

الرابع : (مُذْ) و (مُنذُ) أصلهما ، وإعراب ما بعدهما

المبحث الأوّل: (أنْ) وعملها في ما بعدها:

وهي حرف من حروف المعاني، يُفيد التّوكيد، مبنيّ على السّكون، والأصل في البناء أن يكون على السّكون؛ لأنّه أخفُ من الحركة، ولا يُحرّك المبني إلا لسبب كالتخلّص من التقاء السّاكنين. (١)

وهو من نواصب المضارع، وجاء ذلك في قول طرفة: (٢)

ألا أيّه ذا الزّاج رِي أَحضرُ الوغى * وأن أشهدَ اللّذاتِ هل أنتَ مخِلدِي؟ (٣) والشّاهد في قوله: (أحضرُ) فيمن رفعه جعله حالاً مقدّرة، لأنّه حذف (أن) فارتفع الفعل. (٤)

ودليل ذلك أنّه جاء بها في عجز البيت معطوفاً على (أن) المحذوفة في صدر البيت، ونصب بها (أشهد)، وأضمر (أن) ضرورةً على مذهب الكوفيين، ورواية نصب (أحضر) على أنّه منصوبٌ به (أنْ) المصدريّة المحذوفة. (٥)

وهذا مذهب البصريّين حملاً لها على (أنّ) المشدّدة وأنّ من العرب من لا يُعملها ويرفع ما بعدها، تشبيهاً لها به (ما) لأنّها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر، فقولّك: (يُعجبني ما تفعل) يكون التّقدير: يُعجبني فعلُك، فلّما أشبهتها من هذا الوجه، شبّهت بها في ترك العمل (٢)، ولذلك شواهد كثيرة في كلامهم من القرآن والشعر العربي (مرفوع ما بعدها) وسيأتي تفصيلها على مذهب البصريّين.

⁽۱) ينظر: شرح ابن عقيل: ۱/۲۶.

⁽٢) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، واسمّه عمرو بن العبد، لُقّب بطرفة في شعرٍ قاله، وأمُّه وردة بنت قتادة بن مشنُوء بن عمر بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. ينظر في ترجمته: في معجم الشّعراء، للمرزباني، بتحقيق عبدالسّتار أحمد فرج، مطبعة الحلبي، مصر، 1382هـ 1960م، ص 5.

⁽٣) من بحر الطويل، في ديوانه بشرح السيد أحمد فرج، دار الوفاء، بالمنصورة، ط 1، 1426هـ – 2005م. ص 204 ، وهو يخاطب من يلومه على عدم حضور الحرب خوفاً من القتل، وعلى الإنفاق خوفاً من الفقر ويستنكر عليه ذلك ينظر: والمقتضب: ٨٥/٢ ، الإنصاف: ٢/٠٢ ، ورصف المباني ص 113، والمقاصد النّحويّة: ٤٠٢/٤.

⁽٤) ينظر: : الكتاب: ٩٩/٣ ، ومغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، بتحقيق دكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1416هـ 1998م، ص 370 .

⁽٥) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٠٦٠/١.

⁽٦) ينظر: المنصف شرح تصريف المازني، لابن جنّي ٣٧٨/١ ، المرجع السابق ٥٦٣/١، وشرح ابن عقيل: ٣٥٦/١ (هامش التحقيق على أنها لغة جماعة من العرب) .

وتحدث صاحب الأمالي حول الأفعال التي تقعُ بعد (أنْ) أنّها ثلاثة أضرُب:

- أحدها: ضربٌ ثبت في النّفوس واستقرّ وهي (التي بمعنى العلم واليقين).
 - وآخر: بعكس هذا نحو: طمعتُ، وخِفتُ، واشتهيتُ.
- وضربٌ متوسطٌ بينهما هو:حسبْتُ، وخِلْتُ، وظننْتُ (وهي أفعال الظنّ). (۱)
 والأوّل لا يقع بعدها إلا الثّقيلة والمخفّفة منها؛ لأنّ التّوكيد إنما يقتضيه ما
 ثبت في النفوس واستقرّ (۲)، وأضاف ابن مالك أنّه إذا خُفَّفت (أنّ) المفتوحة، بقيت
 على ما كان لها من العمل، لكن لا يكونُ اسمهّا إلا ضمير الشّأن محذوفاً (۱)، وذلك خلاف لابن الحاجب ويرى الناظم والجمهور غير ذلك. (٤)

وإذا وقع خبر (أنْ) المخفّفة جملة اسميّة، فلم يحتج إلى فاصلٍ، فتقول: (علمِثُ أَنْ زيدٌ قائمٌ) من غير فاصل بين (أن) وخبرها -إلا إذا قُصِد النّفي- فيُفصل بينهما بحرف النّفي أنْ كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَا إِلَهُ إِلّا هُو فَهَلُ أَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَا إِلَهُ إِلّا هُو فَهَلُ أَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ أي: أنّه لا إله إلا الله.

⁽۱) ينظر: أمالي ابن الشّجري، لهبة الله علي بن محمد بن حمزة الحسيني العلوي المتوفى سنة 542هـ، بتحقيق ودراسـة محمـود محمـد الطنـاجي، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، ط 1، 1413هـ – 1992م، ص 158 وينظـر المقتضب (باب الأفعال التي لا تكون (أنُ) معها إلا ثقيلة أو مخففة من الثقيلة): 3/7 – 9.

⁽٢) ينظر: أمالي ابن الشّجري: ١٥٨/٣، ومغنى اللبيب: ٥٢/١.

⁽٣) ينظر: شرح الكافية لابن الحاجب ، للشيخ رضى الدين الاستراباذي النحوي، ص 29- 31.

⁽٤) لأنّ النّاظم والجمهور لم يشترطوا أن يكون اسم (أنْ) ضمير شأن محذوفاً، لأنّهم رأوا أنّ ضمير الشأن خارجٌ عن القياس، فلا يُحمل الكلام عليه ما وُجد له وجهاً آخر (وهذا مذهب سيبويه)، ينظر: الكتاب: ٣/١٥ وضرائر الشعر لابن عفصور، ص ١٦٥، وشرح ابن عقيل: (هامش المحقِق)، بمنحة الجليل لمحمد محيي الدّين عبدالحميد) ٣٥١/١.

⁽٥) ينظر المصدر السابق نفسه (٢٥١/١).

⁽٦) الآية (14) من سورة هود ينظر فيها البحر المحيط: ٢٠٩/٥.

وإن وقع خبر (أنْ) جملة فعليّة، فإمّا أن يكون الفعل متصرّفاً أو غير متصرّفٍ، فإن كان غير متصرّفٍ لم يُؤت بفاصل. (١)

وإن كان متصرّفاً، فإذا كان دُعاءً لم يُفصل، وإن لم يكُنْ دعاء قال قومٌ يجب أن يفصل بينهما وقال آخرون ومنهم ابن مالك يجوز الفصل وتركه، والأحسن الفصل، لقول النّاظم: (٢)

وإن يكن فعلاً ولم يكن دُعا * ولم يكن تصريفُهُ مُمتنِعا فالأحسنُ الفصلُ بقد، أو نفى، أو * تنفيس، أو لو، وقليلٌ ذِكرُ لوْ(٣)

هذا إذا كان الفعل متصرفاً لغير الدّعاء وهو الفعل المتعدّي بمعنى العلم واليقين، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَيْ ﴾ (٤).

وشاهده أنّه أتى ب (أن) المخففة من الثّقيلة، وخبرها جملة فعليّة لغير الدّعاء، وفصل بينهما بحرف التنفيس وهو السين في قوله: والتّقدير: أنّه سيكونُ منكم مرضي. (٥) فجاء بالسّين في الخبر، عوضاً عن تخفيف (أنّ).

والثّاني من بعد (أنْ) ما كان عكس اليقين وهو مثل: الطّمع، والخوف، وتكونُ وقات بمنزلة مصادرها (١)، كما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي َ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيّعَتِي يَوْمَ الدّينِ ﴾ (٧) وقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَكُمُّ إِن كُنتُمْ تَعُلَمُونَ ﴾ (١) والتّقدير: الصّوم خيرٌ لكم.

⁽١) وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَاسَعَىٰ ﴾ الآية 39 من سُورة النّجم، وقوله: ﴿ وَأَن لَيْسَ ﴾ أن: مخفّفة من الثقيلة وسدّ ما في معنى ليس من النفي مسد التعويض. ينظر إملاء ما منّ به الرحمن: ٢٤٨/٢.

⁽٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣٥٣/١.

⁽٣) يقصد ابن مالك: إذا وقع خبر أن المخقفة جملة اسميّة لم يحتج إلى فاصل، أما إن وقع خبرها جملة فعلية -غير دعائية- الأحسن أن يكون في الفصل بين (أنْ) وخبرها أن يكون الفاصل قد، أو نفي، أو السين، أو سوف، أو لو وهذا قليل.

⁽٤) الآية (20) من سورة المُزمّل وتمامها: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللّهِ وَءَاخَرُونَ بُقَائِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَفَرَءُوا مَا يَسَرَ مِنْهُ ﴾.

⁽٥) ينظر إملاء ما منّ به الرّحمن: ٢٧٢/٢.

⁽٦) ينظر: الكتاب: ١٥١/٣ ، وأمالي ابن الشَّجري: ١٥٨/٣.

⁽V) الآية (82) من سُورة الشُّعراء والتقديرغفرانه لي خطيئتي يوم الدين ،

⁽٨) الآية (184) من سُورة البقرة.

قال أبوحيّان: "إنّ استغفار الأنبياء تواضعٌ منهم لربِّهم، وهضم لأنفسُهِم يدلّ عليه (أطمع) وجاء بقراءة الأعمش^(۱): "والصّيام خيرٌ لكم"، أي خيرٌ من الفطر والفدية". (۲)

ومثله في استخدام (أن) المخفّفة من الثّقيلة في قول الشاعر: (٣) في فتيةٍ كسيوفِ الهنِدِ قد عِلَمُوا * أنْ هالكٌ كلُّ من يُحفَى وينَتعِلُ (٤)

وشاهده: (أن هالكُ كلُّ من...) حيث أضمر اسم (أنْ) المخفّفة والتّقدير: أنّه هالكٌ والخبر جملة (كلُّ من يحفى وينتعلُ هالكُ) ف (هالك): خبرٌ مقدمٌ لـ (كلُّ) وقيل البيت مصنوعٌ ، وقد جاء عن ابن جنى البيت في الخصائص (٥).

والثالث كما قال سيبويه: أن تكون فيها (أنْ) لغواً أو تُهمل وذلك كقولك: (لمّا أن جاءوا ذهبت، وأمّا والله أنْ لو فعلت لأكرمتُك (٢). وعدّها ابن عصفور من الحروف التي تربط القسم بالمقُسّم عليه إن كانت الجملة الواقعة جواباً له (لو).(٧)

وقال ابن مالك: هي قل أن تكون (لو) فاصلة عند النّحوبين وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَو السَّعَكَ الطّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُم مّآ اَعْدَقًا ﴾ (١)، وقيل فيها: (أنْ) مخفّفة من الثّقيلة، والضمير في استقاموا عائدٌ على (القاسطين) ، والمعنى على طريقة الإسلام

⁽۱) الأعمش: هو سليمان بن مهران الأعمش، أبومحمد الأسدي، الكاهلي، مولاهم الكوفي، الإمام الجليل، ولد سنة 60ه، أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعي، وعاصم بن أبي النجود، ومجاهد بن جرير، قيل: لا يوجد أحد أقرأ منه لكتاب الله عز وجل، مات في ربيع أول 148هـ. ينظر ترجمته في غاية النهاية في طبقات القراء: 1/316.

⁽٢) ينظر: المحتسب: 1/308، والبحر المحيط ٢٥/٧، ٣٨/٢ ، ومغنى اللبيب ، دار الطلائع: ١/٩٩-50.

⁽٣) نسب هذا البيت للأعشى ولم يوجد في ديوانه في معلقته على نفس الوزن والروي (ودع هريرة).

⁽٤) ينظر: معجم الشواهد النّحويّة: ٢٩٨/٢.

⁽٥) ينظر الخصائص (باب شجاعة العربية فصل في تحريف الحرف) ، ٢٠٦/٢.

⁽٦) ينظر: الكتاب: ٣/١٥٢.

⁽٧) ينظر: شرح جمل الزجاجي الكبير، لابن عصفور: ١١/١.

⁽٨) الآية (15) من سُورة الجنّ.

والحق ﴿ لَأَسَفَيْنَهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾: لأنعمنا عليهم، كناية عن توسعة الرّزق، لأنّه أصلُ المعاش (وهذه قراءة توافق رسم المصحف) (١).

والرابع: (أنْ) تكون بمعنى أي (٢)، أو تفسيريّة، كقوله تعالى: ﴿ وَٱنطَلَقَٱلْمَلاَ مِنْهُمْ أَنِ الْرَابِعِ: ﴿ وَٱنطَلَقَٱلْمَلاَ مِنْهُمْ أَنِ الْرَابِعِ: ﴿ وَٱنطَلَقَٱلْمَلاَ مِنْهُمْ أَنِ الْمُشُواْ وَأَصْبِرُواْ ﴾ (٣).

قال أبو حيّان: "...، و (أن) يجوز أن تكون مصدريّة، أي: وانطلِقُوا بقولهم: امشُوا وقيل الانطلاق هُنا: الاندفاع في القول والكلام، وأنْ مفسّرة على هذا الأمر بالمشي، لا يُرادُ به نقل الخُطا، وإنّما معناه: سيروا على طريقتكم، ودوموا على سيرتِكم. (٤)

وما جاء من (أنْ) ولم تنصب بها العرب، بل أهملت إعمالها، وأتي المضارع بعدها مرفوعاً (٥) في قوله عزّ وجل: ﴿ وَٱلْوَالِدَتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ (٦).

قال أبوحيّان: "روى ابن عباس أنّ مجاهد قرأ: "أن يُتمُّ الّرضاعة" -برفع الميم- ونسبها النّحويون بأنه يجوز رفع الفعل بعد (أن) في كلام العرب^(٧)، ومنه قول الشّاعر: ^(٨)

أن تقرآنِ على أسماءَ ويجِكمُ * مِنْى السّلامُ وأن لا تُشعِرا أحدا

⁽۱) ينظر: : المحتسب: ٣٩٣/٣ ، والبحر المحيط: ٣٥٠/٨ ، ومختصر شواذ القراءات ص 163. وشرح ابن عقيل: ٣٥٥/١.

⁽٢) ينظر: الكتاب: ٣/١٦٢، وأمالي ابن الشجري: ٣/١٥٨. ينظر: شرح ابن عقيل: 1/ 355.

⁽٣) الآية (6) من سورة ص وتمامها: ﴿ عَلَى عَالِهَ مِكُو ۖ إِنَّ هَاذَا لَشَىٰ ۗ يُكُرَادُ ﴾. ينظر: إملاء ما من به الرّحمن: ﴿ عَلَى عَالِهَ مِكُو ۗ إِنَّ هَاذَا لَشَىٰ ۗ يُكُرَادُ ﴾. ينظر: إملاء ما من به الرّحمن: ﴿ عَلَى عَالِهُ مِكُو ۗ إِنَّ هَاذَا لَشَىٰ ۗ يُكُرَادُ ﴾.

⁽٤) ينظر: البحر المحيط: ٣٨٥/٧ ، والخصائص: 1/180.

⁽٥) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣٥٦/١ (هامش المحقق).

⁽٦) الآية (233) من سورة البقرة.

⁽٧) ينظر: البحر المحيط: ٢١٢/٢-213.

⁽A) من بحر البسيط بالمنصف: ٢٧٨/١ ، وبلا نسبة في شواهد الأشموني: ٥٥٣/٣، ورصف المباني في شرح حروف المعاني للإمام أحمد عبدالنّور المالقي، المتوفى سنة 702هـ، بتحقيق أحمد محمد الخراط، ومطبوعات مجمع اللغة دمشق بدون تاريخ، ص 113، ،والمقاصد النّحويّة:٤/٣٨٠.

شاهده: (أن تقرأان)، حيثُ لم يُعمِل (أن) تشبيهاً لها به (ما) المصدريّة. (١) ومن أقسام (أنْ) استعمالها زائدة للتّوكيد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَنهُ ﴾ (٢).

وقيل فيها: (أنْ) زائدة للتأكيد وزيادتها بعد (لمّا) قياسٌ مطّردٌ، قال ابن عبّاس: "البشير كان يهوذا" لأنّه كان جاء بقميص الدّم، والضمير المستكنّ في (ألقاهُ) عائدٌ على البشير، وتكون (أنْ) زائدة بعد (لا)، كما في قوله تعالى: ﴿ لِتَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ اللَّهِ عَلَى البشير، وتكون (أنْ) زائدة بعد (لا)، كما في قوله تعالى: ﴿ لِتَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ اللَّهِ عَلَى الفراء. (ئَ)

وبما أنْ (أن) المصدريّة الناصبة، يأتي بعدها المضارع نحو: طمِعتُ أن تزورّني، وخِفتُ أن تَهُجرَني واشتهيتُ أن تُواصّلِني إلا أنّه يمكن أن تأتي التَّهُيلة (٥) قبل الخوف كما في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمُ أَشُرَكُتُم بِاللّهِ ﴾ (١).

وهذا يوافق رأى المبرد في أنّ أفعال الظن تحتمل أن تشترك فيها (أنّ) الثّقيلة و (أنْ) الخفيفة، فإذا أدخلت على المحذوفة العوض، فقُلت: حسبتُ أنْ سيقومون فأنت تريد: أنّهُم سيقومون، وكذلك تقول: ظننتُ أنْ لا تقول خيراً، تريد أنّك لا تقول خيراً.

وذلك يؤكده قوله تعالى: ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتَنَةً ﴾ (^).

⁽١) ينظر: المعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة: 1/194 ، والخصائص: 1/384، وأمالي ابن الشّجري: 3/158.

⁽٢) الآية (96) من سورة يوسف ، وتمامها: ﴿ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى وَعْلِمُ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى وَعْلَمُ عَلَى وَعْمِهِ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى وَعْلَمُ عَلَى وَعْلِهِ عَلَى وَعْلَمُ عَلَى وَعْلِهِ عَلَى عَلَ

⁽٣) الآية (29) من سورة الحديد وتمامها ﴿ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآهُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

⁽٤) ينظر: البحر المحيط: ٣٤٤/٥. وينظر الحُجة في القراءات: ٣٧٤/١ ومعجم الأدوات النّحويّة في كتب التفسير ص 599 ، وينظر: الأصول في النّحو، لابن السّراج، (لا عنده زائدة للتأكيد) ٢٥٩/٢.

⁽٥) نظر: الأصول في النّحو لابن السّراج: $210^{-2/207}$ ، وأمالي ابن الشّجري: 109/7، ومُغنى اللبيب عن كُنُب الأعاريب: $1/50^{-52}$.

⁽٦) الآية (81) من سُورة الأنعام ﴿ وَكَيْفَ أَغَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُد بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ. عَلَيْكُمْ أَشْرَكْتُهُ وَلاَ تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُد بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ.

⁽V) ينظر: الكتاب: 3/163 ، المقتضب: 1/49، 2/31-32.

⁽٨) الآية (71) من سُورة المائدة ، وتمامها ﴿ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُعَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِنْهُمَّ ﴾.

قال أبوحيّان: "قرأ البصريّان (حمزة والكسائي) -برفع النّون في (تكون) - على أنّها المصدرية النّاصبة على أنّها المصدرية النّاصبة للمضارع. (١)

ومّمِا تقدّم يتضح علّة جواز الوجهين مع (حسب) لأنّها مع الثقيلة بمعنى اليقين (عَلِمَ) ، ومع المصدريّة بمعنى الشّك (ظنّ).

ومّمِا جاء في الشّعر العربي من أفعال الظّن قبل (أنْ) المخفّفة من الثقيلة قول مجنون ليلي: (٢)

وقد يجمعُ اللهُ الشِّتيتين بعدما * يُظنِّان كُلِّ الظِّنِّ ألا تلاقيا (٣)

والشّاهد قوله: "أن لا تلاقيا" ، حيث جاءت (أنْ) مخفّفة من الثقيلة واسمها خبر شأن محذوفاً أي: (أنّه لا تلاقيا).

ومّمِا جاءت فيه (أنْ) ساكنة النّون وبعدها المضارع، وهي مخفّفة من الثّقيلة في شعر المتنبّى، قوله: (٤)

ف لا تأمها في تواقُعِها * أطريَها أَنْ رأت كَ مُبتسِمِا (°)

ولم يشرح ابن جنّي البيت، وجاء شرح المعرّي أنّه يريد: لا تأمها على رقصها؛ لأنّها تداخلها الطّرب، فرقصت سروراً لمّا رأتك مبتسماً، أي: لأنها لمّا رأتك ضاحكاً سقطت من الطّرب ولم يُضف اليازجي شيئاً. (٦)

ويتضح من شرح المعرّي أنّ (أنْ) مخفّفة من الثقيلة، لما تلاها من أفعال اليقين (رأى).

⁽۱) ينظر: البحر المحيط: ٥٢٣/٣،والنشر في القراءات العشر: ٢٥٥/، 3/7، ، وينظر: الكشف عن وُجوه القراءات السبع: ١٩٢/١، وإملاء مامنّ به الرّحمن: ٢٢٢/١، والكتاب: ٤٨١/١ والخصائص: ١٩٢/٢.

⁽٢) من بحر الطّويل، لقيس بن الملوّح بن معاذ بن عامر بن صعصعة، ويُعرف بمجنون ليلي، نسبة إلى ليلي بنت سعد.

⁽٣) ينظر ديوانه بشرح وتعليق دكتور محمد حمُّود،دار الفكر اللبناني،ط1بيروت، 1420هـ- 1999م، ص 225.

⁽٤) في وصف اللُّعبة التي أحضرها بدر بن عمّار في مجلسه.

⁽٥) من بحر الطويل ، بالدّيوان طبعة دار الجيل، ص 161.

⁽٦) ينظر: الفسر: ٣٠/٣ ، ومعجز أحمد: ٢/٥١٥-216 ، والعرف الطيّب: ٣٢٣/١.

وجاء أبوالطيّب بـ (أنْ) مصدريّة ناصبة للمضارع بعدها في قوله: (١) وما الدّهُرُ أهلُ أن تُؤمَّل عِندهُ * حياةٌ وأن يُشتاقَ َ فيه إلى النّسُلِ(٢)

لم يأت المُحقّق بشرح ابن جنّي للبيت: (٦)

وقال المعرّي: "الدّهْرُ ليس بأهلٍ أن تؤمّل عنده حياةُ؛ لقِلّةَ وفائِه، وليس بأهلٍ أن يُشتاقَ فيه إلى الموت، ولم تُعمل أن يُشتاقَ فيه إلى الولد، وأضاف اليازجي: لأنّ الحياة فيه آئلة إلى الموت، ولم تُعمل (ما) وعدّوها تميمية نافية وما بعدها مبتدأ وخبر. (٤)

ولعمري أسلوب أبي الطيّب فيه تخفيفٌ عن سيف الدّولة في فقد ولده.

وقال أبوالطيّب مستخدماً (حتى) التي يأتي بعدها المضارع منصوباً بإضمار (أن) وبعدها مضارعٌ مرفوعٌ: (٥)

لو كلَّتَ الخيلُ حتَّى لا تَحْملُهُ * تحِمّلُتهُ إلى أعدائه الهمَ مُ (١)

ويرى ابن جنّي أن اختياره في (تحّملُهُ) الرّفع وذلك لأنه فعل الحال، حتى كأنّه قال: "هي غير متحملةٍ، والنصب جائز على معنى: إلى أن تحمّلَهُ، ولم يضف المعرّي ولا اليازجي شيئاً بل نقلا قول أبي الفتح. (٧)

وجاء في شعر أبي الطيّب مستخدماً (أنْ) مقدرة قبل المضارع المرفوع في قوله: (^)

توقّدتُ أنفاسُ نا حتّى لقد * أشفقتُ تحترقُ العواذِلُ بيننا(١)

⁽١) من بحر الطّويل ص 281 بالدّيوان وجاءت الرّواية (وما الدّهُر أهلّ).

⁽٢) قالها أبوالطيّب يُرثي أبا الهيجاء عبدالله بن سيف الدّولة بحلب، وقد توفى بميافارقين في صفر سنة 338هـ.

⁽٢) ولم أجد شرحه في الفسر الكبير، ولا الصغير (تفسير أبيات المعاني) وجاء مطلعُها ، بتحقيق دكتور عبدالعزيز ناصر المانع ص 109، وينظر الديوان ص 110.

⁽٤) ينظر الفسر: ٧٤٠/٢ ، ومعجز أحمد: ٩٥/٣ ، والعرف الطيّب: ٢/٢٤٥.

⁽٥) من بحر البسيط ، ص 419 بالدّيوان.

⁽٦) قالها في آخر شعر أنشده في حضرة سيف الدّولة بحلب، 354هـ ، بعد أن أقسم البطريق أن ينتصر على سيف الدّولة وخاب ظنه آنذاك.

⁽٧) ينظر: الفسر: ٣/٤٢٨ (ونقل المحقق في الهامش سقوط الشرح من نسخة الفسر الأحمدية، وشرح صدره من نسخة المعهد البريطاني والنسخة المصريّة).

⁽٨) من بحر الكامل، بالدّيوان ص 150.

جاء في شرح ابن جنّي: أراد: أشفقتُ أن تحترق، فحذف (أنْ) وقد يُقالُ: أشفقتُ عليه. (٢) ، واتفق الشّرّاح مع ابن جنّي في حذف (أنْ) قبل المضارع المرفوع، وأضافوا، أي: حتّى خفتُ أن تحترق العواذل اللائي كُنّ بيننا(٣)، وهذا خلافٌ لابن هشام وابن الشجري في استخدام (أنْ) المخففة من الثقيلة بعد الخوف.

ومن استخدامات أبي الطيّب لـ (أنْ) وهي زائدة، يليها فِعلُ ماضٍ قوله: (٤) ولمّا أنْ هجوتُ رأيتُ عِيّاً * مقالي لابن آوى(٥) يا لَئِيمُ(٦)

ويرى اليازجي قوله: يقول مدحتُه فرأيتُ من اللّهو أن أصفهُ بغير ما هو فيه؛ لأنّ ذلك عبثٌ لا يتوخّاهُ عاقلٌ، ثم هجوته، فوجدت من العِيّ (عجز المنطق) أن ألقبه بظاهر حاله؛ لأنّه أخسّ من أن يقال له ذلك. (٧)

ولكنّ المعرّي اختلف مع اليازجي بعدّه (أنْ) -هُنا- مصدريّة بدليل شرحه: لما رأيتُ هجاءه، لم أجد لمقالي مجالاً ، فكأنّه أوّل الماضي بالمضارع الواقع بعد (أن) في صورة مصدر مؤوّل، وأضاف: فرأيت هجائي له عِيّاً. (^)

اختلاف الشراح في تحديد معنى (أنْ) ناتجٌ عن عدم تعرّض ابن جِنّي لشرح البيت؛ لأنّهم يعتمدون على تعليله اللّغوي.

ومّما جاء في شعر المتنبّي، بتقدير (أنْ) بعد حذفها وبقاء عملها (المضارع منصوبُ بعدها)، في قوله: (٩)

⁽۱) عندما سار بدر بن عمار نحو السّاحل ولم يسر معه أبوالطيّب، فبلغه من (ابن كرّوس) الأعور أن أبا الطيّب تخلف عنه رغبةً ولما عاد بدر إلى طبرية ضُريت له قباب عليها تصاوير فقال أبوالطيّب.

⁽٢) ينظر: الفسر: ٣/٢٥٧ (جاء في هامش المُحقِّق أن رواية البيت بالنسخة المصرية) كانت (تصعدت أنفاسنا). ينظر الفسر: ٥٣٧/٣. وقيل رواية الديوان: (ينفذ الإقدام) أي: أن ينفذ... ص 166.

⁽٣) ينظر: معجز أحمد: ١٨٤/٢ ، والعرف الطيّب: ٣٠٧/١.

⁽٤) من بحر الطّويل، ص 503 بالدّيوان.

⁽٥) من أخسّ السباع ، وهو دون الكلب في الحجم ، ويُجمع على بنات آوى.

⁽٦) قالها أبوالطيّب في هجاء كافور الإخشيدي.

⁽٧) ينظر: العرف الطيّب ٣٩٢/٢ ، وختم قوله بأنّ (أنْ) زائدة بعد (لمّا) وهذا يوافق التفسير ينظر الاية 96 من سورة يوسف ه ٣ ص ١٥٧.

⁽٨) ينظر: معجز أحمد ١٦٢/٤ (ويُضيف سُمّى ابن آوى؛ لأنّه يأوي إلى عواء أبناء جنسه).

⁽١) من بحر الطّويل، ص 281 بالدّيوان.

وقبل يرى من جُوده ما رأيتُه * ويسمعَ فيه ما سمِعتُ مِن العَذْلِ(١)

جاء شرح ابن جنّي موافعاً لرواية الدّيوان أنّه يريد: قبل أن يرى (٢)، فأعملها أبوالطيّب مع حذفها على مذهب الكوفيّين. (٣)

ويختم ابن جنّي قوله بأنّه حذف (أن) وأبقى عملها، وتقديره: ما رأيتُهُ من جُودك، فحذف الضمير للعلم به، وأضاف اليازجي: "قبل أن يرى"، فيكون في معنى المصدر أي: قبل رؤيته، فتجرى الإضافة على بابها فعلى هذا يجوز في (يسمع) الرّفع، والنصّب، خلافاً للمعرّى الذي يرى أنّ (قبل) إضافة الظّرف للفعل لقلّة تمكّنه.

ومن الشّرح يتضح أنّ (أن) مصدريّة، لأنّها وقع بعدها الفعل (يرى) وهي رؤية بصريّة، لمشاهدته لسيف الدّولة في مواقف كرمه وعطائه (مشاهدة عيان وعقل)، فهي تدل على الحاسّة والدّليل الآخر عطف (يسمع) عليه.

ومن استخدامات أبي الطيّب لـ (أن) في مواضعها المختلفة يتّضح أنّه – فعلاً – يُورد الألفاظ بما يُربِد إيراده من المعانى، أنّى شاء.

وما جاءت فيه (أنْ) من الحروف الرّابطة للقسم بالمُقَسَم عليه، إن كانت الجملة الواقعة جواباً لـ (لو) وما دخلت عليه. (٥)

هذا خلاف للتفسير الذي جاءت فيه (أنْ) بعد (لو) مخفّفة من الثقيلة. (٦) وهذا تبع للمعنى الذي دخلت فيه (أنْ).

⁽٢) في رثاء أبي الهيجاء ينظر هـ2 ص 159 من هذا المطلب. العذل: الملام، وضمير (رأيتُه) يعود لسيف الدّولة (أبيه).

⁽٣)و (أشار محقّق الفسر إلى فتح (يسمُع)، المعطوف على (يرى) ويُعقب بسقوط عُجز هذا البيت من نسخة المعهد البريطاني، وسقوط شرحه من النسخة المصريّة (ب،ك) ينظرالفسر ٧٣٨/٢.

⁽٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف "مسألة 77": ١/٩٥٥-560 .

⁽٥) ينظر: العرف الطيّب: ٢/٤٤، ومعجز أحمد: ٩٣/٣.

⁽٦) ينظر: شرح الجمل الكبير لابن عصفور: ١١/١.

⁽٧) ينظر: هذا المطلب هامش 7ص 159.

المبحث الثّاني: كي: معانيها وإعمالها

جاء عن ابن الأنباري على مذهب جمهور البصريّين أنّ (كي) تأتي على ثلاثة أوجه: (١)

الأوّل: أن تكون اسماً مختصراً من (كيف)^(٢). والثّاني: أن تكون حرف جرّ دالاً على التعليل، مثل اللّم، فتدخل على (ما) الاستفهاميّة، وعلى (ما) المصدريّة ^(٣)، والثّالث: أن تكون حرفاً مصدريّاً مثل (أنْ) المصدريّة في المعنى والعمل. ^(٤)

ويذهب البصريّون إلى أنّه لا يجوز إظهار (أن) بعد (كي) نحو: "جئت لكي أن أُكرِمّك، خلافاً للكوفيّين الذين يجيزون ذلك، ويحتجون بالنقل والقياس، أما النقل فهو قول الشّاعر: (٥)

أردتُ لكيما أن تطير بقربتي * فتترُكُها شنّاً ببيداءَ بلقَع (٦)

وجاء في قول الشّاهد: "لكيما أن" ، إن (كي) هنا يجوز أن: تكون مصدريّة و (أنْ) مؤكدّة لها، وذلك بسبب تقدّم اللاّم الدّالّة على التعليل، التي يُشترّط وجودها أو تقديرها قبل (كي) المصدريّة، ويُحتمل أن تكون (كي) تعليليّة مؤكدّة للاّم، فيكون السّابك هو (أن) وحدها (۱)، ودخول اللام على (كيما) بمعنى اللام مع أن.

وسيبويه لا يُجيز الفصل بين (كي) وبين منصوبها ويجعل ذلك من القبح. (^)

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخِلاف: ٥٨١/٢، وشرح الأشموني ٢١١١٢.

⁽٢) ينظر: مجيب النّدا في شرح قطر النّدي وبلّ الصّدي، للفاكهي، ص 112-113 ومُغني اللبيب عن كُتُب الأعاريب (شاهد 301) طبعة دار الطلائع ٢٠١/١ ، وينظر: المقاصد النّحويّة ص 265.

⁽٣) ينظر الكتاب"هو مذهب أبي علي": ٣/٥-7 ، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٥٨١/٢ ، والجني الدّابي، ص 262 ، والمقاصد النّحويّة: ٢٩/٢.

⁽٤) وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: هامش 2/ 580 - 582.

^(°) من بحر الطّويل، بلا نسبة في شرح الأشموني: ٢/٩٤٥ ، والجني الدّاني ص 265 ، والمقاصد النّحويّة: 4/405 ، ومغنى اللبيب: (شاهد رقم 303) ٢٠١/١.

⁽٦) وفي إظهار (أن) بعد كي ثلاثة مذاهب للنّحاة في قوله: "لكيما أن" ينظر فيها هامش: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٥٨٠/٢.

⁽٧) ولولا (أنْ) لوجب أن تكون (كي) مصدريّة ولولا وجود اللام لوجب أن تكون (كي) تعليلية. ينظر المعجم المفصل لشواهد النحو الشّعريّة: ٥٥٣/١ ، وينظر الكتاب: ٦/٣ (كيمه؟).

⁽۸) ينظر: الكتاب: ۲۹٤/۱.

ومنه في التنزيل قوله تعالى: ﴿ لِكَيْلَاتَأْسُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمُ ﴾ (١) فقوله: ﴿ لِكَيْلَاتَأْسُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمُ اللَّهِ الْمُذِنِ الشَّديد على لِكَيْلَاتَأْسُواْ ﴾ أي: لكيلا تحزنُوا على ما فاتكُم أو: أن يلحق بكم الحُزنِ الشَّديد على ما فات من الخير، فيحدُث عنه السَّخط وعدم الرضا بالمقدور. (٢)

ومّما جاءت فيه (كي) متصلة بـ (ما) المصدريّة وناصبة للمضارع بعدها، ولم تأتِ بعدها (أن) في قول الشّاعر: (٣)

إذا أنت لم تنفع فضُر فإنّما * يُرَجّى الفتى كيما يضرّ وينفعا(٤)

والشّاهد فيه: (كيما يّضُرّ وينفعا) حيث دخلت (ما) المصدريّة على (كي) والمعنى: إنّما يُرجّى الفتى للنّفع والضّرَ.

ويرُوى (كيما يضُرُّ وينفعُ) – وهُنا- يكون (ما) كافة لـ (كي) عن العمل وما بعدها مضارعٌ مرفوعٌ. (٥)

أمّا الرواية المذكورة فهي دخول (ما) المصدريّة على (كي) دون أن تكفّها عن العمل.

ومّمِا عملت فيه (كي) مصدريّة مفصولة عن منصوبها بـ (لا) في التنزيل قوله تعالى: ﴿ كُن لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴿ (١).

قال أبوحيّان: الضمير (هو) في (يكون) يعود على الغنائم والأموال، وانتصاب (دُولةً) على الخبر، ومن رفعها فتكون (يكون) تامّةً (ودولة) فاعل، وكي لا: يكون تعليل لقوله تعالى: ﴿ فَلِلّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ أي: فالفئ وحكمُه لله وللرّسول، أي: كي

⁽١) الآية (23) من سُورة الحديد . وتمامها ﴿ وَلَا تَقْرَحُواْ بِمَا ءَاتَئَكُمُ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّكُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾

⁽٢) ينظر: البحر المحيط: ١٢٥/٨.

⁽٣) من بحر الطّويل، وهي لقيس بن الخطيم في ديوانه ، بتحقيق ناصر الدّين الأسد، ، دار صادر ، بيروت ص 235.

⁽٤) ينظر شرح الأشموني ٢٨٣/٢، والجني الدّاني ص 262 ، وشرح شواهد المغنى ٥٠٧/١ ، والمقاصد النّحويّة: ٢٩/٢ (ما كافة لكي برواية الرّفع).

^(°) ينظر: المعجُم المُفصّل لشواهد النّحو الشّعريّة: ١/٥٥٥، وشرح ابن عقيل: ٧/٢ هامش المحقّق، وينظر: مغني اللبيب شاهد 302 طبعة دار الطلائع ٢٠١/١.

⁽٦) الآية (7) من سورة الحشر. وهي ﴿ مَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ عِنْ أَهْلِ ٱلْفَرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْفُرِّنِي وَٱلْمَسَكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنكُمَّ وَمَا ٓءَالنَكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُـ دُّوهُ وَمَا نَهَمْكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَقُواْ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْفِقَابِ ﴾

لا يكون دُولةً جاهليّة بينهم، كما كان رؤساؤهم يستأثرون بالغنائم أي: كي لا يكون أخذهُ غلبةً وأثرةً جاهليةً. (١)

ومّمِا جاءت فيه (كي) بمعنى (كيف) في الشعر العربي، قول الشّاعر: (٢) كي تجنحون إلى سِلْمٍ وما ثُئِرت * قـتلاكُمُ ولظـى الهَيجاءُ تَضـطّرِمُ والشّاهد فيه: (كي يحتجون) حيثُ جاء بـ (كي) بمعنى كيف في لغة منها (٣). ولم أجد هذا الاستعمال في القرآن.

ومّمِا جاء فيه إعمال (كي) متصلةً بـ (مِا) المصدريّة عند ابن جنّي قول الشّاعر:

كيما أعدَّهُمُ لأبعِدَ مِنهُمُ * ولقد يُجاءُ إلى ذوِي الأحقادِ (٤) والشّاهد قوله: "كيما أعِدَّهُمُ" ، حيثُ نصب المضارع (أعدَّهُمُ) ولم تكُفَّ ما (ما) (كي) عن العمل (النَّصب). (٥)

ومّما جاءت فيه (كي)مصدريّة ناصبة للمضارع قول أبي الطيّب: (٦) قصدوا هددْمَ سُورِها فبنُوهُ * وأتَوْا كي يُقصّروه فطالا(٢) والشّاهد: (كي يُقصّروه) حيثُ نصب المضارع (يقصّروه) بـ (كي) المصدريّة أي التّعليليّة. وعلامة النّصب حذف النّون.

⁽۱) ينظر: المحتسب (رأى ابن جني وان (كان) تامة لا خبر لها أي: كي تقع أي تحدث دولة بين الأغنياء وإن شئت كانت صفة لدولة): ٣٦٨/٢، والبحر المحيط: ٢٤٥/٨، والكشف عن وُجوه القراءات السبع، بتحقيق محيي الدين رمضان ، ط 3، ٣١٦/٢، وإتحاف فضلاء البشر ص 413، ومُشكل إعراب القرآن ص

⁽٢) من بحر البسيط بلا نسبة في شرح الأشموني ٣/٩٤٥ ، وشرح شواهد المغنى: ٥٠٧/١ ، والمقاصد النّحويّة ٧٨/٤ ، ومغنى اللبيب طبعة دار الطلائع ٢٠١/١ ، شاهدرقم 301.

⁽٣) ينظر المعجم المفصل لشواهد النّحو الشعريّة: ٢/٨٦١.

⁽٤) من بحرالوافر ،ينظر :بالخصائص بتحقيق محمد علي النّجار ،(في باب غلبة الزائد على الأصلي) ٤٨١/٢.

⁽٥) ينظر المصدر السّابق، وشرح الحماسة لأبي زكريا علي بن يحيى التبريزي (لم أجده) ، ٢١٧/١.

⁽٦) من بحر الخفيف ، ص 410 بالدّيوان.

⁽٧) عندما سمع سيف الدولة يتحرّك الدُمستُق وجيش النصرانيّة لهدم سُور الحدث، فتحرّك بجيشه ، ففرّ جيش الدُمستقُ هارباً في سنة 344هـ.

وابن جنّي ومن بعده اتفقوا على أنّ تحركهم لهدم السّور، بعث سيف الدّولة على إتمام ذلك السُّور وإعلائه؛ لأنّه اغتاظ من لعنهم له. (١)

وقال أبوالطيّب مستخدماً (كي) وبعدها مضارع: (٢)

لبسنَ الوَشْسَى لا مُستجمّلاتٍ * ولكن كي يُصنّ به الجَمالا(٣)

لم يشرحُ ابن جنّي، وجاء قول الشّرّاح: إنهنّ لبسن الدّيباج لا للتجمّل ولكن ليستُرن حُسنَهنّ ويُصنَ جمالَهنّ ، ويحتمل أن يكُنّ لبسنه خوفاً من العيون فهُنّ غنيات بحُسنهنّ عن التجمّل. (٤)

والفعل (يصُنّ) مبنى على السكون لاتصاله بنون النسّوة، و مسبوقٌ بـ (كي) المصدريّة الناصبة، فاختلفوا بأنها تنصب بنفسها أو بـ (أن) مضمرة بعد (كي). (٥) وقال أبوالطيّب : (٦)

وخُلّة في جليسٍ ألتقيه بها * كيما يرى أنّنا مِثلانِ في الوَهنِ (١)
قال ابن جنّي: اتقاه بخفة واتقاه: إذا وليه به أو جعله دونه، والوُهن: الضعف
، ويقال: (وهن) يهِنُ و (وهن): يَوهَنُ. (^)

⁽١) ينظر: الفسر ٢٦/٣ ، ومعجز أحمد: 3/504، والعرف الطيّب: ٢٤٠/٢.

⁽٢) من بحر الوافر، ص 139 بالديوان.

⁽٣) قالها أبوالطيّب يمدح أبا الحسين بدر بن عمار بن إسماعيل الطبرستاني.

⁽٤) ينظر الفسر: ١٥٥/٣، ومعجز أحمد: ١٤٢/٢، والعرف الطيّب: ٢٩٠/١.

⁽٥) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف "مسألة 80" : ٢/٥٧٩-581.

⁽٦) من بحر البسيط ص 171 بالدّيوان.

⁽٧) قالها يمدح أباعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد الخطيب الخصيبي وهو آنذاك يتقلّد القضاء بأنطاكية وهو يريد إنني التقي جليسي بما فيه ليُظنّ أني مُماثِل له في ضعف الرأي.

⁽۸) ينظر: الفسر: ٣/٢٧٩.

كما جاء بالتنزيل: ﴿ فَمَا وَهَنُواْ ﴾ (١) قرأ الجمهور "وَهَنُوا" -بفتح الهاء (٢) والأعمش والحسن، وأبوالسمال (وهِنوا) - بكسر الهاء - وهُما لغتان: وهن: يهن "كوعَدَ يَعدُ" و "هن يوهِنُ " ك "وجل يوجلُ " وقرأ عكرمة (٣)، وأبوالسمال "وهنُوا -بإسكان الهاء - كما قالوا: نِعْم في نِعِم، وتميم تسكن عين (فعِل) والمعنى: وما ضُعفوا عن الجهاد بعدما أصابهم، وقيل: ما ضعف يقينُهم ولا انحلّت عزيمتهم. (٤)

وأضاف المعرى: ورُبّ جليسٍ أظهرتُ لهُ مِثل ما هو عليه من نفسي لئلا يعلم هو من حالي، وليظنّ أني مثله ضعفاً وجهلاً، واليازجي يرى أنّه يخفى نفسهُ وفضله خوفاً من الحسد. (٥)

و (كي) -هُنا- ناصبة مصدريّة بإضمار (أنْ) على مذهب البصريّين فهي وما بعدها في محل المصدر، خلافاً للكوفيّين الذين يعدّون المصدر في محل نصبٍ في قوله: (كيمه)؟.(٦)

وقال أبوالطيّب، مستخدماً (كيما) ناصبة للمضارع بعدها: (\) ألا فتَّ عِي يُورِدُ الْهِندِيّ هامتَ * كيما تزولَ شُكوكُ النّاس والتُّهَمُ (^)

⁽١) الآية (146) من سورة آل عمران ﴿ وَكَأَيِّن مِن نَبِيِ قَنْتَلَ مَعَهُ رِبِيَّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَاۤ أَصَابَهُمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَاضَعُفُواْ وَمَا اَسْتَكَانُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّنجِرِينَ ﴾.

⁽٢) ينظر: المحتسب: ١٧٤/١ واملاء ما منّ به الرّحمن ٨٩/١، البحر المحيط: ٧٤/٣ ، والكشّاف ٢٢١/١

⁽٣) هو عكرمة بن سليمان بن كثير بن عامر الشيخ ابوالقاسم المكي المقرئ مولى آل شبيبة الحجيّ العبدري، قرأ القرآن على شبل بن عباد إسماعيل القط وهو شيخ مستُورُ الحال، فيه جهالة قرأ عليه البزي وتفرّد عنه بحديث مرفوع في التكبير والضُحى. ترجمته بطبقات القراء للإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة 748ه بتحقيق: د. أحمد خان ، ط1، 1418ه – 1997م ، ١٦٠/١.

⁽٤) وأصل الضعف نقصان القوة ثم يستعمل في الرأي والعقل أي الضعف عن النهوض. ينظر: أساس البلاغة ص 692 .

⁽٥) ينظر: معجز أحمد ٢٤٥/٢ ، والعرف الطيّب: ١/٣٣٧.

⁽٦) ينظر: هامش الكتاب: ٦/٣.

⁽٧) من بحر البسيط ، ص 502 بالدّيوان.

⁽٨) قالها أبوالطيّب يهجو كافوراً في طريقه إلى الكوفة.

لم يأتِ المُحقِّق بشرح ابن جنّي في الفسر (۱)، وأورد المعرّى في شرحه معنى البيت، موافقاً لشرح اليازجي بأنّه يريد: أن تمليك مثله يبعث في النّاس الشّك في حكمة الله -تعالى- ويوقع في الظّن أن العالم معطّلٌ من صانع يدبّرهُ. (۲)

وهُنا نصبت "(كي) المضارع و (ما) زائدة لغواً، ف (كي) -هُنا- مصدريّة ناصبة لم تكفّها (ما) عن العمل على رأى الكوفيّين.

وتأتي (كما) -التي هي كاف التشبيه- المتصلة به (ما)، ولذلك هُيَئت لوقوع الفعل بعدها^(٦)، ومن النّحويّين من يجعلها بمنزلة (كي) ويُجيز النّصب بها وهم الكوفيّون (٤) والمبرد من البصريّين.

وهي (كما) عند البصريّين لا تأتي بمعنى (كيما)، ولا يجوز نصب المضارع بعدها مع ما بعدها مصدراً في محلّ خفض بالكاف.

وما جاء من شعر أبي الطيّب مستخدماً (كما) ناصبة للمضارع بعدها بمعنى (كيما) قوله: (٦)

تجفلُ الموْجُ عن لبّاتٍ خيلهُمُ * كما تجفّلُ تحت الغارَةِ النَّعَمُ (۱) قال ابن جنّى: "عبرت الخيلُ بهم نهر أرسناس". (۸)

⁽۱) وفي هامش الدّيوان عند شرح البيت (يُحرّضُهُم على قتل كافور بقوله: أليس فيكم فتّي يضربُ عُنقهُ إزالة لشكوك الناس وتُهمها). ينظر الديوان ص 502.

⁽٢) ينظر الفسر: ٥٩٨/٣، ومعجز أحمد: ١٥٩/٤، والعرف الطيّب ٢/ ٣٩٠ وشرح صورة هذا الشّاهد نفسها في الفسر ١١٠٢/١، في قول أبي الطيّب: "كيما يُقال عظيمَ القدر مقصودُ". ومعجز أحمد 4/173 والعرف الطيّب ٢/ ٢٩٠ وصدره: جوعانً يأكُلُ من زادي ويمسكني، (ويشير المحقق إلى سقوط شرح هذا البيت في بقية نسخ الفسر الأخرى).

⁽٣) ينظر: الكتاب: (باب الحروف التي يجوز أن يليها الأسماء ويجوز أن تليها الأفعال) ، ٣٠/٦١.

⁽٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣/٥٨٥-588.

⁽٥) ينظر المسالة رقم 81 الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/٥٨٧.

⁽٦) من بحر البسيط ، ص 422 بالدّيوان قالها عندما أقسم البطريق في حضرة سيف الدّولة ابن يُعيقه في الطريق ويُعارضه برجاله، فخاب ظنُّه، فانشدها إياه 345ه (في آخر شعر له في حلب).

⁽٧) تجفل: تتجفلُ والتجفل: الإسراع في الهرب، وهو يريد: ينهزم الموجُ أمام صدور خيلهم وهي سابحةُ كما تنهزمُ المواشى عند الغارة عليها والنَّعم أكثر ماتطلق على الإبل، وجاءت رواية الديوان على رفع المضارع (تفجل) بعد (كما) على رأى الكوفيين.

⁽٨) أرسناس هو نهر في بلاد الرّوم، يوصف ببرودة مائه ، عبره سيف الدّولة ليغزو الروم، فمدحه المتنبّي – آنذاك – وهو يصف خيله. ينظر معجم البلدان: ١٥١/١ ، والفسر: ٤٤٣/٣ .

وجاء بعده الشُّرّاح بأنّ الموج كان يتفرّق يميناً وشمالاً عن صدور الخيل بسرعة ، كما تتفرق الإبل عند الإغارة عليها. (١)

وجاءت رواية الفسر على نصب (تجفّل) بعد (كما) على رأى البصريّين. وجاءت في شعر أبي الطيّب مستخدماً (كما) وما بعدها مضارعاً مرفوعاً قوله: (٢)

وما يُوجعُ الحِرمانُ من كفِّ حارِم * كما يُوجعُ الحِرمانُ مِن كفِّ رَازِقِ (٦)

واتفقت رواية البيت في رفع (يوجعُ) بعد كما على رأى البصريّين بعدها كاف التشبيه موصولة بـ (ما) ، وهي زائدة لم تكف عن العمل على أنها مصدريّة أي المصدر (وجع) في محل خفض بالكاف أي: مجرور (كوجع).

وقول الشّراح: يُوجع المحروم إن كان الحرمان ممن جرت عادته به، كما يوجع إذا كان ممن جرت عادتًه بالنّعم، واليازجي يُضيف: أي: أنّهم تعودوا منه الرّزق والإحسان، فكان حرمانه لهم من أجل معصيتهم أشدّ إيلاماً لهم من حرمان غيره مِمّن لم يعوّدهم ما عوّدهم. (٤)

ومّمِا جاء شاذاً في ضرورة الشّعر، استخدام أبي الطيّب (كما) وبعدها فعلاً ماضياً في قوله: (٥)

قَرَبِنَ النَّارَ ثُمَّ نَشَانُ فيها * كما نشأ العَذاري في النَّعِيم (٦)

ويرى ابن جنّي أنه يصف السيوف في جودة طبعها وسبكها، وأنها قربت الحرب، كما يقرب الإبل الماء في صبيحتها، قلباً للمعهود وتصرُّفاً في الصّنعة. (٧)

ومن شرحه يتضّح استخدام (كما) أو كنشأة ، ف (ما) مصدريّة مع الفعل، والكاف للتشبيه جارّة للمصدر.

⁽١) ينظر معجز أحمد: ٥٥٣/٣ ، والعرف الطيّب: ٢٢٦/٢.

⁽٢) من بحر الطويل، ص 394 بالدّيوان.

⁽٣) لم لم ينقل دكتوررضارجب شرح ابن جنّي. ينظر: الفسر: ٢/٥٠٥.

⁽٤) ينظر معجز أحمد: ٣/٢٥٤، والعرف الطيّب: ٢/٢١٧.

⁽٥) من بحر الخفيف، ص 232 بالديوان.

⁽٦) قالها أبوالطيّب عندما كُبست أنطاكيا فقتلت له حِجرةً تدعى الجهامة ومُهُرّ يُدعى الطخرُور.

⁽٧) ينظر: الفسر: ٣/٥٦٤.

أما الشّراح فجاء قولُهم: إنّ هذه السّيوف قد جعلت النّار غذاءً لها ، وأراد أنّها نشأت في النّار ، واكتسبت منها جوهراً وصفاءً ، كالعذارى إذا رُبين في النّعيم (١) واختلف اليازجي عنه. (٢)

وأيضاً جاء قول أبي الطيّب باستخدام (كما) وبعدها فِعلُ ماضٍ: (٣) وتُوافِهِم بها في القنا السُّمْرَ * كما وافتِ العِطّاشُ الصِّللا(٤)

اكتفى ابن جنّي بقوله: الصّلال: جمع صَلّة وهي: الأرض التي أصابها مطرُ بين أرضين. (٥) ، وأضاف المعرّي: إنّها بقايا المياه. (٦)

ويتضع من مجئ الماضي (وافت) بعد (كما) أنّ (ما) مصدريّة والكاف للتشبيه والمصدر مجرور بها.

ومّمِا تقدّم ترى الباحثة أنّ أباالطيّب قد جاء في شعره بلهجات العرب، وما هو مسموعٌ عنهم في فصيح كلامهم، ولم يقف مع نجوى دون غيره، بل أتي، بكل ما جاءت به مذاهب النحو من بصري وكوفي، وغيره مّمِا أيدّته ضرورة الشّعر بصحّة ما أتى به في شعره.

وما جاء في التنزيل قوله تعالى: ﴿ وَاُذَكُرُوهُ كَمَا هَدَنَكُمْ ﴾ (٧). وجاء فيها قول أبي حيّان: "كرر الله تعالى الأمر الأوّل على سبيل التوكيد والمبالغة في الأمر بالذكر ، لأنه أفضل العبادات . (^)

⁽١) ينظر: معجز احمد: ٢/٥٦/٦.

ر) ي رقب العرف الطيب: (قرين : من القرى). ينظر العرف الطيب: ٤٣٤/١.

⁽٣) من بحر الخفيف، ص 410 بالدّيوان.

⁽٤) يمدح فيها سيف الدّولة ويذّكره نهوضه إلى ثغر الحدث، لمّا بلغه إحاطة الرُّوم به.

⁽٥) ينظر: الفسر: ٣/٢٥.

⁽٢) ينظر معجز أحمد: ٥٠٠/٣ (وجاء محققه دكتور عبدالمجيد دياب: الصِّلل هي مواقع المطرالتي فيها نبات، فالإبل تتبعُها وترعاها).

 ⁽٧) الآية (198) من سورة البقرة وهي ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحُ أَن تَبْتَعُواْ فَضْـ لَا مِن رَّبِكُمْ فَإِذَا أَفَضْـ تُم مِنْ عَرَفَتِ
 فَاذْكُرُواْ اللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْـ عَرِ ٱلْكَرَارِ ﴾.

⁽٨) ينظر: البحر المحيط: ٩٧/٤ ، والكشاف ١٣٣/١ وإتحاف فضلاء البشر ص 155 ، ومعجم الأدوات النحوية في كُتب التفسير ص 496 ، وينظر: إملاء مامن به الرّحمن: ١٩/١. يُرادُ به تعلقه بتوحيد الله أي: واذكروه بتوحيده كما هداكم بهدايته:أي أذكروه ذكراً بعد ذكرٍ ، والكاف في (كما) للتشبيه، وهي في موضع نصب إما على النعت لمصدر محذوف، وإما على الحال والمعنى: اوجدوا الذكر على أحسن أحواله من مماثلته لهداية الله إياكم، وقيل قد تكون الكاف للتعليل والتقدير، كما هداكم أي أذكروه وعظموه والتقدير لدركما هداكم) أي:اذكروه وعظموه لهدايته لكم،خلافاً لسيبويه الذي يقول:كما أنه لا يعلم، فتجاوز الله عنه أي لأنه لا يعلم،أي كلام التعليل. ينظر إملاء ما من به الرحمن ١٩/١، وبقية المصادر أعلاه.

المبحث الثالث: (لعلّ) معانيها وإعمالها:

اختلف النّحاة حول لام (لعلّ) الأولى، أزائدةٌ هي أم أصليّةٌ؟ فذهب الكوفيوّن إلى أنّ هذه اللام أصليّةٌ وذهب البصريوّن إلى أنّها زائدةٌ. (١)

والكوفيون استدلوا بأصلية لامها لأنها حرف وحروف الحروف كلها أصلية، لأن حروف الزيادة إنّما تختصُ بالأسماء والأفعال. (٢)

واستدل البصريون بزيادة اللام الأولى في (لعل) بأن العرب قد تحذفها وتقول (عل). (٣)

واستدلوا في استخدام (علّ) بقول الرّاجز: (٤)

عل صُرُوفَ الدَّهْرِ أو دُولاتِها * تُدِلْنَنا اللَّمَةُ من لمّاتِها

وشاهده سقوط اللام الأولى من (لعل) فصارت، (عل) وهي حرف ترج، نصب الاسم (صروف الدهر) وخبرها الجملة الفعلية (تدلننا).

والفراء قد جرّبها (صروف الدّهر) فيما رواه ابن الأنباري عن ابن رُومان (٥) أنّه سأل الفراء لم تكسر (علّ) (صروف)؟ فقال: إنّما معناه: لعاً لصُرُوف الدّهر ودُولاتها، فانخفضت (صروف) باللام والدّهر بالإضافة. (١)

⁽١) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف "مسألة 26": ٢١٨/١ ، والمقتضب: ٣٣/٣.

⁽٢) ينظر المصدر السابق ص ٢١٩/١ ، وشرح الأشموني ١٨٨/٣.

⁽٣) ينظر الكتاب: ٣٣٢/٣ الخصائص: في (باب في إصلاح اللفظ) ٣٢٠/١ ، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٢١٩/١.

⁽٤) من بحر الرّجز بلا نسبة في اللسان: مادة (علل) ، وشرح الأشموني ٥٧٠/٣ ، والجني الدّاني ص 584 والمقاصد النّحويّة ٣٢٠/١ ، وبعده (فتستريحَ النفسُ من زَفَراتها) . ينظر الخصائص: ٣٢٠/١ ، وارتشاف الضرب من لسان العرب ٢/١٥٦، واللسان مادة (زفر).

^(°) هو يزيد بن رومان أبوروح المدني مولى الزبير ثقة ثبث فقيه قارئ مُحدث عرض على عبدالله بن عباس بن أبي ربيعة، روى القراءة عنه عرضاً نافع وأبوعمرو ولم تصح روايته عن أبي هريرة ولا عن ابن عباس ولا قراءته على أحد الصحابة، روى عنه مالك بن أنس، وجرير بن حازم، وابن إسحق، وحديثه في الكتب الستة، مات حوالي سنة 120هـ-130ه. ترجمته بغاية النهاية في طبقات القراء ٢٨١/٢.

⁽٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٢١/١، ويقصد بـ (لعاً لصروف الدهر): ارتفاعاً لصروف الدهر، وهو دعاء ينظر الخصائص: ٣٢٠/١، (ولعاً) رفع بالابتداء ، لأبي المغوار خبر وهو مقصور مثل (فتى. ينظر النوادر في اللغة لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، مع تعليق سعيد الخُوري الشرتوني اللبناني، دار الكتاب العربي بيروت، 1305ه- 1984م، ص 37.

وهذا هو الكثير المسموع في (لعل)، وقد جاء بها ابن مالك في (باب حروف الجرّ)^(۱) وهي لغة عقيل وشاهده قول الشّاعر: (۲)

فقُلتُ: أدعُ أخرى وارفَع الصوتَ جَهْرةً * لعل أبى المغوار منك قريبُ(")

وشاهده أنّه جاء بـ (لعل) حرف جر، جرّ بها (أبي المغوار)، وهذا لم يذكره ابن الأنباري عند دراسته للمسألة، ولا ابن جنّي في الخصائص، بعدّها ظاهرة لغويّة عند بعض العرب.

ومّمِا جاءت فيه (لعل) محتملةً الجرّبها قول الشّاعر: (٤) لعـــل اللهِ فضَـــلهُم علينــا * بشـــيءٍ أنّ أُمّهُ شـريهُ(٥)

والشّاهد قوله: "لعل الله" في لغة عقيل حرف جر ، ويجوز في اسم الجلالة أن يُعرب مبتدأ، ولعل حرف جرّ شبه زائد (٦) دخل على المبتدأ، وهذا على معنى أنّ (لعل) دخلت على الجملة الاسمية (الله فضلكم علينا) على بابها، فهي حرف ترجٍ. وقد جاءت (لعل) محذوفة اللهم الأولى "علّ" وموصولة بالضمائر كقول

وقد جاءت (نعل) محدوقه الكرم الاولى عل وموصوله بالصمائر كفور الشّاعر: (^{۲)}

فَ الْمُونِي بِلَيَّ تِكُم لَعِلِّ * أُصِ الْحُكُم وأُستُدرِجْ نَوَ رَيا (١)

⁽۱) ينظر اللامات للزجاجي، تحقيق مازن المبارك، ط۱، دار الفكر، دمشق ۱۳۸۹هـ- ۱۹۶۹م، ص 136. وشرح ابن عقيل: ۸/۲ .

⁽٢) هو كعب بن سعد الغنوي من قصيدة يُرثي فيها أخاه أباالمغوار واسمه شبيب.

⁽٣) من بحر الطويل ينظر الأمالي، لأبي إسماعيل القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ ١٤٧/٢ –148. شرح الأشموني 1/56 وينظرالمقاصد النّحويّة: ٣/٧٤ والمعجم المفصل لشواهد النّحو الشعريّة 1/90 ، ويروى (لعلّ أباالمغوار منك قريبُ) –على بابها من أخوات إنّ ينظر ، وينظر البيت في الأمالي لأبي علي القالي وقوله: "هذا البيت مصنوع لأنهم كانُوا يختلفون في تقديم الأبيات وتأخيرها، وزبادتها ونقصانها ، وفي تغيير الحروف في متن البيت وعجزه وصدره،

⁽٤) ذكره ابن مالك بلا نسبة من بحر الوافر، ينظر فيه شرح ابن عقيل ٩/٢ ، والمقاصد النّحويّة: ٢/٩٢٦- (٤) ذكره ابن مالك بلا نسبة من بحر الوافر، ينظر فيه شرح الأشموني: ٢٨٤/٢ ، وينظر المُقرّب: ١٩٣/١.

^(°) وقد رويت (لعلّ) فيه محذوفة اللام الأولى ومكسورة ومفتوحة الثانية (علِّ وعلّ) ، وفيها أربع لغات عند العرب، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٢٠/٢، والمعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة: ٨٨٥/٢.

⁽٦) وإنما أشبه (لعلّ) الحرف الزّائد ، في أنّه لا مُتعلق له، وأشبه الأصلي في الدلالة على معنى هو الترجّي.

⁽٧) من بحر الوافر لأبي داؤود الإيادي بديوانه بجمع وتحقيق أحمد محمود الصالحي، ودكتور أحمد هاشم السّامرّائي، دار العصماء، سوريا، ط 1، 1431هـ 2010م، ص 183.

وجاءت في رواية الديوان أن (لعل) بمعنى: (كي)، على رأى الكوفيين، والاستدراج: التقريب، ونُويا: أصلها نوايا، قُلبت الألف ياء وأدغمت الياء في ياء المتكلم. (٢)

ومّمِا جاء في كلام العرب مع حذف لام (لعلّ) الأولى مضافة إليها كاف الخطاب قول الشّاعر:

ولا تُهدينَ الفقيدرَ علّد فأن * تركعَ يوماً والدّهرُ قد رفّعَ ه (٣)

وهنا (لعلّ) بمعنى (عسى) في المعنى وبمنزلة (أنّ) المشدّدة في العمل، وعقيل تخفض بها ، ويجوز في جوابها النّصب تمسُّكاً بقراءة حفص في قوله تعالى: ﴿ لَعَلِيّ أَبُلُغُ ٱلْأَسْبَبَ * أَسْبَبَ ٱلسَّمَوَتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىۤ إِلَىۤ إِلَىٰ مُوسَىٰ ﴾ (٤).

وقد جاءت (لعل) في الشّعر العربي متصلةً بضمير الخطاب (الكاف) وخبرها مصدرٌ مؤوّلٌ، حملاً لها على (عسى) في قول الشّاعر: (٥) لعلّ لها أن تُلَحّ ملمُحةٌ * عليكَ من اللائبي يَدَعْنكَ مَ أَجدَعا(٦)

⁽۱) ينظر الخصائص: ۱/۱۲، ۱/۱۲، ۳٤۱/۲ وينظر مُغنى اللبيب عن كُتُب الأعاريب بطبعة دار الطلائع ١/٤٨، وينظر مُغنى اللبيب عن كُتُب الأعاريب بطبعة دار الطلائع ٢/١٨، وأصل البليَّة: الناقة).

⁽٢) وهي لغة لقبيلة هُذيل، وبعض العرب، من قيس، وطئ ، وقريش ، وفزارة.

⁽٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٢١/١ ، ومغنى اللبيب بطبعة دار الطلائع ط 1، ١٧٤/١.

[.] 37-36 من سورة غافر . ينظر : البحر المحيط : 37-36 .

^(°) من بحر الطويل، لمتمم بن نُويرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن تغلب بن يربوع، من أصحاب المراثي. ترجمته في طبقات فحول الشّعراء، لمحمد بن سلام الجُمحي ، بشرح أبي فهر محمود محمد شاكر، ط 4 ، دار المعارف للطباعة والنشر ، السفر الثاني، بدون تاريخ ص 204.

⁽٦) في قصيدة يرثي فيها أخاه بديوانه ص 119 ، ينظر لسان العرب ٤٧٤/١١ (مادة لمم)، قوله (لعلّ) بمعنى (عسى) وتُقيد الشك، ويخبر عنها بالمصدر المؤوّل، ولا يكونُ هذا إلا في الشّعر نحو: (لعّلي أن أفعل) والأجدع: المقطوع الأنف والأذن ويُستعمل للدّليل. ينظر كتاب الأدوات النحوية المختصّة (عملها معناها ومبناها) لدكتور إبراهيم مُحسن، مطبعة دار الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا، بدون طبعة وتاريخ ص 142.

والشّاهد فيه قوله (لَعلّكَ يوماً أن تُلِمّ): حيثُ جاء خبر لعلّ مقروناً بـ(أن)، حملاً لها على (عسى) كأنّها -هنا- تفيد الإشفاق. (١)

وهذا المعنى قد أيده التنزيل، حيث جاءت (لعل) بمعنى (عسى)، وتُفيد الإشفاق، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدَرِيكَ لَعَلَ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبُ ﴾ (٢).

وقال فيها أبوحيّان: "وما يدرِيكَ أيُها المخاطب لعلّ السّاعة قريبُ، ذكِرٌ على معنى البعث أو على حذف مضاف أي: لعل مجئ الساعة و (لعلّ السّاعة) في موضع نصب مفعول (وما يدريك). (٢)

وتأتي (أنَّ) في لغة بمعنى (لعل) وجاء ذلك في التنزيل في قوله تعالى: ﴿ قُلُ إِنَّمَا ٱلْآيِئَ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتُ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤).

وهذا من جهة المعنى، لقول أبي حيّان: جعل بعضهم الخطاب للمؤمنين وبعضهم الخطاب للمؤمنين وبعضهم الخطاب للكُفّار، وإذا جُعلت (لا) زائدة، فيكون المعنى: وما يُدريكم بإيمانهم لأنّها لو بقيت على النّفي لكان الكلام عُذراً للكُفّار، وفسد المراد من الآية، ورأى الكسائي والفراء بزيادة (لا) وقال الزّجّاج: زعم سيبويه أنّ (أنّها) في الآية معناها: (لعّلها إذا جاءت لا يؤمنون) وهي قراءة أهل المدينة، وهذه أقوى في العربيّة والذي ذكر زيادة (لا) غالطُ؛ لأن ما كان لغواً لا يكونُ غير لغو خلافاً للتّحاس. (٥)

وبعد أن اتضحت معاني (لعلّ) في الآي الحكيم، نذهب في سياحة أدبيّة حول ما جاء من معاني (لعلّ) في شعر المتنبّي وذلك في قوله: (٦)
لعل لسيفِ الدّولة القرْم هِبّة * يعيشُ بها حق ويَهلكُ باطِلُ(٧)

⁽۱) ينظر: المقتضب بتحقيق دكتور محمد عبدالخالق عضيمة ٧٤/٣ ، والمعجم المُفصّل لشواهد النّحو الشّعريّة (١) ينظر: المعجم المُفصّل لشواهد النّحو الشّعريّة (١) ينظر: العرب 292–295.

⁽٢) الآية (17) من سورة الشورى.

⁽٣) ينظر: البحر المحيط: ٥١٣/٧ ، وينظر الكتاب ٢/٢١٦ - 463 ، ومعجم الأدوات النّحويّة في كتب التفسير سنة 343ه ص 413 ، وينظر إملا مامنّ به الرّحمن ٢٢٤/٢.

⁽٤) الآية (109) من سورة الأنعام.

^(°) ينظر البحر المحيط ٢٠١/٤-202، وينظر إعراب القرآن ، لأبي جعفر النحاس، تحقيق دكتور زهير غازي زاهد، ط2، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ- 1985م ، ٩٠/٢ ، وينظر معجم الأدوات النّحوية في كتب التفسير ص 681،

⁽٦) من بحر الطويل ص 377 بالدّيوان.

 ⁽٧) قالها ابوالطيّب يمدح سيف الدّولة بعد دخول رسول ملك الروم عليه.

لم يشرح ابن جنّي البيت، وبالأحرى لم ينقل المحقّق هذا الشّرح وترك المجال لبقية الشّرّاح، فيقول المعرّى: "يقول: أرجو أن يكون من سيف الدّولة هِزّة في أمري مع غيري من الشّعراء، الذين يُنازعُون فضلي ليظهر الحقّ، ويهلك الباطل، وهو يريد: يقتل أعدائي فأستريح منهم وأضاف اليازجي: أراد: لعلّ له حركة يأخذ بها الرّوم، فيهلكها ليهلك الباطل وهو الكفر ". (١)

وترى الباحثة أن تقديم خبر (لعلّ) -هنا- لعنايته بمدح سيف الدولة فهو من باب التقديم والتأخير.

ومّمِا يؤكد هذا الاستخدام للعرب، مجئ هذا المعنى في التّنزيل الحكيم، في قوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونِ لَعَلَّكُمُ ثُولِكَ اللّهِ اللّهِ عَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونِ لَعَلَّكُمُ ثُولِكَ اللّهِ اللّهِ عَلَي اللّهُ عَلَي اللّهِ عَلَي اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهِ عَلَي اللّهُ اللّهِ اللّهِ عَلَي اللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللل

و (لعل) هنا بمعنى (كي)، وتستعمل عند الشّك، فالفلاح هو الغرض الذي من أجله أمرهم الله بالتّوبة ومثل هذا كثيرٌ. (٣)

وجاء قول أبي حيّان: كان الإنسان لا يكاد يقدر على مراعاة أوامره - تعالى - دائماً وإن ضبط نفسه واجتهد فلابُدّ من تقصير أمره بالتوبة، ويترجّى الفلاح إذا تاب، وعن ابن عباس:توبوا مِمّا كُنتُم تفعلونه في الجاهليّة لعلكم تسعدون في الدّنيا والآخرة. (٤)

وجاء قول أبي الطيّب مستخدماً (لعلّ) بمعنى التحضيض: (٥) ملامُ النّوى في ظُلْمِها غايةُ الظّلْمِ * لعلّ بها مِثْلَ الذي بي من السُّقَمِ(٦)

يقول ابن جنّي: "لعلّ النّوى وهو البُعد تعشقُها لعشقِي إياها، فلومِي لها ظُلمُ، وكأنّه تنبّه، فعاتب نفسه على لومها النّوى، فيقول: هلاّ يجوز أن تكون النّوى عاشقةً لها مثلي. (٧)

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ٣٩٠/٣، والعرف الطيّب: ١٨٧/٢.

⁽٢) الآية (31) من سورة النُّور.

⁽٣) ينظر: شرح الكتاب ، للسّيرافي ١/٥٥٥.

⁽٤) ينظر: البحر المحيط: 6/449-450.

⁽٥) من بحر الطويل، ص 80 بالدّيوان.

⁽٦) قالها أبوالطيب ، يمدح فيها الحسين بن أسحق التُّوخي.

⁽٧) ينظر: الفسر: ٣/٢٦٤.

ويضيف الشّرّاح نفس المعنى، علاوة على أنّه يمدح أبا الحسين من خلال الغزل والعِتاب. (١)

ومّمِا جاء فيه أبوالطيّب ب(لعلّ) متّصلةً بياء المتكّلم، ما قاله في صِباهُ: (٢) ولَعلّـــى مُؤمّـــلُ بعــض مــا أبــ * لَغُ بـاللّطفِ مـن عَزيـز حميـدِ(٣)

وابن جنّي لم يِشرح هذا البيت، بل شرحه المعرّى بقوله: "يريدُ: لعلّي مُبلّغ بعض ما آمل، ويجوز أن يحمل ظاهره وهو أنا راجٍ بعض ما أبلغ من العيش الهنيء، والمكان السّني بلُطف الله العزيز الحميد، واليازجي يريد المعنى على قلب الكلام أي: لعلّى أبلغُ بلُطف الله بعض ما أرجوهُ. (٤)

وما جاء فيه أبوالطّيب، بـ(لعلّ) اسمُها ضمير الكاف للمخاطب: (٥)

لعَلَىٰ فَ عِي وَقَتِ شَعْلتَ فَوَادَهُ * عن الجُودِ أو كثَّرتَ جيشَ محارب

وشرحه ابن جِنّي قائلاً: "يجوز أن يكون قد فعل بك ذلك لشُغلك فؤاده في بعض الأوقات، أو لتكثيرك جيش عدوّه، فانتقم مِنك لذلك" (٧).

واتّفق المعرى في شرح قول أبي الطيّب مع ابن جنّي، وأضاف اليازجي أنّه يلتمس للمال ذنباً عند الممدّوح، حتّى استوجب أن يفعل به فعله بالعدّو. (^)

ومّمِا تقدّم يتّضحُ أنّ أبا الطيّب قد جاء بكل الأوجه التي دارت في اللّسان العربي، وشاعت في كلام العرب في القرآن الكريم، والشّعر العربي الرّصين (الفصيح).

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ٢٨٢/١ ، والعرف الطيّب: ٢٠٠٠/١.

⁽٢) من بحر الخفيف ، ص 21 بالدّيوان.

⁽٣) أشار المُحقِق إلى أنّه رُوي في صدر البيت بـ (مُبلغ) بدلاً عن (مؤمّلٍ) ، وأشار إلى أنّ هذا البيت لم يُشرح في النسخة الأصلية ونسخة الفسر المصرية.

⁽٤) ينظر: الفسر: ١/٨٨٧، ومعجز أحمد: ١/٧٧-78 ، والعرف الطيّب: ١/١١٥.

⁽٥) من بحر الطويل ، ص 228 بالدّيوان.

⁽٦) قالها أبوالطيّب يمدح أبالقاسم طاهر بن الحُسين بن طاهر العلوي.

⁽٧) ينظر: الفسر: ١/٥٢٧.

⁽٨) ينظر: معجز أحمد ٢/٢٦، والعرف الطيّب: ٢/٤٤٣.

المبحث الرّابع: (مُذْ ومُنْذُ) : أصلُهما وإعراب ما بعدَهُما:

وهي من المسائل التي أفرد لها ابن الأنباري مساحةً؛ لاختلاف النّحويين حولها.

وذهب الكوفيون إلى أن (مُذْ ومُنْذُ) إذا ارتفع الاسمُ بعدهما كان بتقدير فعل محذوف، وذلك خلافاً للفراء منهم الذي يرى ارتفاعه بتقدير مبتدأ محذوف^(۱). وذهب البصريون إلى أنّهما يكونان اسمين مبتدأين ويرتفعُ ما بعدَهما، لأنّه خبرُ عنهما ويكونان حرفين جارّين فيكون ما بعدها مجروراً بهما. (۲)

وجاء قول ابن مالك على أصلِهما في نظمه:

و"مُـذْ" ومُنـذُ اسـمان حيـثُ رفعا * أو أُولِيا الفعـل : كــ "جئْتُ مُـذْ دعـا وإنْ يجُــرٌ فــي مُضِــيّ فكمِــنْ * هُمـا، وفـي الحُضُـور معنـى "فِي"اسـتبن

ويتضّح من قول ابن مالك حرحمه الله الله أنّ (مُذْ ومُنذُ) اسمان إذا وقع بعدهُما الاسم مرفوعاً، أو وقع بعدهُما الفعلُ، نحو: ما رأيتَهُ مُذْ يومُ الجُمُعةِ أو منُذْ شهرُنا ، ف (مُذْ) اسمُ مبتداً خبرهُ ما بعده، وكذلك (مُنذُ)، ويجوز أن يكونا خبرين لما بعدهُما مقدّمين ومثال ما يليها الفعل نحو: جئتُ مُذ دعا، ف(مُذْ) اسمُ منصوب المحل على الظّرفيّة والعامل فيه (جئتُ). (3)

وإن جاء ما بعد (مُذْ ومُنذُ) مجروراً ، فهما حرفا جر ، إمّا بمعنى (من) إن كان ذلك في الماضي، أوبمعنى (في) إن دلا على الحاضر ، نحو: ما رأيتُهُ مُذْ يومِ الجمعةِ أي: من يوم الجمعة ، وبمعنى (في) إن كان حاضراً نحو: ما رأيتُهُ مُذ يومنا أي في يومِنا. (٥)

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ، مسألة (56) ١/٣٨٥.

⁽٢) المصدر السابق نفسه ، وينظر الخصائص ٢٤٥/١ ، والكتاب ١٧/١ ، والجني الدّاني، ص 500 ، وشرح الأشموني بإشراف إميل بديع يعقوب: ٢٥/٦.

⁽٣) يُريد بأول البيتين إعراب (مُذ ، مُنذُ): مبتدأ أو خبر أو ظرف وبالثآني: حرف جر وما بعده مجرورٌ بهما.

⁽٤) ينظر الأصول في النّحو: 177/7 ، وشرح ابن عقيل: 71/7 .

^(°) ينظر الكتاب ٢/٥٤، والأصول في النّحو: ١٣٨/٢، الجمل للزجاجي ص 140، وينظر شرح جمل الزجاجي ، لابن عصفور ٢/٢٥ وينظر ومُغنى اللبيب عن كتب الأعاريب بتحقيق دكتورمحمد عبدالخالق عضيمة: ٣٦٧/١.

والكوفيوّن يدّعُون أنهما مركّبان من (مِن وإذ)، لذلك قالوايرتفع الاسم بعدهُما بفعلٍ محذوف؛ لأن الفعلَ يحسنُ بعد (إذ)، وذلك في نحو: ما رأيتُهُ مُذْ يومان، فأمّا إذا كان الاسمُ بعدهُما مخفوضاً كان ذلك بالتقدير: ما رأيتُهُ مُذْ مضى يومان، فأمّا إذا كان الاسمُ بعدهُما مخفوضاً كان ذلك بالمنذ)، ولهذا المعنى كان الخفضُ بالمنذ) أجود من (مُذْ) لظهور نون(من) فيها(١)، والرّفع بالمذف أجود لحذف نون(من) منها، تقريباً لها من (إذ).

وابن عصفور يُغلبَ على (مُذْ) الاسميّة، لأنّها محذوفةُ من (مُنذُ)، والحذفُ تصرُّفُ وبابُه الأسماء لا الحُروف. (٢)

ورأى الفراء أنّ الاسم يرتفعُ بعدهُما بتقدير مبتدأ محذوف، وذلك لأنّ (مُذْ ومُنْذُ) مركبان من (من) و (ذو) التي بمعنى الذي، وهي لغةٌ مشهورةُ^(٦). وقد تنطق (مُنْذُ) بكسر ميمها دليلاً على حرفيتها. (٤)

و (مُذ) تتكلم بها العرب في جميع لغاتهم ويجرُّون بها الحال، وبنو تميم يرفعون بها الماضي (٥)، ولا يُجيزون الجرّ، أمّا مُنذُ لا يعرفُها إلا أهل الحجاز.

وما ساقه ابن هشام من أن أكثر العرب تُرجّح وجوب الجرّب (مُذْ ومُنذُ) إذا كان ما بعدهما زماناً حاضراً، والرّفع أرجح به (مُذ) إذا كان الزمانُ ماضياً وذلك مثل قول الشّاعر في الجرّب (مُنذُ):(٦)

قِفا نبكِ مِن ذِكرى حبيبٍ وعرفانِ * ورَبْعِ عَفتْ آياتُهُ مُندُ أَزمانِ (٧)

⁽۱) وبعض العرب تنطق (مُنذُ) -بكسر ميمها- فيقُول (منذ) فهي أقرب إلى (مِن) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٨٢/١.

⁽٢) ينظر: شرح جمل الزّجّاجي الكبير: ٥٢/٢ ، وشرح الأشموني: ٢٥/٦، والمقتضب: ٣/٤٧-74 وإرتشاف الضّرَبِ: ٢/٢١/١ ، وينظر الضوء الوهاج على الموجز لابن السراج تحقيق دكتور عبدالعظيم الشناوي ، الجامعة الإسلامية (قسم اللغويات) ، المدينة المنورة ، 1400ه - 1980م ، ص 96 .

⁽٣) وهي لغة طئ التي تستخدم (ذو) بمعنى (الذي)، ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٨٣/٢ ، والجني الدّاني ص 501-502.

⁽٤) (وهي لغة سُلِيم من العرب) ، ينظر: شرح الجمل "الشَّرح الكبير": ٥٣/٢، واللهجات العربية في القراءات القرآنية ، لدكتور / عبده الراجحي ، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، 1428هـ- 2008م، ص 46، ينظر: مغني اللبيب، وينظر اللهجات العربية ص 47، وينظر صورة الأرض ، لأبي القاسم علي بن حوقل ، دار مكتبة الحياة، مطبعة فؤاد بيبان وشركائه ، لبنان، بدون تاريخ ، ص 29-30.

⁽٥) ينظر: مُغنى اللبيب: ١/٣٦٨.

⁽٦) من بحر الطّويل، لامرئ القيس بديوانه ط 4 ، ص 89.

⁽٧) مذهب السهيلي وابن مالك أنّها ظرف مضاف لجملة حذف فعلها وبقى فاعلها والأصل منذ كان أزمانُ وهو مذهب سيبويه ولا يدخلان عنده إلا على زمان ملفوظٍ أو مقدّرٍ ينظر الكتاب مذهبان وشرح التسهيل ص 94.

والشّاهدُ فيه قوله: "مُنذُ أزمانِ"، حيثُ دخلت (مُنذُ) على لفظ دالٍ على الزّمان الماضي وهو (أزمان) فدّلّت على ابتداء الغاية الزّمانيّة بمعنى(من) على مذهب الكوفيّين. (١)

وتجئ (مُذْ ومُنذُ) ظرفين، أمّا مُذ فالغالب عليها الاسميّة وقليلا ما يُجرّ بها، وذلك مثل قوله الشّاعر: (٢)

مازالَ مُذْ عقدتُ يداهُ إزارَهُ * فسما فأدرك خمسة الأشبارِ (٣)

والشّاهد فيه: قوله (مّذْ عقدتْ) حيث دخلت (مُذ) على جملة فعليّة كما هو أغلب أحوالها ، فهي اسمُ ظرفٌ دالٌ على الماضي بمعنى في. (٤)

ومّمِا جاءت فيه (مُذْ)في قليل من أحوالها جارةً قول زهير بن أبي سلمى: (٥) لَمِسنِ السدّيارُ بِقُنّسة الحِجْسرِ * أقوينَ مُدْ حِجَمِ ومُدْ دَهْر (٦)

(١) ينظر: المعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة: ١٠١٩/٢، وفي (منذ) مذهبان:

أولهما: مذهب الجمهور: على أنّها حرف جارٌ ولا يُجرّ بها إلا الزّمان.

وثانيهما: أنّها ظرف مضاف وهو في موضع نصب بالفعل الذي قبله، وعلى هذا فهو اسمٌ (أيضاً) إذا دخل على جملة فعليّة أو اسميّة. ينظر: الكتاب: ٢٥/٢ ، والأصول في النحو ١٣٨/٢ ، وارتشاف الضرب ٢٥/٣ ، وشرح شواهد المغني (شاهد رقم 755) وينظر: الجني الدّاني ص 503.

(٢) من بحر الكامل، وهو الفرزدق.

- (٣) ينظر الضّوء الوهّاج، لأبي بكر السّراج ص 96 ، ومغنى اللبيب: ٣٦٨/١ ، والمقاصد النحوية ص 504، والجني الدّاني ص 504.
- (٤) ينظر: ديوان همّام بن غالب بن صعصعة بن دارم أبوفراس "الفرزدق" مطبعة الأنجلو ، القاهرة 1391هـ 1970م ورواية العجز بالدّيوان (فدنا) بدلاً عن (فسما) ، ٢/٥٠١ ، وينظر مغني اللبيب طبعة دار الطلائع: ٢/٨٤١، والمُعجم المفصل للشواهد النّحويّة: ٢/٠٠١.
- (°) من بحر الكامل، بديوان زهير، بشرح أبي العبّاس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (ثعلب)، طبعة دار الكتب العربيّة 1363هـ-1944م، ص 47.
- (٦) ينظر فيه: الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٧١/١ ، وشرح شواهد المغنى: ٢/٥٠/١ ، الحجج: جمع حجة وهي السنة أي: (اسم زمان) ومنه الحج ،قنة: قمةُ الجيل، وينظر مغنى اللبيب بطبعة دار الطلائع: ٢٤٧/١ ، والمقاصد النّحويّة: ٣٤٢/٣.

والشّاهد فيه، قوله: "مُذَ حِججٍ" و "مُذْ دَهِرِ" وقد جرّهَما بـ (مُذ) وهما اسما زمان لابتداء الغاية الزّمانية؛ لكونهما ماضيين ورواية الكوفيّين (مِنْ) بدلاً عن (مُذْ).(١)

كأنّهم استبدلوا (مُنذُ) بـ (مُذْ)؛ لأنّ الغالب عليها الحرفيّة لشبهها وتركيبها من (مِن وذو، أو إذ أو ذا) وهذا سبق الحديث عه في رأى الفراء.

وما جاءت فيه (مذ) اسماً ظرفاً كما يغلُب عليها إذ دخلتُ على الجملة الاسميّة في قول الكُميت: (٢)

ومازلتُ محمُ ولاً على ضغينة * ومضطلع الأضغان مُذْ أنا يافعُ (٦)

والشّاهد في قوله: "مُذْ أنا يافعُ" حيث دخلت (مُذْ) على الجملة الاسميّة، (٤) فهي ظرف في موضع مبتدأ عند الجمهور، خلافاً للكوفيّين الذين يجعلونه فاعل بفعل محذوف ويبقون عمله.

ومّمِا جاءت فيه (مُذْ) في شعر أبي الطيب قوله: (٥) فل عند أنرت إنارة * وليس لبدر مُذْ تمَمْتَ تمامُ (٦)

⁽١) المعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة: ١/٠٠٠.

⁽٢) من بحر الطويل، للكميت وهو الكُميت بن معروف بن ثعلبة بن نوفل الأسدي من بني جحوان بن فقعس، شاعر مخضرم (عاش أكبر حياته في الإسلام) يُكني أبا أيُّوب، عرفه الجمحي بـ (الكميت الأوسط) لتوسط الزمن الذي بين جده الكميت بن زيد والكميت بن تغلبة ، وقال الجمحي الأوسط أشعرهم قريحةً، وقال الآمدي: له ديوان مُفردُ. ينظر ترجمته: المؤتلف والمختلف لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي المتوفى سنة 370هـ، بتحقيق عبدالستار أحمد فراج، ط 1 ، 1960م – 1381هـ . وينظر طبقات فحول الشعراء ١٦٣/١ ، وينظر معجم الشعراء، لأبي عبيدالله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، بتحقيق محمد عبدالله البجاوي ، دار النهضة ، مكتبة الكتاب العربي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر ، ص

⁽٣) ينظر الكتاب: ٢/٤٥ ، وشرح الكتاب للسيرافي: 1/221، ومغنى اللبيب: ٣٦٧/١ ، والمقاصد النّحويّة: ٣٢٤/٣ والجني الدّاني: ص 504.

⁽٤) ينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب ٢٤٢/٢ ،والمعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة ٥٣١/١.

⁽٥) من بحر الطّويل ، ص 392 بالدّيوان.

⁽٦) قالها ابوالطيّب في حضرة سيف الدّولة ، وقد ورد رسول ملك الرّوم ومعه فرسان الثغور يطلبون الهُدنة، وكان ذلك في محرّم 344هـ.

لم يأتِ المحقق بشرح ابن جِنّي، ولكنّ المعري أورد شرحه، قائلاً: "أنت أنورُ من الشمس وأكملُ في الخصال من البدر، فخفِي بنورك نور الشّمس وانتقص بكمالك كمالُ البدر، وأضاف اليازجي: أراد بالشمس والقمر ملوك عصره وكرام دهره أي: أشرق عليهم وطمس معالمَ أفعالهم، ومكارمَ خصالهم. (١)

وقد دخلت (مُذ) في موضعين على الجملة الفعلية (أنرت) و (تممت) فهي ظرف يدلُّ على الزّمان الماضي، وعند الجمهور مبتدأ خبره ما بعده، أو فاعلُّ فعله محذوفٌ على رأى الكوفيّين.

ومن استخدام أبي الطيّب (مُنْذُ) في قوله: (٢) ومن استخدام أبي الطيّب (مُنْدُ) في قوله: (٢) ومُندذُ احتبيت بأنطاكيّة اعتدلت * حتّى كأنّ ذوى الأوتار في هُدن (٣)

يقول ابن جنّي: أي مُنذُ وُليت بها القضاء سار العدْلُ، وشاع الحقُ وزال الظلم والخلافُ (بعد أن شرح المفردات شرحاً لغوياً وافياً). (٤)

وأضاف المعرّى: الاحتباء: جِلسة مخصوصة ، ويُكنّى بها عن السّيادة وهو يعنى: زالت أحقاد أهل أنطاكيّة وسكنوا فكأنهم مصالحون ، واليازجي شرحه متفق مع المعرّى، إلا أنّه فسر الجملة الفعليّة التي دخلت عليها (مُنذُ) أنّها نائبة عن مصدر محذوف وهو حال ، والتّقدير: (مُنذ جلستَ محتبياً للحُكم بها). (٥)

وهذا خلافاً لمن سبقوه من أنه ظرف مضاف إلى الجملة الفعلية فهو مبتدأ وما بعده خبر عند الجمهور، وفاعل لفعل محذوف عند الكوفيين.

ومن استخدام أبي الطيّب لـ (مّذ) ظرفاً قوله: (٦)

ومن مَررْتَ على أطوادِها قُرعَتْ * مِن السُّجُود فلا نَبْتُ على القُنن (٧)

⁽۱) ينظر: الفسر: 12/3 ، ومعجز أحمد: 122/3 ، والعرف الطيّب: 112/7 .

⁽٢) من بحر البسيط، ص 173 بالدّيوان.

⁽٣) يمدح فيها أبوالطيّب أباعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد الخطيب الخصيب، وهويتقلد القضاء بأنطاكيّة.

⁽٤) الهُدن جمع: الهُدنة، وهي في كلام العرب السُّكون، ومنه راعٍ هِدانٌ، وقالوا هدِاءُ إذا كان قليل الحركة والأوتار: جمع وتر وهو العداوة. ينظر: الفسر: ٦٨٦/٣.

⁽٥) ينظر: معجز أحمد: ٢٥٤/٢ ، والعرف الطيّب: ٣٤٢/١.

⁽٦) من بحر البسيط ، ص 173 بالدّيوان.

⁽٧) يمدح فيها الخطيب الخصيبي قاضي أنطاكي -كما سبق- واكتفى ابن جني بقوله: قنة الجبل وقنته أعلاه ينظر الفسر: ٣/٦٨٦.

وشاهده دخول (مُذْ) على الجملة الفعليّة فهو ظرف وهي خبرٌ عنه، في قول المعرّى: لما مررت على جبال أنطاكيّة سجدت لك وأطالت السُّجود تعظيماً لك فانحسر النباتُ من رأسها فصارت قُرعاً. (١)

وأضاف اليازجي: سجدت له الجبال عند مروره وسمّى خضوعها سُجوداً، لما بينها من الملابسة^(۲) فقال: إنّ سُجودها له توالى، حتى ذهب ما عليها من النّبت فصارت قرعاء. ^(۳) وذلك دليلاً على قرب مكانها منها ، لقول النبي - القرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"(٤).

وقال أبوالطيّب مستخدماً (مُذْ) دالاً على اسميتها وبعدها اسم، فهي ظرف قد يُجرُ به: (٥)

إلى اليوم ما حطّ الفِداءُ سُروجَهُ * مُذِ الغزوُ وسارٍ مُسرِجُ الخيل مُلجمُ

يقول ابن جنّي أي: هو سارٍ مُذ الغزوُ، (الغزوُ) مرفوعٌ بالابتداء، وخبره محذوفٌ والتّقدير: (مُذ الغزوُ كائنٌ أو واقِعٌ)، ومثله قولهم: زُرتك إذ ذاك، ف(ذاك) مرفوعٌ بالابتداء وخبره محذوفٌ كأنّه قال: إذ ذاك كذاك كائِنٌ، وكان رُبّما أنشده أبوالطيّب: "مُذُ الغزوِ" بالجرّ-، و تقديره: مُذ زمَن الغزوِ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وإنّما كان يجرُ الزمن لأنّ معنى: مُذ: (في) كما تقول: أنت عندنا مُذ اليوم، ومازلت مُذُ الليلة ضاحكاً أي: في اليوم والليلة". (١)

وبقى دور الشّراح وقولهم في البيت أعلاه:

يرى المعرّى أنّ (الغزو) رفعٌ بالابتداء وخبره محذوف أي: الغزو واقعُ وكائنٌ ، ولم يحطّ الفداء والسعي بين العرب والرّوم بالصُّلح سُروجهُ من وقت الغزو إلى اليوم، ونسب الفعل إلى الفداء لأنّه كان سببه، وأضاف اليازجي: أنّ سارٍ: خبرٌ عن محذوف (مبتدأ) أي: هو سار، و (مسرج): يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ٢٥٤/٢ (ورويت في هامش التحقيق قُرُعت أي: قُرعت إلى السُّجود).

⁽٢) مر تعريفها في مبحث الأفعال هامش 6 ، ص 92 .

⁽٣) ينظر: العرف الطيّب: ٣٤٢/١ ، (وأصل القرع: ذهاب شعر الرأس) يقال: شجاعٌ أقرعُ، قرِي السُّمَّ في رأسه فذهب شعره وقرع عليه سِنّهُ: نَدِمَ وقرعه بالحقّ: رماهُ، وقرع ساقه للأمر تجرد له وأعطاهُ قُرعة ماله: خيرتُهُ ينظر: أساس البلاغة، ص 503.

⁽٤) ينظر الحديث بصحيح مسلم (كتاب الصلاة)، باب (ما يقال في الركوع والسجود)، قوله: "أي أقرب ما يكون الإنسان من رحمة ربه حال في حال كونه ساجداً"، طبعة 1403هـ - 1983م، ٥٠/١٠.

⁽٥) من بحر الطويل ص 115 بالدّيوان والرّواية في الديوان على أنها حرف: مُذْ العزوِ وقالها أبوالطيّب في مدح عمر بن سليمان الشرابي، وهو يتولى الفداء بين العرب والرّوم.

⁽٦) ينظر: الفسر: ٣/٥٢٥.

مرفوعه فيكون بفتح الراء (مسرَج)، أو إلى منصُوبه بكسرها (مُسرِج)يقول: إنّه مُنذُ الغزوِ إلى اليوم مشتغِلُ بفداء أساري المسلمين من أيادِي الرُّوم، ولم يحطّ سُروج خيله عن ظهورها، ولكنّه سارٍ وخيوله مُسرجةٌ ملجمِةٌ لا تنفكٌ. (١)

ومَمِا تقدّم يتضّح أن ابن جنّي والشّرّاح من بعده، اتفقوا على أن الغالب في (مُذْ) الاسمية (خاصّة) وبعدها اسمٌ مرفوعٌ ، وقد يجرّ بها على أنها (حرفٌ) أو ظرفٌ مضاف.

وكما تقدّم أن الغالب على (مُنذُ) الحرفية، فهي تجرُّ الزّمان الماضي بمعنى (من) وذلك في قول أبي الطيّب: (٢)

أبا المسكِ هل في الكأس فَضْلُ أنالُهُ * فإني أُغنى مُنذّ حِين وتشربُ (٣)

يقولُ ابن جنّي ضرب هذا مثلاً به، يقول: مديحي يُطربُك كما يُطرب الغناء الشّارب، ولقد ظرُف ما شاء طلبه وتحربكهِ إيّاه. (٤)

وأضاف المعرّى قوله: انا أُغنيك بمدحك وأطربُك، وأنت تشرب كأس السُّرور بما أنظمِهُ من أوصافك، فاسقني من فضله، أي: اجعل لي في سرورِك نصيباً بإنجاز ما وعدت، ويضيف اليازجي: إنه يُعرّض بتقاضي آماله منه، وجعل نفسه وإياه كالمتنادمين على الشّراب، ويريد: أن يناله حظاً من جاه مُلكه، وهو تعريض لطلب الولاية كما صرّح به بعد ذلك. (٥)

ونخلصُ بعد مدارسة شواهد أبي الطيّب إلى أنّه استطاع أن يأتي بكل آراء النّحويّين ومذاهبهم حول استخدام (مُذْ ومُنذُ) مَمِا يؤيّد سماعهما عن العرب، لما لأبي الطيّب من تمكُّنِ في هذا المجال، ودوران ذلك في اللسان العربي.

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ٤٩/٢ ، والعرف الطيّب: ٢٥٣/١.

⁽٢) من بحر الطّويل، ص 468 بالدّيوان.

⁽٣) أنشدها أبوالطيّب كافوراً سنة 347هـ

⁽٤) ينظر: الفسر: ١/٥٧٣.

⁽٥) ينظر: معجز أحمد: ١٠٧/٤ ، والعرف الطيّب: ٣٣٨/٢.

الفصل الرّابع (ما له علاقة بالعوامل النّحويّة) ويحتوي على مبحثين :

المبحث الأول: العوامل اللفظيّة

المبحث الثاني : العوامل المعنوية .

وقبل أن أبدأ في دراسة العوامل النّحويّة، يُحضرني قول ابن جنّي في خصائصه أنّ مقاييس العربيّة ضربان: أحدهما لفظيّ والثاني معنويٌ ، فهما وإن عمّا وفشوا في هذه اللغة، فإنّ أقواهُما هو القياس المعنويّ، ألا ترى أنك إذا قُلت: رفعتُ هذا لأنّه فاعل، ونصبت هذا لأنّه مفعولٌ، فهذا أمرُ معنويٌّ لا لفظيٌّ ولأجله ما كانت العوامل اللفظية راجعة في الحقيقة إلى أنّها معنويّةٌ ألا تراك إذا قُلت: ضرب سعيدٌ جعفراً، فإن (ضرب) لم تعمل في الحقيقة شيئاً، وهل تحصل من قولك (ضرب) إلا على اللفظ بالضّاد والراء والباء على صورة (فعلَ)، فهذا هو الصّوت، والصّوت مَمِا لا يجوز أن يكون منسوباً له الفعل. (١)

وإِنَّمَا قَالَ النَّحُويُّونَ: عَامِلٌ لَفَظِّيٌّ، وعَامِلٌ مَعْنُويٌّ؛ ليدرك أنَّ العمل يأتى مسبباً عن لفظٍ يصحبه ك (مررتُ بزيد و (ليت عمراً قائم)، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظٍ يتعلَّقُ به، كرفع المبتدأ بالابتداء، ورفع الفعل المضارع؛ لوقوعه موقع الاسم (٢)، فأمّا في الحقيقة ومحصُول الحديث، فالعمل من الرّفع والنّصب والجرّ والجزم إنّما للمتكلم نفسه، لا لشيء غيره، وإنّما قالوا: لفظيٌ ومعنويٌّ لما ظهرت آثار فعل المتكلم بُمضامه اللفظ للفظ،أو باشتمال المعنى على اللفظ (٣)، وهذا ما يؤدّى إلى اختلاف الإعراب في الألفاظ التي يلحقُها التغيير وهي معمولة (٤) تمتدُ إلى أنّها على هديها يُمكنُ إيجاد التفسير الشّامل، والتحديد الدّقيق لمواقع عناصر العبارة بعضها من بعض، وما يجوز وما لا يجوز من صور التّقديم والتأخير في نسبة العبارة، والفوارق المعنويّة الدّقيقة التي تصاغ عليها العبارات. (٥)

⁽١) ينظر: الخصائص بتحقيق دكتور عبدالحميد هنداوي (باب في مقاييس العربيّة): ١٤٩/١.

⁽٢) ينظر المصدر السابق ١٥١/١.

⁽٣) ينظر الكتاب ١٣/١ والقياس في النّحو، للدكتورة منى الياس ،ط١ دارالفكر دمشق ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م ص . 29

⁽٤) الرَّد على النَّحاة، لابن مضاء القرطبي ، ص 86-87.

^(°) ينظر القياس في النحو ، ص 30 ، والمصدر السابق نفسه .

المطلب الأول: رافع الاسم بعد (لولا):

ذهب الكوفيون إلى أن (لولا) ترفع الاسم بعدها، نحو: لولا زيدٌ لأكرمتُك، والبصريون إلى أنه يرتفعُ بالابتداء. (١)

وحُجّة الكوفيين على رفع الاسم بعدها، لأنّها نائبةٌ عن الفعل الذي لو ظهر لرفع الاسم وذلك لأنّ التقدير في قوله: "لولا زيدُ لأكرمتُك": لو لم يمنعني زيدٌ من إكرامك لأكرمتُك، إلا أنّهم حذفوا الفعل تخفيفاً، وزادوا (لا) على (لو) فصارت بمنزلة حرفٍ واحدٍ (۱). خلافاً للرضي.

والبصريون قالوا: "إنّ الاسم بعدها يرتفع بالابتداء دون (لولا)؛ لأن الحرف يعمل إذا كان مختصاً، و (لولا) لا تختصُ بالاسم دون الفعل، بل قد تدخل على الفعل كما تدخل على الاسم. (٣) ، وذلك في قول الشّاعر: (٤)

لا درّ درُّكِ إنّ ع قد رَميتُهُم * لولا حُدِدْتُ ولا عُدْرَي لمِحَدُوْدِ (٥)

وشاهده دخول (لولا) على الفعل (حدِدتٌ) كدخولها على الاسم فيما سيأتي لاحقاً وهذا على مذهب البصريّين أنها لا تعمل في الجملة لأنّها عاملٌ مشتركٌ لم يختصّ بأحد قبيلي الكلام من اسم وفعلٍ. (٦)

⁽۱) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (مسألة رقم 10): ۲۰۷۱، وينظر الجني الدّاني ص 600-604 ، وينظر شرح ابن عقيل ۳۲۰/۲، وينظر المقتضب ۷۳/۳، ومغنى اللبيب ، بطبعة دار الطلائع ۲۸۷/۱.

⁽٢) ينظر: الكتاب: ٢٢٢/٤ ، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٧٨/١ ، و رصف المباني في حروف المعانى ص 138.

⁽٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٧٣/١-74، والكافية في النّحو، لأبي عمر عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، بشرح رضي الدين الاستراباذي، النحوي، بتحقيق دكتور عبدالعال سالم مكرم، ط1، عالم الكتب القاهرة، ط 1421هـ-2000م ٢٧١/٢، وشرح ابن عقيل (وتقيد التوبيخ قبل الماضي) ٣٦١/٢.

⁽٤) من بحر البسيط، للشّاعر الجموح الظفري: وهو جاهليُّ اسمه منقد بن الطماح بن قيس الأسدي وهو فارسٌ شاعرٌ قتل في يوم جلة. ترجمته في سمط اللآئي في شرح أمالي أبي علي القالي لأبي عبيدالله البكري بتحقيق عبدالعزيز الميمني القاهرة 1357هـ 1936م، ٢/٥٩٨.

⁽٥) حُدِدتٌ : حُرِمتٌ ومُنِعتٌ وفارقتي الجدُّ والحظِّ والعذري - بضم فسكونٍ - : المعذرة .

⁽٦) ينظر: الكتاب: ١٩٨/١، ٣/١١٥، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٧٤/١، ولسان العرب: ٤/٥٥٥، المُعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة: ٢٨٠/١ .

وعلى رأى البصريّين أنّ الاسم بعد (لولا) مرفوعٌ بالابتداء وهي -هُنا- أداة تحضيض ، وتُغيد الامتناع لوجود^(۱) ، ويدخل اللام في جوابها إذا كان الجواب موجباً أو منفيّاً وبجوز حذف اللاّم، وذلك كقول الشّاعر: (۲)

لولا الحياءُ وباقي الدينِ عبتكما * ببعضِ ما فيكما إذ عبتُما عوري

والشّاهد فيه وقوع الاسم بعد (لولا) مبتدأ وهذا مذهب البصريّين. (٣) كما جاء به ابن مالك في قوله:

و (لولا) و (لوما) تلزَمانِ الابتدا * إذا امتناعاً بِوُجُوبِ عقدا⁽³⁾ ويريد ابن مالك أنّ لـ (لولا) استعمالين:

أحدهُما: أن يكون دالاً على امتناع الشيء لوجود غيره، فلا يدخل إلا على المبتدأ، ويكون الخبر بعده محذوفاً وُجوباً، ولابُدّ لـ (لولا) من جواب^(٥) إن كان مثبتاً قُرن باللام غالباً، وإن كان منفياً بـ (ما) تجرّد عنها غالباً^(٢)، وإن كان منفياً بـ (لم) لم

⁽۱) ينظر الكتاب: ٢٣٥/٤ ، المقرب لابن عصفور ٩٠/١ ، وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ، ٣٥٨/١، والجني الدّاني ص 597.

⁽٢) من بحر البسيط، لتميم بن أبي مقبل بديوانه بشرح مجيد طراد، ط1 ، دار الجيل، بيروت، 1418هـ- 1998م ، (وهي أجود شعره)، ص 76 الديوان، وينظر المُقرّب: ١/١٩، وينظر أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ، بتحقيق عماد بن محمد بن أحمد البيومي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1427هـ- 2006م ، ص 132- 133.

⁽٣) ينظر: المعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة (وفيه حذف اللام من جواب لولا ضرورة وهو قليل): 1/450 ، وينظر: رصف المباني ص 242 ، والجني الدّاني ص 598.

⁽٤) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية مالك: ٣٦٠/٢.

^(°) وقد يحذف جواب (لولا) لدليل يدل عليه كما في بيت تميم بن أبي مقبل السابق، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَوَلَا فَضَلُ اللهِ عَلَيْكُمُ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللهَ تَوَابُ حَكِيمٌ ﴾ الآية 10 ، من سورة النور، والبحر المحيط: ٣٩/٦ ، ينظر فيها إتحاف فضلاء البشر ص 323 ، والنشر: ٣٢٣/٢. وينظر رأي ابن قتيبة في باب الحذف في تأويل مشكل القرآن ، إعداد ودراسة دكتور عمر محمد سعيد عبدالعزيز، بإشراف ومراجعة دكتور عبدالصبور شاهين، ط 1، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة، 1410هـ - 1989م ، ص 140 الآية (2) من سورة النور.

⁽٦) وقد يقترن الجواب المنفي به (ما) باللام كقول الشاعر:

لولا رجاءُ لقاءٍ الظاعنين لما * أبقت نواهُم لنا رؤحاً ولا جسَدا

من بحر البسيط، بلا نسبة في الجني الدّاني، شاهد رقم 609 بشرح الأشموني، ص 599 ، وينظر شرح ابن عقيل: ٣٦١/٢ ، والمعجم المفصل للشواهد النّحو الشعربة: ١٩٨/١.

يقترن باللام، وتقدير الخبر في: لولا زيدُ لأكرمتُك: لولا زيدُ موجودٌ لأكرمتُك(١). أو لا خبر له.

ومّمِا جاء فيه المصدر المؤوّل بعد لولا، قوله الله الله الله المقت على أمّتي لأمرتُهُم بالسّواك عند كل صلة (٢)، والتقدير: لولا مخافة أن أشق على أمتي لأمرتُهُم، أي: أمر إيجاب إذ الممتنع المشقّة، والموجود الأمر.

وتأتي (لولا) للتوبيخ والتنديم إن تلاها الفعل الماضي، وهي تُفيد التحضيض، ولا يليها إلا فعل ظاهر أو مقدر (٦)، وما جاء ظاهر من التّنزيل قوله تعالى: ﴿ لَّوَلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبِعَةِ شُهَدَاءً ﴾ ﴿ لَوَلا يليها إلا فعل شَهَدَاءً ﴾ ﴿ الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَيْهِ عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْ عَلَيْهِ عَلَى عَلَيْ

ومّمِا جاء في هذا المعنى من الشعر مع تقدير الفعل قول جرير: (°) تعدّونَ عَقُرَ النّيب أفضلَ مَجدِكم * بني ضوطري لـولا الكمِيّ المقنعا

والشّاهد فيه قوله: "لولا الكِميّ" ، حيث دخلت لولا ، وتلاها اسمٌ منصوبٌ (مفعول به) بفعل محذوف وهي -هُنا - تحضيضية، لا يليها إلا الفعل، وقد تلاها الاسم المنصوب، وقدر بعض النّحوبين الفعل المحذوف ب: (تبارزون أو تعدّون) (٧) ،

⁽١) ينظر: الكتاب: ١٢٩/٢، والمغنى بطبعة دار الطلائع: ٢٨٨/١، شرح الكافية: ٢٧١/٢.

⁽٢) ينظر: صحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج ، كتاب الطهارة، باب السواك ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط1 ، دار الحديث القاهرة ، 1412هـ 1991م ١٢٠/١ ، المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة 360هـ، بتحقيق وتخريج حمدي عبدالمجيد السلفي، بدون تاريخ ١١/٨٠ ، برواية عن ابن عباس: "لولا أن أشق على أمتي لجعلت عليهم السواك عند كل صلاة" كتاب الطهارة، باب السواك ، حديث رقم 1125، ينظر: شرح قطر الندي وبل الصدي، لابن هشام الأنصاري، بتحقيق محمد خيري طعمه الحلبي، ط 1 ، دار المعرفة، بيروت 1418هـ-1997م ، ص 211 ، وينظر مغنى اللبيب:

⁽٣) ينظر: الكتاب ٣/١١٥، ومغنى اللبيب ١/٢٨٩، وشرح ابن عقيل: ٣٦١/٢-363 والجني الدّاني: ص 606-605.

⁽٤) الآية (13) من سورة النور، وتمامها: ﴿ فَإِذْ لَمْ بَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَيَكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ ﴾

⁽٥) من بحر الطّويل، لجرير بن عطية في هُجاء الفرزدق وقومه ، ص 415.

⁽٦) ينظر مغنى اللبيب ٢٩٠/١ ، وشرح وابن عقيل 2/364 ، "ضوطري: القوم الذين لا يغنُون" والنيب : جمع ناب وهي الناقة المُسنة والكمي: الشجاع، ينظر ديوان جرير بتحقيق يوسف عيد ، ط1 ، دار الجيل بيروت، والرواية (أفضل سعيكم) و (هلا) بدلاً عن (لولا)، الديوان ص 415 .

⁽٧) ينظر: الخصائص ، طبعة الدكتور هداوي ٢/٥/١، وينظر شرح شواهد المُغنى 2/669، والمقاصد النّحوية على شرح شروح الألفيّة ص ٤٧٥/٤ ، والمُعجم المُفصل لشواهد النّحو الشّعريّة ١٠/١، ، ورصف المباني ص 293.

خلافاً لابن هشام الذي قدّره: أي: لولا عددتُم، وهي عنده تفيد التوبيخ على ترك عدّه في الماضي، وقد يريدون بالمضارع حكاية الحال فحسنٌ. (١)

وجاء قول ابن عصفور في بيت جرير: (أفضلُ مجدكمُ) نعتُ لـ (عقر النّيب) ، وعدّ: بمعنى حسب، كأنّه قال: تحسبون عقرَ النّيب الذي هو أفضل مجدِكُم مَمِا تفخرون به، وتقديره: "لولا تعقرون الكمِيّ فتعدّونه من مجدِكُم. (٢)

ويتضّح مَمِا تقدّم أنّ (لولا) يليها اسمٌ مرفوعٌ هو مبتدأ خبره محذوف وجوباً باختلاف النّحويين حول كونه كوناً مطلقاً أو مقيداً، ولا يُحذف إلا إذا دلّ عليه دليل، ووجد اللفظ الساد مسد الخبر، وهو جواب (لولا).

وباتفاق الجمهور لا يكون جواب (لولا) المحذوف، إلا كوناً مطلقاً ، فإن أُريد الكون المقيد جُعل مبتداً نحو: لولا قيامُ زيدٍ لأنّبتُك، ولا يجوز: لولا زيدٌ قائم، ولذلك لحّنوا المعرّى في قوله: (٣)

يَـذيبُ الرَّعبُ منـه كُـل عَضبِ * فلـولا الغِمـدُ يُمسِـكُهُ لسـالا(٤)

والشّاهد: إظهار الخبر بعد (لولا) والقياس حذفُه وُجُوباً ولُحن في ذلك المعرى، وخرجه بعضهم على أن (يُمسكِ ُهُ) حالٌ من الضمير المستكن في الخبر أي: (فلولاالغمد موجودٌ في حال كونه يمسكُه). (٥)

ويرى ابن عصفور أن الخبر الذي يجب حذفه هو خبر المبتدأ الواقع بعد (لولا) ولا يجوز ذكره لأن الكلام قد طال بالجواب، فالتزم فيه الحذف تخفيفاً، ولحنُوا المعرى لأنه ذكر الخبر بعد (لولا). (٦)

⁽۱) ينظر: مغنى اللبيب بطبعة دار الطلائع ٢٩٠/١، وشرح الأبيات المشكلة الإعراب المُسمى (إيضاح الشّعر) لأبي علي الفارسي، بتحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، دار العلوم والثقافة، بيروت 1407هـ 1987م، باب (من الحروف التي يُحذف بعدها الفعل وغيره)، ص 70.

⁽٢) ينظر شرح جمل الزّجّاجي، لابن عصفور، بتحقيق صاحب أبوخيام، ١/٣٠٨.

⁽٣) ينظر في شرح سقط الزند ، لأبي العلاء المعري، تحقيق أبي زكريا التبريزي وأبي محمد البطليوسي، وأبي الفضل الخوارزمي، دار الكتب، المكتبة العربية، القاهرة، 11366هـ - 1945م ، 1/104، الجني الداني ص 600 .

⁽٤) من بحر الوافر قالها أبوالعلاء المعرّى وهو يصف السيف.

⁽٥) ينظر: المقرب لابن عصفور ، ط 1 (ذكر الخبر إذا كان كوناً خاصاً أو عدم وجود دليل عليه إن حُذف) : 85-85-85 ، والمعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة: 85-85-85-85

⁽٦) ينظر شرح الجمل لابن عصفور: ١/٣٥٨-359.

وتأوّل بعضُهم أن (يُمسِكَهُ) حالٌ ورُدّ بأنّ الأخفش حكى عن العرب أنّهم لا يأتون بعد الاسم الواقع بعد (لولا) الامتناعيّة بالحال، كما لا يأتون بالخبر، وتأوّل بعضُهم على تقدير (أن) أي: فلولا الغِمدُ أن يمسَكَهُ، أي: لولا إمساكُه خلافاً (١) لابن مالك الذي رأى أن بيت المعرّى يجوز فيه إثبات الخبر وحذفه، لأنّه خبرٌ مقيدٌ وله دليلٌ يدلُ على حذفه. (١)

وجاء قوله ﷺ بخبر (لولا) كوناً مقيدًا ولا دليل عليه، فجاء مُثبتاً مخاطباً السيدة عائشة -رضي الله عنها-: "لولا قُومُكِ حديثو عهدٍ بكُفرٍ لبنيتُ الكعبة على قواعد إبراهيم". (٣)

واختلف الكوفيون بأنه لا يُرفع الاسم بعد (لولا قومُك) بالابتداء، فقال الكسائي: "هو مرفوعٌ بفعل محذوفِ يُقدر وتقديره: لولا وجُد، وقال بعضهم مرفوعٌ بالكسائي: الهو مناب (لو لم يُوجد) حكاه الفراء عن بعضهم، ورُدِّ^(٤) بأنه مرفوع به (لولا) لنيابتها مناب (لي الم يُوجد) حكاه الفراء عن بعضهم، ورُدِّ^(٤) بأنه مرفوع به (لولا) دون نيابة على رأي الكوفيين.

ولـ (لولا) الامتناعيّة حالة ثانية هي أن تكون حرف جرّ، وذلك إذا وليها الضمير المتصل الموضوع للنصب والجرّ كالياء في (لولاي) والكاف في (لولاك)، فالياء عند سيبويه هي في موضع جرّ؛ لأنّ الياء لا تنصب بغير اسمٍ ومعها نون الوقاية وُجوباً أو جوازاً، فيتعين كونها في موضع جرّ؛ لأنّها لا تجرَ إلا المُضمر (٥)،

⁽٢) ينظر: الجني الدّاني ص 600-601.

⁽٢) ينظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص 344 وينظر رأى مالك في شرح ابن عقيل على الألفيّة: ٢٣٣/١، وبنظر الاحتجاج بالشعر في اللغة ص ٢١٦.

⁽٣) ينظر: الحديث في صحيح البُخاري (كتاب العلم)، باب (من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه)، برواية: "يا عائشة لولا قومُك حديثٌ عهُدهُم (قال ابن الزبير: بكفر، لنقضتُ الكعبة وجعلتُ لها بابين باب يدخل الناس منه، وباب يخرجون منه نقله ابن الزبير ٢/١- 44.

⁽٤) ينظر: الجني الدّاني ص 603 ، ورصف المباني ص 295 ، وشرح ابن عقيل ٣٥٣/٢.

^(°) ينظر: الكتاب ٣٧٤/٢، والخصائص طبع دار هنداوي في (باب التطوع بما لا يلزم): ٥١/٢، وينظر شرح جمل الزّجاجي الكبير، لابن عصفور، ٣٨٤/١.

وجاء الأشموني بأنّ الأخفش عدّها حرف جر أو حرف شرط غير جازمٍ وياء (لولاي) عنده في محل رفع مبتدأ وخبره محذوف وُجوباً. (١) وذلك كقول يزيد بن الحكم: (٢) كم مَوطِن لولاي طِحْتُ كما هَوَى * بأجرام في من قُلةِ النيق مُنهوي(٢)

والشّاهد فيه: أتي بضمير الخفض بعد (لولا)، وهي من حروف الابتداء على رأى البصريّين، ووجه ذلك أن المبتدأ بعد (لولا) لا يُذكر خبره فأشبه المجرور في انفراده والأكثر أن يقال: لولا أنت. (٤)

وأنكر المبرّد (لولاي ولولاك)، وزعم أنه خطأ لم يأتِ عن ثقة، وهذا إنكارٌ لما روى عن العرب، وأجمعوا عليه، وخالفه الفراء وأئمة البصريّين والكوفيّين وعدّوا إنكاره هذيان. (٥)

⁽١) ينظر: شرح الأشموني، بإشراف إميل بديع يعقوب، ٦٤/٢.

⁽۲) هو يزيد بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبدالله بن دهمان الثقفي، شاعر عالي الطبقة من أعان العصر الأموي، من أهل الطائف سكن البصرة وولاهُ الحجاج كورة فارس، ثم عزله قبل أن يذهب إليها، كان أبي النفس شريفها توفى حوالي سنة 105ه. ينظر ترجمته في سمط اللآلي في شرح أمالي أبي علي القالي مص 238 وينظر تاريخ دمشق الكبير، للإمام المؤرخ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، بتحقيق أبي عبدالله على عاشور الجنوبي ، طدار إحياء التراث العربي 19/1.

⁽٣) من بحر الطّويل، طاح: يطوح ويطيحُ: بمعنى هلك والجملة وصف لموطن وهو موقفُ من مواقف الحرب، وقد سدت مسد جواب (لولا) أو الجملة الشرطية كلها في موقع الصفة ، هوي: سقط والإجرام جمع جرم بالكسر - وهو الجسد والقُلّة ما استدار من رأس الجبل، والنيق أعلاه وهوي وانهوي بمعنى. ينظر شرح أبيات سيبويه ٢٠٢/٢.

⁽٤) ينظر: هامش الكتاب: ٣٧٤/٢ ، وينظر الإعراب عن قواعد الإعراب ، لابن هشام الأنصاري، تحقيق ودراسة دكتور علي فودة نيل، ط1، عمادة وشئون المكتبات ، جامعة الرياض، 1401هـ 1981م، ص 57 - 58 ، ينظر مشكلة العامل النحوي، ونظرية الاقتضاء (الفصل الأول العامل النحوي والإعراب) لدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، حلب، 1422هـ 2001م ، ص 53 - 54. وينظر: الجني الدّاني ص 605 ، وينظر المعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة ٢/٠٦٠٠.

^(°) ينظر الكتاب ٣٧٤/٢ ، والخصائص ٥١/٢ ، والمقتضب: ٣٣/٣ ، وينظر العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبدربه ، الأندلسي ، المتوفى 328هـ، تحقيق محمد عبدالقادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، 430هـ - 2009م، ٢٨٨/٢.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) وفيها قول المفسرين إنّ (لولا) لا يجوز أن يأتي بعدها إلا الضمير المرفوع المنفصل، ولا يجوز أن يأتي بعدها المتصل في نحو: لولاي ولولاك، وأجاز ذلك سيبويه وذهب إلى أنه في موضع جرّ والظّاهر أنّه في موضع رفع كالضمير المنفصل. (٢)

ولم أجد في فصيح كلام العرب لولاي ولولاك إلا في الشّعر، بل لم يأت هذا في التنزيل الحكيم.

وبعدما تقدّم من أحوال (لولا) ومعانيها المختلفة يطيبُ المقام في فصيح الكلام أن أدلف إلى ما جاء في شعر أبي الطيّب من أحوال (لولا) بصورٍ شتّى. ومنها قوله: (٣)

لولا المشِّقةُ سادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ * الجُودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتَّالُ (٤)

لم يأت مُحقّق الفسر بشرح ابن جِنّي للبيت (٥)، ويأتي دور الشُراح فيقول المعرّى: "إنّ السّيادة لا تتمُّ إلا ببذلِ المال، ومخاطرة النفس، فالجودُ يؤدّى إلى الفقر،

⁽١) الآية (31) من سورة سبأ وهي: ﴿ وَلَوْ تَرَكَا إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَرَيِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾

⁽٢) ينظر: البحر المحيط ٢٨٢/٧ ، والبيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد ابن سعيد الأنباري، النّحوي، بتحقيق د. طه عبدالحميد طه، ومراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1400هـ – 1980م، ص 281، وينظر: ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، لعبداللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي، بتحقيق دكتور طارق الجنابي ، ط1، عالم الكتب، مطبعة النهضة العربية ، بيروت ، 1407هـ 1987م ، ص 65، وشرح كتاب سيبويه ١٥٢/٣.

⁽٣) من بحر البسيط بالدّيوان طبعة دار الجيل، ص 490، وينظر حصاد الهشيم لإبراهيم عبدالقادر المازني المطبعة العصرية القاهرة 1345هـ-1924م ص 146.

⁽٤) قالها أبوالطيّب يمدح أبا شجاع (فاتك المجنون عندما أوصله هدية من الفيوم إلى مصر معرضاً بكافور الذي منحه كلاماً سنة 348هـ) . ينظر المحصول الفكري للمتنبي، لدكتور سهيل عثمان، ومنى كنعان ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، بدون طبعة وتاريخ، وبسوريا عام 1389هـ – 1968م، ص 154.

^(°) ينظر: الفسر ٢٥١/٣ ، وينظر حصاد الهشيم، لإبراهيم عبدالقادر المازني، ط 6 ، المطبعة المصرية، القاهرة، 1924هـ-2003م ، ص 146.

والإقدام يؤدّى إلى العطب (الهلاك) ولولا مشقة هاتين الخُلتين لكان النّاسُ كُلّهُم سادة، واتفق اليازجي مع صاحبه (المعرّى) في إيراد المعنى. (١)

ومن شرحهما يتضحُ أنّ (لولا) في البيت امتناعيّة جاء بعدها المبتدأ (المشقّة) وخبرها محذوف أو جملة الجواب (ساد النّاسُ كُلّهُم)، سدّت مسدّ الخبر وهو محذوف وُجوباً.

وقول أبي الطيب بدخول (لولا) وبعده مصدر مؤوّل من (أنّ) ومعموليها في:

وأقُسِمُ لولا أنّ فِي كُل شعرةٍ * له ضيغماً قلنا له: أنتَ ضيغم

قال ابن جنّي: سُمّى الأسدّ ضيغماً لأنّه يضغم أو يعضُّ (٤)، واكتفى بذلك.

وأضاف المعرى أنه يريد: لا يُمكننا تشبيهه بالأسد؛ لأنّ كل شعرةٍ منه تقومُ مقام الأسد، فلولا هذا لقُلنا: إنّه الأسدُ وتبعه اليازجي مضيفاً: إنّه يزيد على الأسد شجاعةً بعدد شعره. (٥).

ومن شرحيهما يتأكد أن المصدر المؤوّل من (أنّ) واسمها وخبرها في محل رفع بالابتداء على رأى البصريّين، ولولا: امتناعية وذلك جاء في القرآن في قوله تعالى : ﴿ لَوَلاَ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۗ ﴾. (٦)

قال ابن جنّي: "... وإن شئت أضمرت المصدر لدلالة فعله عليه، فكأنّه قال لانخسف الانخساف بنا و (بنا) على هذا منصوبة الموضع لقيام غيرها وهو المصدر مقام الفاعل، وأضاف أبوحيّان: قراءة الأعمش: "لولا مَنَّ اللهُ" بحذف (أنْ) وهي

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ٢١٨/٤، والعرف الطيّب: ٣٧٢/٢.

⁽٢) من بحر الطّويل، ص 114 بالدّيوان ومثله قوله تعالى: ﴿ لَوْلاَ أَن مَّنَ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنا ۗ وَيُكاأَنُهُ لا يُفْلِحُ ٱلْكَفِرُونَ ﴾.

⁽٢) قالها أبوالطيّب يمدح عمر بن سليمان الشّرابي عندما تلى الفداء بين العرب والرُّوم.

⁽٣) ينظر: الفسر: ٩/٩/٣ ويشير المحقِّق د. رضا رجب إلى أن هذا البيت وثلاثة بعده (14-17) سقطت بشرحها من النسخة الأحمدية.

⁽٤) ينظر: معجز أحمد ٢/٥٥ والعرف الطيّب: ٢٥١/١.

⁽٥) الآية 82 من سورة القصص وتمامها ﴿ وَيَكَأَنَّهُ لَا يُقُلِحُ ٱلْكَنِفُرُونَ ﴾ .

مزادة ، وروى عنه (مَنُ الله) -بالرفع والإضافة- ومن رأيه الثاني في قراءة الأعمش يتضح رفع (مَنُ) بالابتداء بعد (لولا) وهذا رأي البصريين"(١).

وقول أبي الطيّب باستخدام (لولاه) مؤكداً سماعه عن العرب الذي يدرى كيف كانت ألسنتهم ولهجاتهم في: (٢)

إلى ذي شِيمةٍ شَعفت فوادِي * فلولا هُو لُقلت بها النّسيبا(")

يقول ابن جنّي: "الشِيمة: الخُلقُ ، وجمعُها: شيم: وهمزها بعضُ العرب فقال: شئمة، وشغفت: غلب على قلبي، حُبّها يُقال: شُغف الرّجُلُ فهُو مشغُوفٌ (٤)، ويقرأ قوله تعالى: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۚ ﴾ (٥) -بكسر الغين - (شغِفَها) في وزن (عَشِقَها) ومعناهما واحدٌ، وقد فسروه: بلغ حُبُه شِغاف قلبها (امرأة العزيز) والشغاف: وهو قميصُ القلب وغلافه (٢)، والوجه: (فلولا هُوّ) كقوله عز وجل: ﴿ لَوْلَا أَنتُمْ ﴾ (٧).

ويجوز: (لولاهُ) و (لولاك)^(^) ولو قال: (فلو لا هُو) بإسكان^(٩) وأضاف الشّراح قوله: أو يتحرك (هُوَّ) يقال: هوَ، وهُ، لجاز وهي أربع لغات.

وأضاف الشراح قولهم: "إنك امتطيت الخطوب حتى وصلت إلى ذي شيمةٍ كريمةٍ، فلولا مراقبته وجلالة قدره لنسبتُ بهذه الشيمة كما ينسب الشّاعر بالمرأة، أي: أخلاق الممدوح شغفته بحسُنها فلولا مهابته لتغزّل بها كما يتغزّل العاشق بمعشوقه. (١٠)

⁽١) ينظر المحتسب: ٢٠٠٠/٦-201، و البحر المحيط: ١٣٥/٧.

⁽٢) من بحر الوافر، ص 195 بالدّيوان.

⁽٣) قالها أبوالطيّب يمدح فيها على بن محمد بن سيار بن مكرم التميمي.

⁽٤) ينظر: الفسر: ٢٧٧/١ (أو أشار المحقق إلى سقوط البيت بشرحه من نسخة المعهد البريطاني وسقوط الشرح من النسخة المصرية).

⁽٥) الآية (30) من سورة يوسف.

⁽٦) ينظر: المحتسب: ٣٣٩/١، وينظر: البحر المحيط: ٣٠١/٥، وإملاء ما من به الرحمن ٩/٢، وإتحاف فضلاء البشر ص 264.

⁽٧) الآية (31) من (سورة سبأ سبق تخريجها ص ه ص 191).

⁽A) ينظر الكتاب: 2/374 وينظر: شرح قطر النّدي وبلّ الصدي ص 212 ، وارتشاف الضرب من لسان العرب: ٢٠٠/٢.

⁽٩) ينظر: المقاصد النّحويّة ٢/١٤١-442.

⁽١٠) ينظر: معجز أحمد: ٣٤٣/٢ والعرف الطيّب: ٣٧٩/٢.

وقال أبوالطيّب مستخدماً (لولا) وبعدها اسم مرفوع (مبتدأ) مضاف: (۱) ولصولا قُصدرةُ الخصلاّقِ قُلنصا * أعمداً كان خلقُك أم وفاقاً (۲) لم يُعلّق ابن جنّى على البيت والأحرى لم ينقل المحقق ذلك. (۳)

وأضاف الشّرّاح أنه يريد: لولا علمنا بقدرة الله -عز وجل- أي: لولا قدرة الله على أن يخلق ما يشاء، لشككنا هل أنت مخلوقٌ عن عمدٍ أم خلقت كذا اتفاقاً ؛ لأنّا لم نرَ مخلوقاً في كمالك. (٤)

وقال أبوالطيّب مستخدماً لفظ (لولاك) مخاطباً سيف الدّولة: (٥)

فلولاكَ لم تجر الدّماءُ ولا اللُّهي * ولم يكُ للدُّنيا ولا أهلها مَعنى (٦)

لم ينقل المحقق شرح ابن جنّي، وقال المعرّى: القياس (فلولا أنت)؛ لأنّ الاسم بعد (لولا) مبتدأ فإذا وقع الضمير بعدها يجب أن يكون ضمير رفع متصلاً ولكنّه أقام الضمير المجرور مقام المرفوع، ويُضيف لولا أنت لم يكن للدّنيا ولا أهلها معنًى، ويرى اليازجي: "لولاك لم يكن شجاعة ولا جود لأن الدّنيا إذا خلت من هذين ذهبت المحاسن والمساوئ سُدًى (٢).

⁽١) من بحر الوافر ، ص 292 بالدّيوان.

⁽٢) قالها أبوالطيّب يمدح سيف الدّولة وقد أمر له بغرس وجاريةٍ.

⁽٣) ينظر الفسر: ٤٨١/٢ ، (نقل المحقق تعليق الوحيد الأزدي: بأنّه لا شيء في هذا السؤال 0هُنا- فإنّه يتّجه على كُلّ محمودٍ مذموم سواءً أي لا طائل منه).

⁽٤) ينظر: معجز أحمد: ١٢٦/٣، والعرف الطيّب: ٦٢/٢.

⁽٥) من بحر الكامل ص 317 بالدّيوان.

⁽٦) أنشدها أبوالطيّب عندما عزم سيف الدّولة على لقاء الرّوم في السنبوس سنة 340هـ، وبلغه أن العدو بها في أربعة آلاف مقاتل، فتهيّبه أصحابه.

⁽٧) ينظر: الفسر: ٦٢٨/٣ ، معجز أحمد: 3/193، والعرف الطيّب: ٩٨/٢ ، وينظر رأي الرمّاني في الرمّاني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه ، لدكتور مازن المبارك ط1، مطبعة كلية الآداب ، جامعة دمشق، 1383هـ – 1962م، ص 318 – 319.

قال أبوعلي الفارسي: "وما كان شاذًا عن الاستعمال، مطرداً في القياس، أو غير ممتنع فيه: قولهم: "لولاك وإنما ذلك لأنّ الاسم لا يصاغ معرباً وإنما يستحق الإعراب بالعامل وأنشد بيت يزيد بن الحكم". (١)

وترى الباحثة أنه قد تمكن أبوالطيّب من الإيفاء بكلّ صُور أحوال (لولا) في الجملة العربية، ومعظمها غير متصلةٍ بالضمير.

⁽۱) ينظر: تحقيق (باب الشاذ من المسائل العسكريات)، للحسن بن أحمد بن عبدالغفار أبي علي الفارسي، بتحقيق إسماعيل أحمد عمايرة، راجعه د. نهاد موسى 1412هـ-1981م، ص 184 وينظر هامش 4 ص 190.

المطلب الثاني: واو (رُبّ) وعملها في الجرّ

اختلف النّحويّون في عمل (واو) رُبّ التي تعمل الخفض في النّكرة، فذهب الكوفيّون إلى أن هذه الواو هي التي تجرّ ما بعدها بنفسها، وذهب إلى ذلك أبوالعبّاس المبرّد من البصريّين. (١)

أما البصريّون فرأيهُم أن (رُبّ) تعمل الجرّ وهي مقدّرة (٢) بعد (الواو).

والكوفيون استدلُّوا بعمل (الواو) الجر، لأنّها نائبة عن (رُبّ) التي تعمل الخفض، فساووا (الواو) به (واو) القسم لأنّها لما نابت عن الباء عملت الخفض مثلها نحو قولك: ، "والله" وما يدلُّ على أنّها ليست عاطفة لأنّ حرف العطف لا يُبدأ به (٣)، وذلك في قول رؤبة: (٤)

وبلبدٍ عامية أعماؤه * كأنَ لونَ أرضِهِ سماؤُهُ (٥)

والشّاهَدُ فيه قوله: "...وبلدِ..." فإنّه يُريُد (ورُبّ بلدِ) وليست هذه الواو واو العطف، إذ لا معطوف عليه بُحكم أنّ هذا البيت أوّل الأرجوزة وجاءت الواو عاطفة (كل مقدّر) (٦)، وذلك قولهم بأنّ الواو غير عاملة؛ لأنّها لا تختصُ بدخولها على أحد

⁽۱) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٧٦/١ ، وشرح الأشموني: ٣٠٠/٢ ، وشرح الكافية للرضي الاستراباذي: ٣١٠/٢ .

⁽٢) ينظر الخصائص: 1/293، وينظرائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ص 145.

⁽٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٣٧٧.

⁽٤) هو أبوالشعثاء، عبدالله بن رؤبة البصري الشاعر له ديوان يحوى الأراجيز، ولد 65ه وعاش بالبادية من بني تميم، كثرت في شعره الألفاظ المهجورة والنادرة، توفى 145هـ. ترجمته: في هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، وكالة مطبعة المعارف الجليلة، استانبول. مكتبة المثني، بغداد 1372هـ-1951م، ١٧١/١، وينظر المؤتلف والمختلف، للآمدي: ص 121-122.

^(°) من بحر الرجز. الأعماء هي: المجاهل، جمع عمّي على وزن فتّي، وقوله: عامية أعماؤه أي: أن مجاهله متناهيةً في العمي وهو باب من المبالغة مثل قولهم: ليلُ أليل ولائل، وشعرُ شاعرُ، كأنّهم لم يجدوا ما يصفونه به إلا أن يشتقوا له وصفاً من لفظه، وكأن رؤبة قال: أعماؤه عامية، فقدّم وأخرّ وقوله: كأنّ لون أرضه سماؤه" من المقلوب وأصله: "كأن لون سمائه أرضه (يصف نفسه بركوب الأخطار وقطع المفاوز والقفار الصحّاري) إشعاراً بشهامته وشجاعته، وينظرضرائرالشعرلابن عصفورص٢٦٨

⁽٦) ينظر ديوان رؤبة بن العجاج: أبيات مفردات منسوبة إليه بتصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، وينظر شواهد المغنى ٢/ ٩٧١ ، وينظر لسان العرب مادة (عمي) ٩٨/٥ ، وينظر مغنى اللبيب شاهد رقم 940 ، بطبعة دار الطلائع ٢/ ٣٥١ ، وينظر شرح شذور الذهب:ص 414 ، و المقاصد التحوية: ٤/٥٥٧، وينظر المعجم المفصل لشواهد التّحو الشّعريّة: ٣/ ١١٠١ (والتقدير رب بلدٍ طامس أعلامه).

المعمولين (الاسم أو الفعل)؛ لذلك بطل قولهم -عند البصريين- أنها تعمل الجرّ، وإن العمل له (رُبُ) مقدرةً ، واستدلوا بأنّه قد جاء عن العرب الجرّ بإضمار (رُبّ) من غير عوض عنها (واو) نحو قول الشّاعر: (١)

رَسْم دِارِ وقفتُ في طلَلِه * كِدْتُ أقضِى الحياةَ مِن جلَلِهُ (٢)

والشّاهد فيه قوله: "رسم دارٍ" حيث جر بـ (رُبّ) محذوفةً ولم يتقدمها الواو ولا غيره (٣)، وهذا شاذٌ في أشعارهم لقول ابن مالك: (٤)

وحُدِفَتْ (رُبّ) فجررت بعد (بل) * والفا وبَ عد الواوِ شاعَ ذا العمل

وتكون هذه الأحرف التي ذكرها ابن مالك عوضاً عن (رُبّ) المحذوفة وليست نائبة عنها^(١)، وشاع الجرّب (رُبّ) محذوفة بعد الواو في الشّعر فقط.

وأكد ابن الأنباري أنّ ما ذهب إليه الكوفيوّن من الجرّ بواو (رُبّ) غير صحيح ما جاء عنهم من الجرّ بتقدير رب بعد (بل) والفاء وذلك كقول امرئ القيس:(٧)

فَمِثلِك حُبلي قد طرقتُ ومُرضِعٍ * فألهيتُها عَن ذي تمائم مُحِولِ (^)

⁽۱) من بحر الطويل لجميل بن معمر العّذرِي بديوانه عن دار صادر، بيروت، 1386هـ 1966 ، ص 105 (وجاء في هامشه من جلله أي: من أجله) .

⁽٢) ينظر: الخصائص: ٢٩٣/١ ، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٧٨/١ ، ومغنى اللبيب طبعة دار الطلائع الخالف 181 ، و الجني الدّاني ص 455.

⁽٣) من الحروف التي تعمل (رُبّ) -بعدها مقدّرة- الجرّ وهما الفاء وبل.

⁽٤) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك (باب حروف الجرّ) ٣٥/٢.

⁽٥) يريد ابن مالك أنّه: لا يجوز حذف حرف الجرّ، وإبقاء عمله إلا في (رُبّ) بعد الواو خاصّة.

⁽٦) ينظر شرح ابن عقيل: ٣٧/٢ ، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٧٨/١ ، وينظر موسوعة الحروف في اللغة العربية ، لإميل بديع يعقوب ، دار الجيل ، بيروت ، (باب حذف حرف الجر) ص 229.

⁽٧) ينظر ديوان امرئ القيس ص 120 ، وجاءت رواية عجز البيت (فألهبتُها عن ذي تمائم مُغيلِ).

⁽A) من بحر الطّويل: ينظر البيت في مُغنى اللبيب طبعة دار الطلائع ١٥٦/١ شاهد رقم 211 ، وينظر شرح الأشموني ٢٩٩/٢ ، وشرح أبيات سيبويه ٤٥٠/١ ، والمقاصد النّحويّة: ٣٣٦/٣.

والشّاهد فيه قوله: "فمِثَلِكَ" حيث جرّ (مِثَك) بـ (رُبّ) محذوفةً بعد الفاء وهذا كثيرٌ عندهم، وقد أنشد سيبويه: أي رُبّ مِثْلِك بتقدير الجر بـ (رُبّ) وقال: "من العرب من يجعله مفعولاً مقدماً على عامله وهو (طرقتً).(١)

وابن الأنباري يذهب إلى أنّ هذه الحروف ليست نائبةً عن (رُبّ) ولا عوضاً عنها؛ لأنّه يحسُن ظهورها معها، ومايجوز ذلك؛ لأنّه لا يجوز أن يجمع بين العِوض والمُعوّض. (٢)

ومن شواهد ابن مالك في الجرّب (رُبّ) محذوفةً بعد (بل) وهو قليلٌ كقول رؤبة بن العّجاج: (٣)

بل بلدٍ مِل الفِجاج قتَمُ * لا يُشترى كَتانُه وجَهْرَمُ هُ (٤)

والشّاهد في قوله: (بل بلدٍ) حيث جرّ (بلد) بـ (رُبّ) محذوفةً بعد (بل) وهذا قليلٌ في كلامهم، والتقدير: (بل رب بلدٍ)، وزعم بعضهم أنّ (بل) إذا تلاهما مفرد فهي عاطفةٌ، وإن تقدمها نفي أو نهيٌ فهي لتقرير ما قبلها على حالته، وأجاز المبرّد أن تكون (بل) ناقلة معنى النفي والنهي إلى ما بعدها، فيصحّ:ما زيدٌ قائماً بل قاعداً، وبل قاعدٌ، ومنع الكوفيون أن يُعطف بها بعد غير النفي وشبههه. (٥)

وابن مالك أتى بالإعراب على أنّ (بل) حرف "دالٌ" على الإضراب والانتقال، و (بلد) مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحلّ بحركة حرف الجرّ الشبيه بالزائد وهو (رُبّ) المحذوفة بعد (بل). (٢)

⁽۱) وذلك في غير هذا الشاهد. ينظر الكتاب، طبعة النجار ٢٩٤/١ ، وينظر مغنى اللبيب طبعة دار الجيل ١/٣٣ شاهد رقم 166 ، شرح شواهد المغنى ٣٤٧/١ ، وشرح الأشموني ٢٩٩/١ (وهو يصف نفسه بالقدرة على الأسفار، وتحمل المشاق والصعوبات ويُشير إلى أنّ ناقته قوية على قطع الطرق الوعرةوالمسالك الصعبة، جهرمية: (بياء شبه مشدّدة) نسبة إلى جهرم وهو بلدُ بفارس ، فحذف ياء النسب وينظرالمعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة: ٢٥٥/١ ، وينظر شرح ابن عقيل: ٣٦/٣، والمقاصد النّحويّة ٣٣٥/٣.

⁽٢) وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٨١/١ ، وشرح ابن عقيل ٣٦/٢.

⁽٣) ينظر شرح ابن عقيل ، شاهد رقم 219 ٣٦/٢ ، وينظر رصف المباني ص 156.

⁽٤) من بحر الرجز ، جاء البيت رقم 33 في قصيدة يمدح فيها أبالعباس السفاح والرواية بالديوان، ص 150 واعتل أديان الصبا ودمه * بل بلدٍ ملء الفجاج قتمه واعتل أديان الصبا ودمه *

⁽٥) ينظر مغنى اللبيب: ١٣٣/١ ، وشرح ابن عقيل ٣٦/٢ والمعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة ٣٦١/٣.

⁽٦) ينظر: شرح شواهد المغني ، وشرح ابن عقيل هامش ٣٦/٢-37.

وترى الباحثة أن الجرّب (رُبّ) محذوفة بعد الواو واردٌ كثيراً في الشعر وذلك كقول امرئ القيس: (١)

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدوله * على بأنواع الهُمُوم ليبتلي (٢)

والشّاهد قولهُ: (وليلٍ)، حيث جرّ قوله (ليلٍ) بـ (رُبّ) المحذوفة بعد (الواو) وهذا كثيرٌ في كلامهم؛ لذا أكثر أبوالطيّب من استخدام (رُبّ) محذوفة بعدها الواو.

وكما اعتاد أبوالطيّب أن يُرينا إلمامه بكلام العرب، وأساليبهم نراه يأتي بما أباحه له القياس، ولاسيّما الضرورة الشعرية، مما كثر استعماله في الشعر، فنذهب لما قاله من أشعار مستخدماً (رُبّ) محذوفة في جرّ النكرة التي بعدها، ومقدرة بعد الواو وهو كثيرٌ في الاستعمال.

قال أبوالطيّب: (٣)

ومهجِةٍ مُهجتي مِن هَمِّ صاحبِها * أدركتُها بجوادٍ ظهُرُه حَرَمُ (٤)

قال ابن جِنِّي: "رُبِّ إنسانٍ طلب نفسي كما طلبتُ نفسه، فأدركتُها على فرسٍ هذه حالُه وقوله: "ظهرُهُ حَرَمٌ" في آخر البيت كلامٌ في غاية الحُسن والعُذُوبةَ والشرف. (٥)

وأضاف الشّرّاح متفقين مع ابن جنّي: رُبّ نفسٍ كانت هِمتُها اتلاف نفسي فأدركتها بجوادٍ من ركبهُ أمن، لأنّه إذا طلب شيئاً لحقه، فلا يخاف أحداً كما لا يخاف سُكان الحرّم. (٦)

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

قال: "فهذا كلام بدويُّ، ولكن ظهرُهُ حرمُ رائعةُ لائقةُ بأهل زماننا". ينظر: السفر: ٣٧٨/٣.

⁽١) من بحر الطّويل، ص 18 بديوان امرئ القيس.

⁽٢) ينظر: شرح شذور الذهب، ص 415 ، وشرح الأشموني ٣٠٠/٢ ، وشرح ابن عقيل هامش 2/35 ، وينظر المقاصد النّحويّة 337-338 ، وينظر المعجم المُفصل اشواهد النّحو الشّعريّة: ٢/٣٢، وينظر الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ، تأليف الإمام محمود شكري الألوسي البغدادي ، شرحه محمد بهجت الأذي البغدادي، المكتبة العربية ، بغداد ، 1343ه- 1922م ، ص 122.

⁽٣) من بحر البسيط، بالدّيوان ص 332.

⁽٤) قالها أبوالطيّب مُعاتباً سيف الدّولة، في قصيدة مطلعُها: (واحر قلباه ممن قلبه شبم) لما جرى بينه وبين قومٍ في مجلسه وظن الحيف به والتحامل عليه، وفي رواية الدّيوان: المهجة: الرُّوح وهي مجرورة بـ"رُبّ" مقدرة، ومهجتي : مبتدأ لخبر محذوف، من متعلقة به، والجملة: نعت (مهجة) وأدركتُها جواب (رُبّ) ، وجملة (ظهرُهُ حرمُ) مبتدأ وخبر، وهي نعت لـ (جوادٍ) في محل جرِّ.

⁽٥) يقارن ابن جنّى هذا المعنى ببيت امرئ القيس في معلقته بقوله :

⁽٦) ينظر: معجز أحمد: ٣/٢٥٤ ، والعرف الطيّب: ١١٨/٢-121.

يقول طه حسين: "إنّه أجاد في هذه القصيدة فنياً، وألحّ في العِتاب على سيف الدّولة، حتّى كاد يبلغ الهجاء، وأسرف في المدح ليُصلح ما أفسده العتاب وكان يجرخ بيدٍ ويأسو بأخرى، ولم يقصر ذلك على ما بينه وبين سيف الدّولة -كما اقتضاه المقام- وإنّما تجاوزه إلى السُعاة والوُشاة والكائدين فصارحهم بالشرّ مرّة وعرض لهم مستنكراً مرة أخرى، فأرضى بها الفن ولكنّه قد أخطأ التوفيق لإرضاء سيف الدّولة، ولعلّه اغتاظ أكثر ولاسيّما حين أنذر بأنّه قد يرتجِلُ إلى مصر متحدّياً سيف الدّولة (۱) بعد عتابه ، مّمِا أثار مجلسه وحاشيته عليه وخرج وهو غير آمنٍ. (۲)

وقال أبوالطيب: (٣)

ومُتَّ قِ والسَّهُمُ مُرسِلةٌ * تَحيدُ عن حَابِضٍ إلى صَارِدِ (١)

يقول ابن جنّى شارحاً للمفردات، دون التعرّض للمعنى العام. (٥)

وأضاف الشّراح قول المعرّى: "رُبّ إنسانٍ يحذرُ ما لا يُصيب ويفرُ إلى ما فيه هلاكهُ"، ويُضيف اليازجي قوله: (مُتقِ) عطفاً على مجتهدٍ المجرور في البيت السابق^(۱) لهذا بـ (رُبّ)، وعندما انتقل إلى هذا قال: "ومتق يحاذِرُ إصابة السهام، فيحيد من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذُ فيه فيقتله. (٧)

وترى الباحثة أنّ المعنى سائغٌ، واردٌ في المثل: "يُؤتي الحَذِرُ من مأمِنهِ" (^)

⁽۱) بقوله: لإن تركنا ضميراً عن ميامينا * ليُحدثن لمن ودّعتهم ندمُ. ينظر: الفسر ٣٨٥/٣، ومعجز أحمد ١٢٣/٢، والعرف الطيّب ١٢٣/٢.

⁽٢) ينظر: مع المتنبّي، لطه حسين، ص 262-263.

⁽٣) من بحر المنسرح، ص 555 بالدّيوان.

⁽٤) قالها: أبوالطيّب يمدح عضْد الدّولة (أباشجاع) ويذكر هزيمة وهشوذان بن محمد الكردي بالطّرُم -بفتح ثم سكون- ناحية جبلية مشرفة على قزوين لا يوجد بها فرسخ واحد صحراء، معشبة كثيرة المياه وربّما سموها (الترم) هزم فيها وهشوذان ركن الدولة بن بويه، ينظر: الطرم الترم بمعجم البلدان: ٣٢/٤

^(°) يقول: يقال: "حبض السهمُ يحبض حبْضاً وحبَضاً وهو حابضٌ إذا وقع بين يدي الرامي لضعفه وقد أحبضه صاحبه ، وصرد السهمُ يصرُدُ صُروداً: إذا أنفذ من الرمية وأصردته إصراداً إذا أنفذ له (يشير المحقق د. رضا رجب إلى أن هذا الشرح سقط في جميع نُسخ الفسر الأخرى)، ينظر: الفسر: ١١٩٤/١.

⁽٦) وهو: والأمرُ الله رُبّ مجتهد * ما خاب إلا لأنّه جاهدُ

⁽٧) ينظر: معجز أحمد ٢٧٦/٤ ، والعرف الطيّب: ٢/٨٢٨.

⁽A) ينظر: موسوعة أمثال العرب ، لدكتور إميل بديع يعقوب، ط1، دار الجيل ، بيروت، 1415هـ 1994م، مراد موسوعة أمثال ، للشيخ أبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش ، ط1، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 1384هـ – 1964م ، (في المثل: يؤتى على يد الحريص) ٢٣٦/٢ .

وأبوالطيّب أتى بالبيت السابق بالهامش جارّاً (مجتهد) بـ (رُبّ) وعطف الذي يليه (ومتّقِ) مقدّراً (رُب) ودالاً عليها بالواو.

وقال أبوالطيّب: (١)

وطائرةٍ تتبعُها المنايا * على آثارها زَجِلُ الجناح(٢)

اكتفى ابن جنّي بقوله: "الزّجَلُ -بفتح الجيم- الذي يصوت بجناحه إذا طار والمصدر الزجل (بفتح الجيم)"(٢).

ويأتي دور المعرّى بعد أن اتفق مع ابن جنّي في معنى الزّجل يقول: "رُبّ قبحة أي حجلة" (٤) يطير خلفها بازٌ يريد صيدها، فكأنّ المنايا تطلبُها، ويقال: القبجُ: الخجلُ فارسي معرّب ، بالفارسية (كبُج) ، ويُضيف اليازجي: قوله: ورُبّ متقٍ يُحاذِرُ إصابة السهام فينفذ فيه (٥) سهمُ فيقتلهُ. (٦)

ومن شرحهم يتأكّد أنّ (رُبّ) عملت الجرّ ، وهي محذوفة بعد الواو على رأى البصريين وهذا كثيرٌ في شعرهم.

وقال أبوالطيّب يمدح أبا العشائر الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان: (٧)

وسوداءَ منظومٍ عليها لآليء * لها صورة البِطّيخ وهي مِن الندَ

(١) من بحر الوافر ص 246 بالدّيوان.

⁽٢) قالها عندما أرسل ابوالعشائر بازياً على حجلة فأخذها فوصفها أبوالطيب.

⁽٣) ينظر: الفسر: ١/٥٥٥.

⁽٤) هي طائر كالقطا على حجم الحمامة، أحمر المنقار والرّجلين، ويسمى دجاج البرّ. ينظر المُعرب من الكلام الأعجمي على حروف المُعجم لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر، الجواليقي المتوفى سنة 40 هـ المُعجم بتحقيق أحمد محمد شاكر، ط7 (باب القاف)، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1361هـ 1940م ص 59.

^(°) ينظر: معجز أحمد: ١٤/٢°.

⁽٦) ينظر: العرف الطيّب: ٢/٨٦٤.

⁽٧) من بحر الكامل، ص 240 بالدّيوان.

⁽٨) قالها أبوالطيّب يصف بطيخةً من ندٍّ في وعاءِ من خيزران وهي تدور وعليها قلادة لؤلؤٍ في مجلس أبي العشائر حينما دخل عليه ووجده على الشراب وهي في يده.

لم يأتٍ المُحقّق بشرح ابن جنّي. (١)

ويأتي قول المعرّى: الواو بمعنى (رُبّ): أي أنّها في صورة البطيخ لكنّها من النّد، وقال مُحقّق العرف الطيّب: إنها بطيخة أثبت لها النبت على سبيل التّرشيح^(۲)، إلا أنّه جعل نبتها بنارٍ في يدٍ؛ لأنها أديرت في يد صانعها حتى تم صنعتها. (۳) مرتضح من قول المُحقّة تناقضً ماضح لأنّ المحرّى حاء بالماه بمعنى (دُنّ)

ويتضح من قول المُحقِّق تناقضٌ واضحٌ؛ لأنّ المعرّى جاء بالواو بمعنى (رُبّ) أي الجر برُب مقدرة بعد (الواو).

وقال أبوالطيب: (٤)

ومنزل ليس لنا بمنزل * ولا لغير الغادياتِ الهُطلِ (٥)

قال ابن جنّي: "هي قصيدة طويلة مشهورة في شعره، فأسرع فيها العمل ولا يستوقف فكره ولا يُتعتع خاطره، وأتي فيها بتوضيح المعنى قائلاً: قيل لأعرابية ما أحسنُ شيءٍ؟ فقالت: غادية في إثر سارية في نبخاء قاوية". (٦)

⁽۱) ينظر: الفسر ۱۰۰۰/۱ (وجاء قول المُحقّق في الهامش: أن هذا البيت والذي يليه سقطاً من نسخة المعهد البريطاني)، وجاءت رواية صدر البيت بالكسر (سوداء) في الدّيوان، والفسر على شرح ابن جنّي أما المعرّى والعكبري والواحدي جاءت (سوداء) –بالرّفع – ينظر: التبيان: ۱۸/۲، وشرح الواحدي ص354.

⁽٢) هو أن أصله من المجاز: ترشيح الظبية ولدها: تعوده المشي فترشح، وقد أرشحتُه كما يقال رشح النبات وترشّح للخلافة، ورشّحت القرية بالماء لقولهم: كُل إناء يرشّحُ بما فيه. ينظر معجم أساس البلاغة، ط 1 ص 232.

⁽٣) ينظر: معجز أحمد: 2/496 ، والعرف الطيّب: ١/٤٤٦.

⁽٤) من بحر الرجز، ص 130 بالدّيوان، وينظر البيت بديوان الأدب، لأبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي المتوفى 350هـ، تحقيق دكتور أحمد مختار عمر، ومراجعة دكتور إبراهيم أنيس، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1395هـ 1975م (وعجز البيت: أخب بهن المخلفان فأحفدا، ونسب للراعي النميري، ولم تجده الباحثة في ديوانه بشرح دكتور نوري حمودي القيسي (في قافية الدال)، وهذه دعوى من محقق الفسر بأن هذا البيت صدره للراعي النميري. ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط2، دار الجيل، 1401هـ 1989م، ٢٨٩/٢.

^(°) قالها أبوالطيّب وقد حضر عند أبي علي الأوراجي، ووصف له كلباً طارد به ظبياً ، استحسن صيده، فطلب منه في الحين أن يذكره وحكّمه في الوزن والقافية، فقال له: الأمر فيهما عليك فقاطعه أبوالطيّب وأنشده إيّاها.

⁽٦) ينظر: الخصائص: ٣٢٩/١، والفسر: ٣١٢/٣، وينظر: مجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى المتوفى 291هـ، شرح وتحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، 1369هـ- 1948م، ١٨٣/١ (وروبت نفخاء رابية).روى ذلك محقق الفسر عن ابن الإعرابي ١٨٣/١.

وجاء قول المعرّى: رُبّ منزلٍ ليس بمنزل الأنس، وإنّما هو منزل السحاب التي تصبُّ الأمطار، وأضاف اليازجي يريد: أن هذا المكان روضةٌ لا يحلُ بها غير المطر (۱) ، وأورد ابن رشيق أنه عندما سئل أبا الطيب عن الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ ، فلم يلق واحدٌ منهما صاحبه ولم يسمع شعره، فرد أبوالطيب بأن الشعر جادة وربما وقع الحافر على الحافر (۱) . وبذا فإنه بريء من سرقة اللفظ أو المعنى.

وقال أبوالطيّب يمدح فيها أبا محمد الحسن بن عبيدالله بن طُغُجّ: (٣) ووقتٍ وفي بالدّهر لي عند واحدٍ * وفي ليي بأهْلَيه وزاد كثيرا(٤)

لم ينقُل المُحقِّق شرح ابن جنّي وربما تغافل ابن جنّي عن شرحه (٥)، ويقول المعرّى: "رُبّ وقت اجتمع لي فيه من اللذات والسُّرور مثل ما في جميع الدهر عند فردٍ في عصره، وهذا الواحدُ اجتمع له من الفضائل مثل ما في جميع الخلق، بل زاد كثيراً ، وجاء اليازجي متفقاً في المعنى مع صاحبه المعرّى. (٦)

وقال أبوالطيب: ^(٧)

وأخٍ لنا بعثَ الطّلقَ ألِيّةً * لأُعلّن بهذه الخُرطُ وم (^)

اكتفى ابن جنّي بأنّ الخرطوم اسم الخمر ،كقوله تعالى: ﴿ سَنَسِمُهُ,عَلَى الْخَرَطُومِ ﴾ أي: على شرب الخمر (١٠).

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ١٠٣/٢ ، والعرف الطيّب: ٢٧٥/١، وينظرالعمدة ٢٨٩/٢.

⁽٢) ينظر العمدة ٢/٢٨٩.

⁽٣) من بحر الوافر ص 215 بالدّيوان.

⁽٤) يقول: إن وقتي عنده قد عادل الدهر كما عادل هو أهل الدّهر، وزاد كثيراً. ينظرالمصدرالسابق نفسه.

⁽٥) ينظر: الفسر: ٢/١٥ ورواية صدر البيت بالدّيوان ووقتٍ (عند سّيدٍ) بدلاً عن (واحد).

⁽٦) ينظر: معجز أحمد: ١١/٢ والعرف الطيّب 1/412 وشرح الواحدي ص 321 ، تأليف المعلم بالكلية البرلينية فريدرخ دير ، برلين بدون طبعة وتاريخ، ص 321–322.

⁽٧) من بحر الكامل، ص 26 بالدّيوان.

⁽A) قالها أبوالطيّب عندما حلف عليه صديقٌ بالطلاق أن يشرب الخمر، وجاء بالديوان (الأليّة) اليمين والتعليل (التلبية بالشيء)، الخرطوم الخمر السريعة الإسكار.

⁽٩) الآية 16 من سورة القلم.

⁽۱۰) ينظر الفسر ١٠٥٪.

وقال أبوحيّان: والحديث عن المخاطب هو التارك لآيات الله، الغافل عن الفكر الذي استولت عليه الدُّنيا، وذكر الله له ما يفعل به على سبيل التوعُد، والسمة: العلامة وقوله :سنسُمه على الخرطوم" هو غاية الإذلال والإهانة، إذ صار كالبهيمة لا يملك الرفع عن وسمه في الأنف، واختلف المفسرون في معنى الوسم بالآية، وذهب النضر بن شميل إلى تفسير الخرطوم بالخمر، وأن معناه سنحدّه على شربها، واختلفوا في استعارة الخرطوم مكان الأنف(١).

وأضاف المعرى قوله: لما حلف بالطلاق أن أشرب هذا الخمر، شربتُ غير آثِم، وجعلتٌ كفارة شُربي لها، ردّي عليه عرسه (امرأته)؛ كراهة أن يحنث في يمينه، وفسر اليازجي المفردات السابقة في شرح ابن جنّي، وأبي العلاء المعرى. (٢)

وشاهده جرّ (أخٍ) بـ (رُبّ) المحذوفة بعد الواو في قوله (وأخ) والتقدير ورُبّ أخ وهذا كثيرُ في كلامهم على مذهب البصريّين.

وقال أبوالطيّب يصف تلك اللُّعبة من النّدِّ: (٦)

وذاتِ غدائرٍ لا عيب فيها * سوى أنْ ليسَ تَصلُح للِعناق (٤)

قال المعرّى: لا عيب فيها إلا أنّها من خشِّب، لا تصلُح للمعانقة، وقُربها وبعدها عن غير قصدٍ منها، وأضاف اليازجي أنّ (الواو) واو (رُبّ). (٥)

ومّمِا تقدّم يتضح أنّ أبا الطيّب قد جاء في شعره بما هو مسموعٌ وكثيرٌ في كلامهم، وهو الجرّب (رُبّ) محذوفة بعد الواو.

⁽١) ينظر: البحر المحيط ١٨/٨.

⁽٢) معجز أحمد: ٩٩/١ ، والعرف الطيّب: ١٢٢/١.

⁽٣) من بحر الكامل ، ص 162 بالديوان.

⁽٤) شرح ابن جنّي الغدائر: الذوائب، وشرح اليازجي الغدائر جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر ينظر: الفسر: ٢/٤٥٥.

⁽٥) ينظر معجز أحمد: ٢١٧/٢ ، والعرف الطيّب: ٣٢٤/١.

المطلب الثالث: (مهما) أصلها وعملُها في الشّرط، وفي الظّرفيّة

وأصلُها عند بعضهم مركّبة من (ماما)، فأبدلت ألفها (هاءً) فصارت (مهما) ، وهي عند الجمهور اسم شرط جازم لفعلين (٢)، كما جاء ذلك عن ابن مالك في قوله:

واجزم بان ومن وما ومهما * أيِّ متى أيَّان أين إذ ما (٣)

وقال الخليل في (مهما): إنها (ما) ودخلت عليها (ما) لغواً كما تدخل في على (متى)، و (إنْ) و (أين)، لأنّهم استقبحوا أن يُكرّروا لفظاً واحداً، فيقولوا: "ماما"، ويجوز أن يكون (مه) ضُمّ إليها (ما)^(٤) خلافاً لابن هشام في المغنى. (٥)

ومن مجيئها للشرط قول زهير: (٦)

ومهما تكُنْ عند امريء من خليقة * وإن خالها تخفى على النّاس تعلم

وهي -هُنا- اسم شرط جزم فعلين: الأوّل (تكُنْ) والجواب (تُعلم)، وزعم ابن هشام أنّها -هُنا- حرف بمنزلة (إن) بدليل أنّها لا محل لها^(^)، وهذا رأى السهيلي^(٩)، (تكون بمعنى إنْ).

⁽١) ينظر: مغنى اللبيب (طبعة دار الطلائع ط1): ٣٤٢/١ ، وشرح ابن عقيل: ٣٣٦/٢ .

⁽٢) ينظر: شرح قطر الندي وبل الصدي ص 57.

⁽٣) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: ٢/٣٣٥.

⁽٤) ينظر: الكتاب: ٣/٥٥.

⁽٥) ينظر: مغنى اللبيب: ١/٣٤٣.

⁽٦) من بحر الطّويل، لزهير بن أبي سلمى بديوانه بتحقيق دكتور إحسان النص، دار الفكر، دمشق، ط 2 1405هـ- 1985م، ص 141.

⁽٧) قالوا فيها: مهما أي (ماما) استواء اللفظين، ولو خالها: لو ظنها والمعنى أن الرّجلُ يلبسُ رداء عمله ينظر شرح السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري، بتحقيق عبدالسلام محمد هارون، مصر الجديدة، 1382هـ – 1963م، ص 289، وأمالي ابن الشجري ٢٤٧/٢.

⁽A) ينظر مغنى اللبيب بطبعة دار الطلائع: ٣٤٣/١، وينظر بيت زهير بشرح جمل الزجاجي، لابن عصفور بتحقيق صاحب أبوجناح ٢٠٦/٢.

⁽٩) ينظر: نتائج الفكر في النحو: ص 75 ، والجني الدّاني ص 612.

ومما جاءت فيه (مهما) اسم شرط جازم قول الكميت بن ثعلبة: (۱) مهما تشا منه فزارة تُعطِكُم * ومهما تشا منه فزارة تمنعا(۲)

والشّاهد في قوله: "تُعطِكُم وتمنعا، حيث جاءا جوابي شرط لـ (مهما) في موضعين وقد دخلت (نون التوكيد) على الجواب الثّاني (تمنعا) وهو ليس من مواضعها؛ لأنّه خبرُ يجوز فيه الصدق والكذب^(٦). وأحسب أنّه محكومٌ بالقافية المطلقة في القصيدة حيث لم يجزم للضرورة (أي مثل هذا لا يؤكد).

وقد جاء عن بعضهم أنّ (مهما) تأتي ظرف زمان (٤)، وذلك في كلامهم مثل قول حاتم الطّائي: (٥)

وإنَّكُ مهما تُعطِ بطنَكَ سُولَهُ * وفَرْجَكَ نالا منتهى الذَّمّ أجمعا(٢)

والشّاهد فيه مجئ (مهما)، ظرف زمان، وقيل: يجوز أن تكون للمصدر أي: إعطاءً كثيراً ، أو قليلاً. (٧)

⁽۱) هو الكميت بن ثعلبة بن نوفل بن نضلة بن فقعس الأسدي، شاعر مخضرم، عاش في الجاهلية وأسلم في زمن النبي ، ولم يجتمع به وعُرف بالكميت الأكبر تمييزاً له عن حفيده (الكميت بن معروف)، وعن الكميت بن زيد وهما شاعران من بني أسد، وكان هو هجاءً مقذعاً. ترجمته في المؤتلف والمختلف ص 170 ، ومعجم الشعراء للمرزباني، ص 347 ، وينظر جمهرة أنساب العرب، لابن حزم ، بتحقيق عبدالسلام هارون، ط4، دار المعارف، مصر، 1382ه – 1963م ، (عرفه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب بالكميت الأوسط) ص 185 ، وينظر أمالي ابن الشجري ٢٤٧/٢.

⁽٢) ينظر البيت في المقاصد النّحويّة: ٤٠/٣٣٠، وشرح قطر الندى وبل الصدى ، لابن هشام، ص 31- 32، وارتشاف الضرب من لسان العرب ١٨٦٣/٤.

⁽٣) ينظر المعجم المفصل لشواهد النحو الشعرية: ١١/١٥.

⁽٤) ينظر مجيب الندا إلى شرح قطر الندي، لعبدالله بن أحمد المكي الفاكهي ص 59.

^(°) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج للطائي القحطاني، أمه عنبة بنت عفيف، من طئ، يُكنّي أباسفانة على ابنته البكر على عادة العرب وأبا عدي على ابنه، وهُما أسلما، تذكره كتب التراجم والأدب بالكرم، كان شاعراً جواداً، ترجمته بديوانه السابق، وتهذيب تاريخ دمشق الكبير، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، المتوفى سنة 571ه، هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بدران المتوفى 346هـ ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1407هـ 1987م، ٣/٤٢٤ –426.

⁽٦) من بحر الطويل: بديوانه، ط 2 ، دار الهلال، بيروت، 1406هـ- 1986م، ص 59 ، وينظر البحر المحيط: ٥١٤/٦.

⁽٧) ينظر: البيت في تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص 236، وشرح الأشموني ٥٨١/٣ ، وشرح شواهد المغني ٧٤٤/٢ ، والجني الدّاني، ص 610 .

ورأي الأخفش والزّجّاج والبغداديّين أنّ (مهما) مركبة من (مه) بمعنى اسكت و (ما)، الشرطيّة قالوا: وقد تستعمل (مَهُ) مع (مّنْ) التي هي للشّرط فيقال: (مهمن) خلافاً لقطرب الذي قال إنّها غير فصيحة، وقد أجاز ذلك سيبويه، وقوله يجوز أن يكون (مه) ضُمّ إليها (ما).(١)

ويُستفهم بها أحياناً ، وذلك كقول عمرو بن مِلقط: (٢)

مهما لِئِ الليلةَ مهما ليهُ؟ * أودى بِنَعلى وسِرباليَهُ(٢)

ويجوز أن يكون (مَهُ) من قوله: "مهما لي الليلة": اسم فعل أمر من قولهم: مَهُ أي: اسكت واكففُ عما أنت فيه من اللوم وشبهه، كأنه يُخاطب لائماً على ما رآه من الوله، ثم قال: مالي الليلة؟ تعظيماً للحال التي أصابته، والشدّة التي أدركته، ثم ذكر الأمر فقال: "أودي بنعلى وسرباليه"(٤)، كقوله تعالى: ﴿ هَلَكَ عَنِي سُلُطَنِيَهُ ﴾(٥).

وقول المفسرين فيها: "أي: حُجّتي، قاله ابن عباس ومجاهد، وعكرمة، والضّحاك وقال ابن زيد: "يقول ذلك ملوك الدّنيا، وكان عضد الدّولة بن بويه يسمى: بملك الأملاك غلاب الأقدار، ولم يَصلح، فجن فكان لا ينطلق لسانه إلا بقوله: (هلك عني سلطانيه) وتقرأ بهاء السكت، (الوقف على الهاء). (٦)

⁽۱) ينظر: الكتاب ٣٠/٣ ، والبيان والتبيين، لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبدالسلام محمد هـارون، ط 5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1405هـ – 1985م، ٣٠٨/٣، والجنبي الدّاني ص 610 ، وينظرالكشاف ٢٠٧/٢.

⁽٢) هوعمروبن نعامة بن غياث بن ملقط الطائي ، ترجمته :معجم الشعراء ص٢٣٥، والنوادر ص٢٦ .

⁽٣) من بحرالكامل ، ينظر ارتشاف الضرب: ٢/٨٥٥ ، ومغنى اللبيب (طبعة دار الطلائع): شاهد رقم 155 / ١٠٩ من بحرالكامل ، ينظر رأي الرضي في شرح الكافية ٢٥٣/٢ ، وينظرالكشاف ص٢/ ١٠٩ وأعراب ثلاثين سورة من القرآن ، للإمام عبدالله بن الحسين بن أحمد المعروف بابن خالويه ، المتوفى سنة ٣٧٠هـ ، طبعة جديدة منقحة ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص ١٦٤.

⁽٤) ينظر: النوادر في اللغة، لأبي سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ص 62، والمُعجم المُفصل شواهد النحو الشعرية ١٠٨١/٢-1082.

⁽٥) الآية (29) من سورة الحاقة.

⁽٦) ينظر البحر المحيط ٣٢٥/٨ ، والكشاف ١٥٣/٤، والسبع في القراءات ٣٠٧/١ ، وإتحاف فضلاء البشر صد 423 ، والنشر ١٤٢/٢ ، ومعجم القراءات القرآنية لدكتور أحمد مختار عمر وعبدالعال سالم مكرم، ط 3 ، ٥/١٨٨ - 189 ، والخصائص ٤٨٨/٢.

وصورة الاستفهام للتعظيم، ثُم يجئ ما يُحقِّق ذلك التعظيم بجملةٍ أخرى -بعد ذلك - من فصيح كلام العرب وبديعه كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَاقَةُ مَا ٱلْحَاقَةُ وَمَا آذَرَكَ مَا الْحَاقَةُ كَا أَنُودُ وَعَادُ إِلْقَارِعَةِ فَأَمَا ثَمُودُ فَأَهُلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ ﴾ (١).

ومّمِا جاء فيه عمل "مهما" في الشّرط من التّنزيل الحكيم قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْنِنَا بِهِ عِنْ ءَايَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحَنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥).

فواجه آل فرعون سيدنا موسى عليه السلام بهذا القول الدّال على أنه لو أتي بما أتي من الآيات، فإنهم لا يؤمنون بها، وأتوا بـ (مهما) التي تقتضي العُموم، ثم فسروا بـ (آية) على سبيل الاستهزاء في تسميتهم ذلك بآية فـ (مهما) مرتفع بالابتداء أو منتصب بإضمار فعلٍ يُفسره فعل الشّرط، فـ (مهما)، كلمة بسيطة غيرُ مركبةٍ من (مه) اسم الفعل و (ما) لأنّ أصلها (ماما) وهي ليست ظرفاً لئلا يفسد المعنى. (٦)

⁽١) الآيات (1-4) من سورة الحاقة.

⁽٢) ينظر: الخصائص: ٣٠٧/١ ، و أمالي ابن الشّجري ١٣٠/٣ ، والمقتضب ٢٧/٣ ، رصف المباني في حروف المعاني ص 97 وينظر: والجني الدّاني ص 659 .

⁽٣) الآيات (9-11) من سورة الضُّحي.

⁽٤) ينظر البحر المحيط: ٤٨٦/٨ ، والكشاف ٢٦٥/٤ ، والمقتضب: ٢٨/٢ .

⁽٥) الآية (132) من سورة الأعراف الآية (تتحدث عن آل فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام).

⁽٦) ينظر البحر المحيط: $7.4 \, \%$ ، والكشاف: $7.4 \, \%$

ومّمِا جاء في الشعر من (أمّأ) بمعنى (مهما)، ولكنها تفيد تفصيل ما أجمله المتكلم، قول الشّاعر: (١)

فأمّا تميمُ تميمُ بن مّرِّ * فألفاهُمُ القومُ رَوْبَي نياما (١)

وشاهده أنّه جاء بالاسم (تميمُ) بعد (أمّا) وحكمُه الرّفع على الابتداء، لأنّها لا تعمل شيئاً أي: لغواً، وهو قوله: "فأمّا تميمُ بنُ مُرّ ".(٣)

ومّمِا جاء عن ابن جنّي فيما وردت فيه (أمّا) واختُلف في ضبط الاسم بعدها قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثُمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ ﴾ (٤).

قال أبوحيان: "قرأ الجمهور "ثمودُ" بالرفع ممنوعاً من الصرف، وقرأه ابن وتّاب وللأعمش وبكر بن حبيب مصروفاً ، وقرئ "ثمودَ" —بالنصب – ممنوعاً من الصرف، وقرأ الحسن وابن أبي إسحق والأعمش "ثموداً" منونة منصوبة، والرّفع هي اللغة الكثيرة، و اختلفوا على النصب باختلاف". (٥)

وجاءت أمّا للتفصيل المجمل في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَفَّ وَرَجُّانُ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَكِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَدُ لَكَ مِنْ أَصْحَكِ ٱلْيَمِينِ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَكِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَدُ لَكَ مِنْ أَصْحَكِ ٱلْيَمِينِ وَأَمَّا إِن كَانَ مِن أَلْمُكَذِينَ ٱلضَّالِينَ فَنُزُلُ مِّن جَيمٍ وَتَصْلِيهُ جَعِيمٍ ﴾ (1).

⁽۱) هو بشر بن أبي خازم (عمرو بن عوف بن حميري بن ناشزة بن أسامة بن الحارث ، ينظر المسلسل في غريب لغة العرب، لأبي الطاهر يوسف بن عبدالله التميمي بتحقيق محمد عبدالواجد، مصر 1377هـ- 1957م.

⁽۲) من بحر المتقارب في ديوانه ص ١٩٠ و الكتاب: ٨٢/١ ، وشرح أبيات الكتاب ٢٨٠/١ أمالي ابن الشجري: ٣٤٣/٢ والمحتسب ١/١89 ، وينظر أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو عثمان بن الحاجب دراسة وتحقيق صالح سليمان قدارة، دار عمار، الأردن (عمّان) ، 1409هـ – 1989م، ٢٤٣١ (الرؤبي جمع روبان وهم الذين استثقلوا نوماً). ينظر : الأصمعيات، لأبي سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك الأصمعي، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هرون ، ط2، دار المعارف، مصر، 1385هـ الأصمعي، بنظر اللسان (روب)، ومفرد روبي رائب، وهو الهالك، والجمع هلكي (راب : ناب وأصاب) ، ينظر الكشاف: 4/59 والمقتضب: (جواب أما بالفاء سد مسد جواب إنْ) ٢٨/٢، وينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الأصفهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1382هـ 1961م ، ص 190.

⁽٣) ينظر: مختارات ابن الشجري ، ضبطها وشرحهامحمود حسن زناتي ، ط١، القاهرة، مطبعة الاعتماد ١٣٤٤، هـ- ١٩٤٥م ، ٢٤/٢ ، والأزهية ص 146، وشرح كتاب للسيرافي ، ٢/١/١ ، المعجم الشواهد للنحو الشّعريّة: ٢/٠٢٨.

⁽٤) الآية (17)من سورة فصلت وتمامها، ﴿ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَىٰ عَلَى الْهَدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْمُؤْنِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾

^(°) ينظر: البحر المحيط ٢٩١/٧ ، والكشَاف ٤٤٩/٣ ، ومعاني القرآن، لسعيد بن مسعدة البلخي المجاشعي الأخفش، بدراسة وتحقيق دكتور عبدالله بن محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت ط 1، 1405هـ 1984، ١٩٤١، ٢٤٩/١ .

⁽٦) الآيات (88-94) من سورة الواقعة.

وقول أبي حيّان: "قوله تعالى: "فروح وريحان و (فسلامٌ) نزّل الفاء جواب (أما)، وهي في تقدير الشّرط، وإذا اجتمع شرطان كان الجواب للأسبق منهما، وجواب الثاني محذوف، ولذلك كان فعل الشرط ماضي اللفظ مصحوباً بلم وأغنى عنه جواب (أما) وهذا مذهب سيبويه وجواب (أمّا)، محذوف وذهب أبوعلى الفارسي أن المذكور جواب (أمّا) وجواب (إن) محذوف، والأخفش أنه جوابهما معاً(١).

وهُناك موضعُ آخر استعملت فيه (مهما) مُركبةً من (أنْ) و (ما) بقولهم "أمَا" نحو: أمّا أنت مُنطلقاً انطلقتً معك، وهي من مسائل سيبويه، وأصلُها: (أن كنت مُنطلقاً)، فحذفوا (كان) وعوضوا منها (ما) وأدغمُوا نون (أن) في ميم (أما) ووضعوا (أنت) موضع التاء وأعملوا (كان) محذوفةً. (٢)

وموضع (أنْ) مع صلتها نصبٌ، لأنّه مفعولٌ به، وهذا مذهب الكوفيين، والتقدير: لأجل أن كُنتَ مُنطِلقاً انطلقتُ معك، وهذا رأى البصريّين أنّها للتعليل. (٣) وفي هذا يقول ابن مالك: (٤)

وبعد أنْ تعويضُ (ما) عنها أرتُكبِ * كِمَثلِ "أمَا أنت برّاً فَاقتربْ

والتقدير: أَنْ كُنتَ بَرّاً فاقترب، فُحذفت (كان) فانفصل الضمير المتصل بها وهو (التاء) فصار (أَنْ ما أنت برّاً)، ثم أُدغمت النون في الميم فصار "أمّا أنت برّاً"(٥) ومثله قول العباس بن مرداس: (٦)

أبا خراشة أمّا أنتّ ذا نفر * فإنّ قومي لم تأكُلْهُمُ الضَّبُعُ(١)

⁽۱) ينظر البحر المحيط ۲۱۰/۸ – 216 ، والكشاف ٥٩/٤ ، والمحتسب ٣٦٠/٢، وإتحاف فضلاء البشر ص 409 ، والنشر ٣٨٣/٢ ، وينظر: التنييل والتكميل في شرح التسهيل (تحت الطبع بالمملكة العربية السعودية بمخطوطة رقم 62).

⁽٢) ينظر: رصف المباني في حروف المعاني ص 99 ، وشرح ابن عقيل: ٢٧٥/١.

⁽٣) ينظر الكتاب: ٢٩٣/١.

⁽٤) ينظر: شرح ابن عقيل على الألفية ٢/٣٧١، ٢٧٥/٢.

^(°) ينظر شرح ابن عقيل (باب كان وأخواتها) مؤسسة الرسالة بيروت، ط1 ، 1412هـ-1991م ، الجبوري بتحقيق دكتور يحيى الطيب ص 126.

⁽٦) ينظر ديوان العباس بن مرداس السلمي، بتحقيق دكتور يحيى الطيب الجبوري ، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1412هـ - 1991م ، ص 106 ، وينظر أمالي ابن الشجري ٢/٣٥٠، والخصائص: (باب حذف الفعل) ١٥٧/٢، وشرح شذور الذهب ص 186.

والشّاهد فيه حذف الفعل، فصار تقديره: لأنْ أنت ذا نفرٍ، وكُرهت مباشرة (أن) الاسم فزيدت (ما) عوضاً من الفعل، ومصلحةً للفظ وهي: لأن كنت ذا نفرٍ، قوّيت وشُدّدت (٢)، ولام التعليل على رأى البصريّين تحذف مع الفعل ويعوض عنها (ما) لقوله تعالى: ﴿ أَن تَضِلَ إِحَدَنهُ مَا ﴾ (٣)، ولابن هشام في مغنيه اتفاقٌ معهم.

والفريقان متفقان على وُجوب حذف الفعل (كان)، والتي عُوّض عنها (ما) ودليل ذلك نصب (ذا نفر) خبراً لها، و تجئ الفاء بعد (أمّا) كثيراً. (٤)

وخلاصة المسألة في (أمّا) أنّ الكوفيين والبصريين متفقون على لزوم حذف الفعل بعد (أمّا) وأنّ (أنْ) تفيد التعليل وهي (لأن كنت) (٥) والكوفيوّن على أنّ (أنْ) حملاً على (إنْ) التى للمجازاة؛ لذا دخلت الفاء في جوابها.

يقول سيبويه: وإن كسرت (إن) أظهرتَ الفعل كقولك: "إن كنت منطلقاً انطلقت معك"(١) ، لأنها للجزاء.

وقد شاع استخدام (أمّا بعد) في افتتاح الرسائل والكتب ومعناه: مهما يكُن من شيءٍ بعد حمد الله، فنابت (أمّا) مناب أداة الشرط وفعله، ولكن لما تغير سياق الكلام خرجت عن محلها الفاء من ابتداء الجُملة وصارت الخبر، وهي تأخذ معنى ألا. (١)

⁽۱) من بحر البسيط ينظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، النيسابوري، المتوفى 429هـ، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ، ص 401 . وشرح شذور الذهب ص 242 ، وشرح قطر الندي ص 140 ، وشرح شواهد المُغنى ١١٦/١، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢١/١ ، والمقاصد النّحويّة ٢٥٥٠ ، والمعنى: أبوخراشة: كُنية لخفاف بن نُدبة أحد أغربة العرب، وقد أسلم وشهد مع رسول الله كنيناً ، وذا نفر: ذا رهطٍ كثير العدد، والضبع: حيوان ولكنه استُعير للسنة المجدبة، فهو يقول له: إن كنت تفخر بكثرة عدد قومك، فإنّه لا فخر لك؛ لأنّ قومي لم تكن قلتُهم بسبب موتهم من القحط والمجاعة.

⁽٢) ينظر رصف المباني في حروف المعاني ص 99 والأزهية ص 147 ، وشرح ابن عقيل ٢٧٤/١، والجني الدّاني ص 528.

⁽٣) الآيـة (282) من سورة البقرة وهـي ﴿ فَإِن لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُـلُّ وَأَمْرَأَتَكَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَ إِحْدَنَهُ مَا فَتُذَكِّرَ إِخْدَنَهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾.

⁽٤) ينظر: البحر المحيط ٣٤٤/٢ ، والكشاف ١٦٨/١ ، ومغني اللبيب ، طبعة دار الطلائع ١٧٥٠.

^(°) ينظر: الانتخاب كشف الأبيات المشكلة الإعراب، لعلي بن عدلان الموصلي، النحوي، المتوفى 666هـ، تحقيق دكتور حاتم صالح الضامن ، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ 1985م، ص58.

⁽٦) ينظر: الكتاب: ٢٩٤/١ ، والأزهية ص 156 والجنى الدّاني ص 223.

وجاء في المغنى أنّ (أمّا) -بالفتح والتّشديد- قد تبدل ميمُها الأولى ياءً؛ استثقالاً للتضعيف (الإدغام) كقول عمر بن أبي ربيعة: (٢)

رأتْ رُجلاً أيْما إذا الشّمسُ عارضتْ * فيضحى وأيْما بالعَشِعِيّ فيخصرُ (٣)

وشاهدُه أنّ (أيما) حرف شرط وتفصيل وتوكيد وشرطها للزُوم الفاء بعدها في الجواب، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَمُواْ فَيَعُرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَاذَا مَثَلًا ﴾ (أ).

قال فيها أبوحيّان: "تصدير الجملتين بـ (أما) التي معناها الشرط مُشعرٌ بالتوكيد، إذ هي أبلغ من (فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون) إذا تقرّر أن ما برز في حيز (أمّا) من الخبر كان واقعاً لا محالة، وما يفيد ذلك وغيره إلا ترتّب الحكم على معنى الشرط. (٥)

وقد تستعمل (مه) مع (من) للشرط فيقال: (مهمن) خلافاً لقطرب الذي يراها غير فصيحة. (٦)

ومن شعر أبي الطيّب ما جاء فيه بـ (مهما)، وهي تُفيد الشّرط قوله: (٧) مَهما يُعنزُ الفتي الأمير * فيلا بإقدامه ولا الجُودُ (٨)

قال ابن جنّي: "(مهما) الأصلُ فيها (ماما)، فأبدل إحدى الألفين هاءً يقول: إذا سلم إقدامه وجُودُه هان فقد ما سِواهُما" (١).

⁽١) ينظر: رصف المباني في حروف المعاني ص 98.

⁽۲) ينظر مغنى اللبيب طبعة دار الطلائع، ٧٨/١.

⁽٣) من بحر الطويل بديوانه بشرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بدون طبعة وبدون تاريخ، ص 194، (جاءت رواية الدّيوان بـ "أمّاً" في الموضعين بدلاً عن أيما). وينظر المعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة /جاءت رواية الدّيوان بـ "أمّاً" في الموضعين بدلاً عن أيما). وينظر المعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة /٢٤ ، ورصف المباني ص 99 ، والجني الدّاني ص 527 (والشاهد مجئ "أيما" والأصل (أمّا فأبدلت الميم الأولى ياءً).

⁽٤) الآية (26) من سورة البقرة .

⁽٥) ينظر: المحتسب ٢٨٤/١ ، والبحر المحيط: ١٢٤/١-125 ، وينظر: إملاء مامنّ به الرّحمن: ٢٦/١.

⁽٦) ينظر الكتاب ٤٣٣/١ ، و شرح السبع الجاهليات ص 45 ، وشرح الجمل لابن عصفور ١٩٩/٢ ، الجني الدّاني 613 .

⁽٧) من بحر الكامل ، ص 295 بالدّيوان.

⁽٨) قالها أبوالطيّب يمدح سيف الدّولة ويُرثى ابن عمه أبا وائل التغلبي، ابن داؤوود، سنة 338هـ.

وأضاف المُعرَى: (الأميرُ) رفعٌ لأنّه صفة (الفتي) وهو نائب فاعل له (يُعرُ) ومن رواها (يعِزُ) فالفتي فاعله و (الأمير) نصباً على المفعول به، والهاء في (به) تعود إلى (مهما) لأنّه اسمٌ موضوعٌ للشرط، ويجوز أن يكون دُعاءً والمعنى: مهما يُعز به بإقدامه وجوده، ويَضيف اليازجي مضّمناً في (مهما) معنى الشرط^(۱).

وقال أبوالطيب: (٣)

بما بجفنيك من سِحْرِ صِلى دَنِفا * يهوى الحياة وأمّا إنْ صددتَ فلل(٤)

قال ابن جنّي: "الفاء في (فلا) جواب (أمّا) لا جواب (إنْ)، فالجواب للسابق منهما كما جاء عن أبي حيّان. (٥)، وهو يقصد أنّ (أما) تفيد التّفصيل لما أجمل في الكلام. (٦)

ويُضيف المُعرَّى قوله: "بما بجفنيك" قسمٌ ، يقول: أي لحق ما بجفنيك من سحر صلى من تناهي في المرض؛ حُزناً على البعُد منك، فإنّه إنّما يهوى الحياة إن واصلتِ ، وإن لم تصلى فلا يهوى الحياة، فهو تبع مذهب أبي علي الفارسي في أنه: "إذا اجتمع شرطان (أمّا وإنْ) فالمذكور جواب "إنْ" وجواب "أمّا" محذوفٌ، و "يهوى الحياة": في موضع نصب، ويجوز في (يهوى) الجزم والرفع، فالجزم في جواب الطلب (صلى) والرّفع على الوصف من (دنِف) (٧) " وهو يتفق مع ابن جِنّي أنّ (فلا) جواب (إنْ) و (أمّا) تُفيد التفصيل.

⁽١) ينظر: الفسر: ١/٧٨٣-784.

⁽٢) ينظر: معجز احمد: ٣٤/٣ ، والعرف الطيّب: ٢٧/٦.

⁽٣) من بحر الكامل ص 17 بالدّيوان.

⁽٤) قالها أبوالطيّب يمدح سعيد بن عبدالله بن الحسن الكلابي في صباهُ.

⁽٥) ينظر تفسير أبي حيان لسورة الواقعة للآيات 88-94 هامش ٦ ص ٢٠٨.

⁽٦) ينظر الفسر: ٣/٦٠.

⁽٧) ينظر: معجز أحمد: 1/59، والعرف الطيّب: ١٠٩/١ ويذكر اليازجي أن الباء في (بما) للقسم و (مِن) -من بعده- بيانية أي: بالسحر الذي بجفنيك والدنف: الذي أثقله المرض.

ومن استخدام أبي الطيّب لـ"أمّا" في شعره: (١)

وأمّا الثّيابُ فتعرى من محاسنهِ * إذا نضاها ويُكسَى الحُسنَ عُريانا(٢)

واكتفى ابن جّني بتصريف الفِعل (كُسِى): يُكسى فهو كاسٍ إذا اكتسى. (٣) وشرحه بعده الشّرّاح بقولهم: إذا عرى هو من الثّياب، اكتسى حُسناً أكثر من لبسه إياها. (٤)

ومن شرحهم يتضح استخدام أبي الطيّب لـ (أمّأ) في البيت بمعنى الشرط والدّليل اتّصال الفاء في جواب الشرط في قوله: "فتعرى" وهو جملة فعليّة.

وللاختلاف الواقع حول استخدام (مهما وأمّا) في الشّرط وما فيهما من مفارقات بين النّحويّين، لم يأتِ منها أبوالطيب إلا باليسير في شعره.

⁽١) من بحر الخفيف، ص 181 بالدّيوان.

⁽٢) والمعنى بالدّيوان أي: إذا خلع ثيابه عربت من محاسنه، وإذا عرى منها بقى مكتسياً بالحُسن.

⁽٣) ينظر: الفسر: ٦٩/٣ ويُشير المُحقّق إلى سقوط هذا البيت ويتبين بعده من نسخة المعهد البريطاني للفسر.

⁽٤) ينظر: معجز أحمد: ٢٨٩/، ، والعرف الطيّب: ٣٥٦/١.

المطلب الرابع: جازم جواب الشرط

ذهب أكثر البصريّين إلى أنّ العامل في الفعل والجواب هو حرف الشّرط، وذهب بعضُهم إلى أنّ الحرف والفعل يعملان الجزم في الجواب، وبعض البصريّين يذهب إلى أنّ الحرف يعمل في فعل الشّرط، والفعل يعمل الجزم في الجواب، أما المازني فرأيه أنّ الجواب مبنيٌّ على الوقف، هذا خلافاً للكوفيّين الذين ذهبُوا إلى أنّ الجواب مجزومٌ على الجوار. (١)

تمسّك البصريوّن بأنّ العامل في الجواب هو حرف الشرّط، لأنّ الحرف يقتضى الجواب كما يقتضى فعل الشّرط فكما وجب أن يعمل في الفعل، فكذلك يجب أن يعمل في جواب الشّرط. (٢)

أمّا من ذهب منهم إلى أنّ حرف الشّرط وفعله يعملان في الجواب، فلا ينفك أحدُهما عن صاحبه، فلما اقتضياه معاً، وجب أن يعملا فيه، كما يعمل الابتداء والمبتدأ معاً في رفع الخبر^(٣)، ولكن هذا القول ضعيف ، وذلك لأنّ فعل الشّرط فعل والأصل في الفعل أن لا يعمل في الفعل. (٤)

ويرى ابن الأنباري أنّ (إنْ) هو العامل في جواب الشّرط بواسطة فعل الشّرط كما يحدُث التسخين بالنّار مع وجود الحطب لا به. (٥)

ومنهم من زعم أنّ فعل الشّرط يعمل في الجواب بعد جزمه بحرف الشّرط، فلا يستقيم؛ لأنّ حرف الشرط حرف جزم، والحروف الجازمة ضعيفة، فلا تعمل في شيئين، فوجب أن يكون العامل في الجواب فعل الشرط وحده. (٦)

⁽۱) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف (مسألة 84): ٢٠٢/٢ والمساعد في تسهيل الفوائد للإمام بهاء الدين بن عقيل، بتعليق دكتور محمد كامل بركات ، بدون طبعة وبدون تاريخ ، ١٥٣/٣.

⁽۲) ينظر: المصدر السابق نفسه ، وينظر ارتشاف الضرب: ۱۸۷۷/٤ وينظر شرح التسهيل ٣٩٧/٣ وشرح هامش ابن عقيل: ٣٩٦/٢.

⁽٣) وهذا مذهب الخليل. ينظر الكتاب: ٦٣/٣ ، والمقتضب ٧٣/٣.

⁽٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٠٨/٢ وينظر: شرح التسهيل ٣٩٧/٣، و شرح الكافية للرضي ٩٦/٤.

^(°) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٠٨/٢-609 ، شرح شذور الذهب ص 347 وارتشاف الضرب (°) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف 2/254 .

⁽٦) ينظر الأصول في النّحو لابن السّرّاج: 2/187 ، الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٠٨/٢، وينظر شرح التسهيل ٣٩٧/٣ ، وينظرا ئتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة ، ص 128.

وفيها يقول أبوحيّان: "قرأ الجمهور بالجرّ "والمشركين"، عطفاً على أهل الكتاب، وقرأ بعض القراء (والمشركون) رفعاً وعطفاً على (الذين كفروا).

والمشركون هم عبدة الأوثان من العرب، فقال ابن عباس: "أهل الكتاب هم النهود الذين كانوا بيثرب والمشركون هم الذين كانوا بمكة والمدينة وحولهما". (٣)

ووجه دليلهم أنّ قوله تعالى: "والمشركين" بالخفض على الجوار وإن كان معطوفاً على "الذين" وهو مرفوعٌ اسم "يكّنِ" ومثله كثيرٌ في القرآن.

أمّا الرّد عليهم بأنّ قوله تعالى: "والمشركين" لا حجة لهم فيها؛ لأن قوله تعالى: "والمشركين" ليس معطوفاً على "الذين" وإنما هو معطوف على قوله: "من أهل الكتاب" ، فهو معطوف على المجرور لا على الجوار. (٤)

أما المازني فقوله: الجواب مبني على الوقف خلافاً للبصريين والكوفيين، فحجته أنّ الفعل المضارع إنّما أُعرب لوقوعه موقع الاسم وجواب الشرط لا يقع موقع الاسم فوجب أن يكون مبنياً على أصله. (°)

⁽۱) ينظر: ارتشاف الضرب ١٥٤/٢ ، الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٠٢/٢ - 603 وشرح قطر الندي ابن هشام ص 79.

⁽٢) الآية (1) من سورة البينة.

⁽٣) ينظر: البحر المحيط: ٧٩٤/٨ ، وإملاء مامنّ به الرّحمن: ٢٩١/٢ ، وينظر المبحث الأول من هذا الفصل في المطلب السادس (الجر على الجوار) ص ١٠٨- ١١١.

⁽٤) ينظر: روح المعاني ٢٠٠/٣٠ ، ومشكل إعراب القرآن 2/381، السبعة في القراءات ص 693 ، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٠٩/٢.

⁽٥) ينظر: وينظر ارتشاف الضرب ١٥٣/٢ ، وشرح الكافية ٩٧/٤ ، وشرح التسهيل ٣٩٧/٣ والإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٠٢/٢ ، والمساعد في تسهيل الفوائد ١٥٣/٣.

وقوله فاسدٌ عند البصريين؛ لأنّ المضارع ينصب بأدوات النّصب، ويجزم بأدوات الجزم، وهذه لا يليها الاسم، ولو أعرب لوقوعه موقع الاسم لتلت هذه الأدوات. (١)

ويأتي الجواب في الشرط إمّا فعلاً ، وإمّا جملة، وقد تكون جملة الجواب فعلية أو اسمية، وإذا كان فعل الشّرط ماضياً كان في محل جزم، وذلك في قول ابن مالك: (٢)

فعلَيْن يقتضيين شرطٌ قُدِمًا * يتلُو الجَزاءُ وجَواباً وُسِمَا

وماض يينِ أو مُض ارعَيْنِ * تُلفِيهم ا - أو مُتَذ الفِينِ (٣)

وإذا كان الجواب فعلا مضارعاً تعيّن الجزم، ولا يرفع إلا لضرورة الشّعر، وذلك مثل قول زهير: (٤)

مَنْ يلقِ يوماً على علاته هرِما * يلقَ السّماحَة منه والنّدي خُلُقا(°)

وشاهده أن (مَنْ) اسم شرط جازم لفعلين مضارعين هُما (يلق) في الصدر والعجز (٦)، الأوّل فعلُ الشّرط، والثّاني جوابه وجزاؤه،وعلامة الجزم حذف الألف.

ويقصد ابن مالك: أنّه إذا كان الفعل في الشّرط ماضياً، والجواب مضارعاً يجوز جزمه ورفعه وكلاهُما حسنٌ، ومَمِا جاء في كلام العرب والجزاء مضارعاً مرفوعاً قول زهير: (٧)

وإن أتاهُ خليالٌ يصومَ مسألةٍ * يقولُ: لا غائِبٌ مالي ولا حرَمُ (^)

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٠٩/٢ "لأنه يعربُ بالنواصب والجوازم".

⁽۲) ینظر: شرح ابن عقیل: ۳٤٠/۲.

⁽٣) وهو يقصد فعل الشرط وجوابه وجزاءه.

⁽٤) البيت من بحر البسيط لزهير بن أبي سلمى بديوانه ص 53.

^(°) ينظر البيت في الإنصاف في مسائل الخلاف ١٠٣/١ والمقتضب ١٠٣/٤ وسر صناعة الإعراب: ٣٨١/٢. وينظر: المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم، للسكاكي، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المتوفى 793هـ، تحقيق دكتور عبدالحميد هنداوي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1428هـ- 2007م، ص 707.

⁽٦) من بحر البسيط بديوان زهير بن أبي سلمى المزني، المعجم المُفصل للشواهد النّحو الشّعريّة: ٥٨٦/٢ وينظر شرح ابن عقيل ٣٤٣/١ يقول والرّفع هُنا ضعيفٌ.

⁽٧) ينظر ديوان زهير بن ابي سلمى المزني، صنعة أبي العباس ثعلب ط1 القاهرة ص 145 وينظر شرح شذور الذهب ص 346.

⁽٨) والمعنى أي: إذا سُئل لم يتعلّل لصاحبه بأنّ ماله غائب، أو محرم على طُلابه ، وينظر شرح ابن الناظم ورقة ١٣٦.

والشاهد فيه قوله: "يقول" حيث جاء جواب الشرّط مضارعاً مرفوعاً، وفعل الشرط ماضياً وهو قوله: (أتاهُ) وذلك على إضمار الفاء عند الكوفيين والمبرد (۱)، أي: إن أتاهُ فيقول"، وهو عند سيبويه على التقديم والتأخير أي: يقول إن أتاهُ خليل يوم مسألةٍ لا...."، فيكون الجواب على هذا محذوفاً دلّ عليه ما ذكر (يقول) إن (۱)، و (إنْ) غير عاملة في البيت لديه. وترى الباحثة أن (إن) نافية للماضي بمعنى (ما) أي : ما أتاه .

وزعم بعضُهم أن الجواب يرتفع بنفسه جزاءً على إضمار مبتدأ، كقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِهِ عَ فَلَا يَخَافُ بَخَسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ (٣).

قال أبوحيّان:" "أي فهو لا يخاف، قرأ ابن وثّاب (ئ)، والأعمش والجمهور "فلا يخاف"، وخُرّجت قراءتهم على النّفي، وقيل: (الفاء) زائدة، و (لا) نفي وكان الجواب بالفاء أجود من المجئ بالفعل مجزوماً دون الفاء، لأنّه إذا كان بالفاء كان على إضمار مبتدأ أي: فهو لا يخاف، والجملة الاسميّة أدلٌ وآكد من الفعليّة على تحقيق مضمون الجملة". (٥)

وإذا كان الجوابُ جملة اسميّة (فعلها مضارع مجزوم)، تعيّن تقدير الفاء في جملة الجواب، لأنّ الأداة لا تباشر الجواب، وذلك في قول الشّاعر: (٦)
مَن يفعلِ الحسناتِ الله يشكُرُها * والشّرُ بالشرّ عند الله مِثلان(٧)

⁽۱) ينظر المقتضب: ٦٨/٢-70، وينظرشرح ابن الناظم في شرح ألفية ابن مالك ،نسخ محمد علي اكبرالخوانساري ، ١٢٧٤هـ ١٨٥٣م ، ورقة ١٣٦

⁽٢) ينظر الكتاب ٣/٦٦-67 ، والأصول ١٩٢/٢ وشرح الكافية ١١٨/٤.

⁽٣) الآية (13) من سورة الجِنِّ.

⁽٤) هو يحيى بن ثواب الأسدي ، مولاهم الكوفي ، تابعي ثقة، من العباد والأعلام ، روى عن ابن عمر وابن عباس ، هو أقدم قراء أهل الكوفة، مات سنة 103ه . ترجمته غاية النهاية ٣٨٠/٢.

⁽٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٠/٨ ، والكشاف ١٦٩/٤.

⁽٦) من بحر البسيط ، نسبه سيبويه لحسان بن ثابت (ولم أجده بديوانه).

⁽٧) روي عن الأصمعي أن النحويين غيروه، وروايته (من يفعل الخير فالرحمن يشكره) ينظر الخبر في نوادر أبي زيد ص 31 ، وروى القافية (سيان) بدلاً عن (مِثلان) وهي مثنى سيّ بمعنى مثل ،وفي ضرائرالشعر، لابن عصفورص ١٦٠ ، ونسب البيت لكعب ابن مالك في الخصائص ٦٨/٢.

والشّاهد فيه قوله: "من يفعل الحسنات الله يشكُرُها، حيثُ حذف الفاء الرابطة لجواب الشرّط والتّقدير: (فالله يشكرُها)، وهذا الحذف للضرورة الشّعريّة، وأجازه بعضُهم إذا عُلم المعنى. (١)

ومّمِا جاء الجواب فيه مرفوعاً واختلف في رفعه قول الشّاعر: (٢) يا أقرعُ ابن حابسِ يا اقرعُ * إنّك إن يُصرعُ أخوك تصرعُ عُ

والشّاهد فيه تقديم (تصرعُ) في النّية مع تضمنها للجواب في المعنى والتّقدير: إنك تُصرعُ إن يُصرعُ أخوكَ وهذا للضرورة؛ لأنّ حرف الشرط قد جزم الأوّل فحقُّه أن يجزم الآخر، وعند المبرّد على حذف الفاء. (٣)

واستشهد به سيبويه على تقديم الجواب وإن كان متأخراً لفظاً. وترى الباحثة أن الشّاعر اضطر الإقامة القافية المرفوعة .

وأمّا عند الرَضى فرفع الجواب لا يختصّ بالضرورة الشّعريّة (٤)، لأنه ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَيّنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ (٥).

قال ابن جِنّي: "...ومن ذلك قراءة طلحة (٦) بن سليمان ﴿ يُدْرِككُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ -برفع الكافين - وقال مجاهد: هذا مردودُ في العربيّة، وبابه الشّعر والضرورة - إلا

⁽۱) ينظر الكتاب ٢٥/٣ هامش 114 ، وسر صناعة الإعراب ٢٦٤/١ ، والمحتسب ١٩٣/١، وأمالي ابن الشجري ٨٤/١ ، والمقتضب 2/72، وشرح شواهد المغني ٢٨٦/١ ، وينظر : الجملة الشرطية عند النحاة العرب لأبي أوس إبراهيم الشمسان ، تقديم وإشراف محمود فهمي حجازي، ط1، مطابع كلية اللغات للآداب ، القاهرة، 1401هـ – 1981م ، ص 284 ، والمقاصد النّحويّة ٤٣٣/٤، المعجم المفصل للشواهد النّحويّة الشّعريّة: 1401هـ – 1017.

⁽٢) من بحر الرّجز، لجرير بن عبدالله البجلي في مناظرة بينه وبين خالد ابن أرطأة الكلبي، وبينهما الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي، -وكان عالماً في زمانه-(والبيت عند سيبويه من الخمسين المجهولين).

⁽٣) ينظر الخصائص ٦٨/٢ ، والكتاب ٦٧/٣ ، والأصول في النحو ١٩٢/٢ ، المقتضب ٧٠/٢ ، وأمالي ابن الشجري ٣٠/١، وشرح شذور الذهب ص 350، والمقاصد النّحويّة 4/430 .

⁽٤) ينظر: شرح الكافية (بإشراف إميل بديع يعقوب ط 1)، ١٥/٤ وهامش شرح ابن عقيل ٣٤٤/٢ وينظر المساعد في تسهيل الفوائد: ٣٠٠/٣.

⁽٥) الآيــة (78) من سُورة النسـاء وتمامها ﴿ وَلَوْكُنُمُ فِي مُرُوجٍ مُشَيّدَةً وَإِن ثَصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ. مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ. مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ. مِنْ عِندِ اللّهِ فَهُ ال هَوُلَاءَ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾.

⁽٦) هو طلحة بن سليمان السمان ، هو مقرئ مصدر ، أخذ القراءة – عرضاً – عن فياض بن غزوان ، عن طلحة بن مصرف ، وله شواذ تروى عنه ، روى عنه القراءة إسحاق بن سليمان (أخوه) وعبدالصمد بن عبدالعزيز الرازي . ترجمته غاية النهاية في طبقات القراء ، ٢٤١/١.

أنّه ليس مردوداً لأنّه قد جاء عنهم، ولو قال "مردودٌ" في القرآن لكان أصحّ ومعنى ذلك أنّه على حذف الفاء أي: فيدركُكُم(١) وهو شاذٌ.

و (أين)، للمكان ولكنّها ضُمّنت معنى الشرّط، و (ما) زائدة. (٢) وما جاء في شعر أبي الطيّب مستخدماً (من) والجواب مجرومٌ قوله: (٣) مَن تكنّ الأسدُ الضّواري جدودَهُ * يُكنْ ليله صبُحاً ومطعُمه غصباً

قال ابنُ جِنّي أي: تعود أكل لحوم النّاس، وقضاء مآربه وابتغاء مطالبه ليلاً؛ لأنّه لا يرتاع له كالنّهار، ويُضيف اليازجي: من كانت جدوده كالأسود كان هو كذلك وعاش لا يهاب المسير، ورزقه ما يغتصبّه من الأعداء. (٥)

وقد جاءت (من) اسم شرط جزم فعلين: فعله (تُكن) وجوابه (يُكن) وهذا على القياس؛ لأنهما مضارعان.

ومَمِا جاء فيه بفعلى الشرّط مضارعين مجزومين، قول أبي الطيّب: (١) من يبغ مِا أبغي مِن المجدِ والعُلا * تساق المحايي عنده والمَقاتِلُ(٧)

قال ابنُ جنّي: "المحايي: جمع المحيا وهو (مَفعَل)، من الحياة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاقِ وَنُشُكِى وَمَعَيَاى وَمَمَاقِ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَلَمِينَ ﴾ (^) و (تساو) أي: تتساوى، فحذف التاء الثّانية تخفيفاً، وحذف الألف التي هي لام الكلمة (الفعل) للجزم، لأنّه جواب الشرّط. (٩)

⁽١) ينظر المحتسب: ١/٥٩٥-296، والبحر المحيط: ٢٩٩/٢، واملاء ما منّ به الرّحمن: ١٨٧/١.

⁽٢) ينظر: شرح شذور الذهب ص 336.

⁽٣) من بحر الطّوبل ، ص 326 بالدّيوان.

⁽٤) قالها يمدح فيها سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش 341ه.

^(°) ينظر: الفسر 1/217 ، و (يشير المحقق إلى سقوط هذا البيت بشرحه من نسخة المعهد البريطاني)، وينظر العرف الطيّب: ١١١/٢.

⁽٦) من بحر الطويل ، ص 35 بالدّيوان.

⁽٧) قالها أبوالطيّب في صِباهُ.

⁽A) الآية (162) من سُورة الأنعام. ينظر البحر المحيط: ٢٦٢/٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ١/٩٥٤، وينظر السبعة في القراءات، لابن مجاهد ص 274، والنشر في القراءات العشر: ٢٦٧/٢.

⁽٩) ينظر: الفسر: ٨٠/٣ ، (يشير المحقق إلى تعليق الوحيد الأزدي: أما محيا فكثيرٌ معروفٌ ولكنّه جمعه على محايي على القياس ولم يجئ مجموعاً -هكذا- عن العرب).

وينقل الشّراح قوله أي: من طلب ما أطلب من الشرف والارتفاع، تساوت عنده مواضع الحياة والموت، ولا يُبالي بالقتل؛ لأنّ من طلب العظيم خاطر بالعظيم وأضاف اليازجي أن (تساو) أي (تتساو) وهو مجزوم لوقوعه جواباً لـ (مَن) ويجوز أن يكون ماضياً (تساوى) ، فيثبت آخره، ويكون في محلّ جزم. (١)

ويُضيف ابن هشام أن (مَنْ) وُضِعت للدّلالة على من يقول ثم ضمن معنى الشّرط. (٢)

وقد أكثر أبوالطيّب في شعره، فأتي بالجواب جملة فعليّة لتأكيد المعاني بطريقة أبلغ، وجاء بالفاء فيه لربط الجواب بشرطه، ومن هذه المواضع قوله: (٣) مَن يُنفِق السّاعاتِ في جِمع مالهِ * مخافة فقر فالذي فعلَ الفقرُ (٤)

قال ابنُ جنّي: قوله: ... أي: إنّما الفقرُ في الحقيقة أن تفني عُمرك في جمع المال؛ خوفاً من الفقر، لا خُلوّ يدك من المال(٥)، وأضاف الشّراح بأن ما يفعلُه الفقرُ؛ لأنّه أبداً في غمّ الفقر ويشقى بما يجمع ولا ينتفعُ به، فالذي فعله هو الفقرُ ورفع (الفقر) لأنّه خبر (الذي).(١)

وقال أبوالطيّب مستخدماً (إن) الشرّطيّة وفعلُها ماضٍ في محل جزم، والجواب جملة اسميّة تربطها الفاء بشرطها: (٧)

إِنْ كُنتَ عن خير الأنام سِائلا * فخير هُمُ أكثرُهُم فضائِلا (^)

⁽۱) ينظر: معجز أحمد: ١٢٨/١، والعرف الطيّب: ١٣٤/١، ويَضيف اليازجي أن المحايي والمقاتِل مصدران ميميّان بمعنى الحياة والقتل.

⁽٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٣١/٢ ، وشرح شذور الذهب ص 335 .

⁽٣) من بحر الطّويل ص 189 بالدّيوان.

⁽٤) قالها أبوالطيّب يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي.

⁽٥) ينظر الفسر ١٥١/٢ ، ومثله قول أبي الطيب : من يُهن يسهُل الهوانُ عليه * ما لجُرح بميت إيلامُ ينظر الفسر ٥٣٢/٣ ، ومعجز أحمد ٢٢٢/٢ ، والعرف الطيب ٣٢٦/١.

⁽٦) ينظر: معجز أحمد ٣٢٣/٢ ، والعرف الطيّب: ١/٣٧٠.

⁽٧) من بحر البسيط ، ص 348 بالدّيوان.

⁽٨) قالها أبوالطيب عندما جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل، فقال سيف الدّولة: ما تقول وما تحكم في هذا يا أبا الطيّب؟.

ولم ينقل المحقق شرح ابن جنّي، ويرى المعرّى: أنه يريد: إن كنت تسألُنِي عن خير النّاس، فإنّ خيرهُم من كانت فضائله أكثر، ثم مَنْ بعدُ؟، ونصب (فضائلاً) على التّمييز. (١)

والشرط بـ (إن) آكد وأقوى؛ لأنها أم الباب، أو أم أدوات الشرّط عند أكثر النّحويّين لأنّها وضعت للدّلالة على مجرّد تعليق الجواب على الشرّط. (٢)

وقال أبوالطيّب مستغلاً ضرورة الشّعر ، وجاء فيه بالجواب مضارعاً محتملاً الرفع والجزم، في قوله: (٣)

مَنْ يجعلِ الضرغِّامَ للصّيدِ بازَهُ * تُصيدَهُ الضّرِغامُ فِيما تصّيدا(٤)

قال ابنُ جنّي: "قُلتُ له وقتَ القراءة: ولم جعلت مَنْ شرطاً صريحاً؟ وهلا جعلتها بمنزلة الذي، وضمنت الصّلة معنى الشرّط حتى لا ترتكب الضرورة نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمُوالَهُم بِٱلَيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرَّا وَعَلانِيكَةً فَلَهُمُ أَجُرُهُمُ ﴾ (٥) فقال: هذا يرجعُ إلى معنى الشرّط والجزاء، وأنا جئتُ بلفظ الشرّط صريحاً لأنّه أبلغ وأوكد، وأوردتُ الفاء في "يُصيرُه" وحذفتها والذي قالهُ جائزُ ". (٦)

ويُضيف اليازجي: إنّه يروى برفع الجواب (يُصيّرُهُ) مرفوعاً بضرورة الوزن، فيكون على سلخ (من) عن الشرطيّة فيرفع الفعلان جميعاً أو على تقدير الفاء في الجواب فيبقى الشرّطُ على جزمه (وهو الوجه الذي حكاه ابن جنّي عن المتنبّي وهو: يصيرّه). (٧)

⁽١) ينظر: الفسر: ٨٣٤/٣ ، ومعجز أحمد: ٢٨٦/٣ ، والعرف الطيّب: ١٤٩/٢.

⁽٢) ينظر: شرح شذور الذهب ص 334.

⁽٣) من بحر الطّويل ص 372 بالدّيوان.

⁽٤) قالها ابوالطيّب وهو يمدحُ سيف الدّولة ويُهنئهُ بالعيد في ذي الحجة سنة 342ه.

^(°) الآية (274) من سورة البقرة وتمامها : ﴿ عِندَرَتِهِمْ وَلاَ خُوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ينظر البحر المحيط: ﴿ عِندَرَتِهِمْ وَلاَ خُوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ينظر البحر المحيط: ٣٣١/٢

⁽٦) ينظر: الفسر: ٨٢٩/١ هذا خلافاً لسيبويه الذي يعده من باب (التقديم والتأخير) ويشير المُحقِّق في هامش النسخة الأحمدية أنه أراد "إذا ما تصيده" ويمكن أن يجعل "مَن" بمعنى الذي".

⁽٧) ينظر: العرف الطيّب: ١٨٣/٢ والفسر الصغير لتفسير أبيات المعاني ، لابن جني ص 36 ، والنظام ٧). ٣٩٠/٦

واستخدم أبو الطيّب في شعره (إذا) في الشرّط تبعاً للكوفيّين الذين يجزمون بها قياساً على غيرها(١) ، خلافاً لابن السراج وذلك في قول أبي الطيب: (١) إذا ساءً فِعلُ المرء ساءت ظُنُونُه * وصدّق ما يعتادُهُ مِن توهم(٣)

لم ينقل المحقِق شرح ابن جنّي، ولكنّه أتي بقول الوحيد (أ)، ويرى المعرّى ... : أي: إذا أساء إنسانٌ إلى إنسانٍ ساء ظنّه به، وصدق توهمّه عليه، لأنّه يُظنّ أنّه حقدُ عليه، ففسدت نيّته لسوء ما انطوى عليه. (٥)

وأضاف اليازجي متفقاً مع المعرّى قائلاً: "ما يعتاده: "ما ينتابه، والعائد إلى (ما) الضمير المرفوع، فهي موصولة^(١). ولم يأت بالفاء في الجواب.

ويُلاحظ أن جواب الشّرط جملة فعليّة فعلُها ماضٍ، وذلك قليلٌ أن يُجازى بـ (إذا) ويختصّ ذلك بالشعر، حيث لم تجزم الجواب بل الجملة في محل جزم الجواب. وقال أبوالطيّب مستخدماً (إذا) في الشرّط وجوابها استفهام: (٧)

إذا أتتِ الإساءةُ من وضيعٍ * ولم ألم المُسِئ فَمنْ ألمومُ ؟(^)

لم يأت شرح ابن جنّي، وقال الشّراح: يقول معتذراً لنفسه في هجائه بأن الإساءة إذا أتت من وضيع لئيم اضطررت إلى لومه وإذا لم أوجه اللوم إليه فإلى من أُوجهه أَوجهه وقيل: هذا فيه تكلّف، كأنّ أبا الطيّب تملق لكافور ليُرضي سيف الدّولة بعد ذكره. (٩)

وقد وقعت جملة الاستفهام (فمن ألوم) جواباً للشّرط (إذا) متصلة بالفاء.

⁽١) ينظر: المساعد في تسهيل الفوائد: ٣/٥٥/٠.

⁽٢) من بحر الطّوبل، ص 459 بالدّيوان.

⁽٣) قالها أبوالطيب عندما قاد إليه كافوراً فرساً، وهو يُعرض بفراقه لسيف الدّولة سنة 347هـ.

⁽٤) ينظر: الفسر: ٥٨٣/٣ (ونقل المحقق في الهامش: قال الوحيد الأزدي: هذا هو المتنبّي، وذلك أنّه أساء فاستوحش).

⁽٥) ينظر: معجز أحمد: ٤/٥٧

⁽٦) ينظر: العرف الطيّب: ٣٢٤/٢.

⁽٧) من بحر الطويل ، ص 503 بالدّيوان ، وينظر الجملة الشرطية عند النحاة العرب ص 151.

⁽٨) قالها أبوالطيّب يهجو فيها كافور ، وهو يعتذرُ لنفسه من تكلفه هجاءه، أي: إذا أساء إلى حقير ولم ألمه فمن ألومُ؟.

⁽٩) ينظر: الفسر: ٣٠/٣ ، ومعجز أحمد: ١٦٤/٤ ، والعرف الطيّب: ٣٩٢/٢ ، وشرح الواحدي:ص 689.

وكثيراً ما يأتي أو يجتمع جوابان للشرط والقسم وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَإِن رَّجَعُنَاۤ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَ ۖ ٱلْأَعَنُ مِنْهَا ٱلْأَذَلَ ۚ ﴿ (١).

ويتضح أن اللام في (ليخرجن) دخلت في جواب القسم مؤكدة، وسد الجواب مسد جواب الشرط.

ورأي المفسرين فيها: قول أبي حيّان: "قرأ الجمهور: ليُخرجنّ الأعزُ منها الأذلّ، (فالأعز) فاعل و (الأذل) مفعول، وهو من كلام ابن سلول، ويعنى بالأعز نفسه وأصحابه، و (بالأذلّ) المؤمنين، وقراءة الحسن " ليخُرُجَنّ الأعزّ منها (الأذل)" بنون الجماعة مفتوحة وضمّ الرّاء، مع نصب الأعزّ على الاختصاص ونصب الأذلّ على الحال، وحكي هذه القراءة أبوحاتم والكسائي، ونقل الفراء أنّ قوماً قرأوا (ليخرُجنّ) بالياء وضم الرّاء وقرئت (ليُخرجَنّ) مبنيّاً للمفعول (والأعزُ) نائب فاعل و (الأذلّ) نصباً على الحال ، وهذا متأوّلٌ عند البصريّين (۱) ، والواضح أنّ اللام في (ليخرجنّ) في جواب القسم الذي سد مسد جواب الشرط. (۱)

وجاء من ذلك قول أبي الطيب: (٤)

لِئن تركنا ضُميراً (٥) عن ميامننا * ليَحُدثنّ لِمَنْ ودّعُتُهم نَدمُ (١)

⁽١) الآية (8) من سورة (المنافقون).

⁽٢) ينظر البحر المحيط: ٢٧٤/٨ وإملاء مامن به الرّحمن ٢٦٢/٢ ، وينظر الكشاف ١١١/٨ وإتحاف فضلاء البشر ص 417.

⁽٣) ينظر قول أبي القاسم الزجّاجي: "وهذه اللام يُسميها بعضهم لام الشرط للزومها لحرف الشرط...، وهي في الحقيقة لام القسم كأن قبلها قسماً مقدراً، هذا جوابه". ينظر كتاب اللامات للزجاجي، ص 149-150.

⁽٤) من بحر البسيط، ص 331 بالديوان.

^(°) ضمير: اسم جبل عن يمين الراحل من الشام إلى مصر، وقال المعرّى هو اسم ماء في السماوة ونون "تركن" يعود للوفادة في البيت السابق وهي النوق السريعة. ينظر: معجم البلدان، ط 3، 1428هـ– 2007م (ضمير) ٣٦٦٣٨.

⁽٦) قالها معاتباً سيف الدّولة على التّحامُل عليه بحضور قوم متشاعرين ، وظنّ الحيف عليه.

لم يشرح ابن جنّي، بل اكتفي بتوضيح (ضُمير)^(۱) وقال المعرّى قوله: (ليُحَدثَنّ) جواب قسم محذوف أي: والله ، واللام من "لئن" زائدة دخلت توطئةً للام الثّانية، وحلّ جواب القسم محل جواب الشّرط وأضاف اليازجي: أن اللام في: (ليحدُثنّ) رابطةً لجواب القسم، ويعنى: لئن لحقت ركابي بمصر لتُندَمنّ سيف الدّولة على فراقه. (۲)

ومّمِا تقدّم نرى إلمام أبي الطيّب المتنبّي بأساليب القرآن وكلام العرب وسَننها في الحديث.

وكل ما جاء به أبوالطيّب ملائمٌ لأسلوب القرآن والحديث وكلام العرب، فالذين قدّروا الفاء في الجواب وهو جملة تعسّفوا دون أن يأتوا بمثال من الحديث لما جاء عنه في السُّنة المطهّرة، عن سلمة قال سمعت سويد بن غفلة قال: لقيتُ أبي بن كعب – الله ققال: عرّفها حولاً فعرفتُها كعب – الخذتُ صُرّة مائة دينارٍ فأتيتُ النبيّ فقال: عرّفها حولاً فعرفتُها حولاً، فلم أجد ما يعرفُها، ثمّ أتيتُهُ فقال: عرّفها حولاً فعرقتُها، فلم أجد ثم أتيتُهُ فقال: عرّفها حولاً فعرقتُها، فلم أجد ثم أتيتُهُ فقال: الحفظ وعاءها وعددها ووكاءها، فإن جاء صاحبُها وإلا فاستمتع بها"(") فاستمتعت فلقيتُهُ بَعْدُ بمكة فقال: لا أدرى ثلاثة أحوالِ أو حولاً واحداً".

بعد تأكيد النّحاة والمفسّرين - فيما سبق - يتّضحُ جلياً أنّ العوامل اللفظيّة في الكلام هي دلالات على الأثر الذي يحدثه المتكلم في السياق اللُّغوي الذي هو أساس إعراب الكلام، الذي يُفرِّق به بين المعاني المختلفة.

⁽١) ينظر: الفسر: ٣٨٥/٣ وينظر البيت (واحر قلباه ممن قلبه شبم) ص 129.

⁽٢) ينظر: معجز أحمد: ٣/٠٢٠ ، والعرف الطيّب: ١٢٣/٢.

⁽٣) ينظر صحيح البّخاري (في كتاب اللُّقطة)، باب (إذا أخبره ربُّ اللقطة بالعلامة دفع إليه)، حديث رقم 17٨/٢.

وكما أسلفت الباحثة القول في العوامل، ووصفها عند ابن جِنّي -خاصّة- وأنها من فعل المتكلّم، وأثر ذلك على اللفظ، وعلى المعنى، وضح من قوله أنّ العامل المعنوي أكثر عدداً وهو يخضع لتعدد أحوال المتكلّم، والسّياقات اللغويّة التي يقع فيها الكلام، اختلاف المعاني من عبارة إلى أخرى يؤدّى إلى تعدّد أحوال المتكلّم، كما يطلق على ذلك البلاغيّون (مقتضى الحال)(۱)، ومراعاة أحواله المختلفة.

وقد وّجدت الباحثة العوامل المعنويّة كثيرةً، لما يقتضيه الكلام من أحوالٍ شتى، ومما اختصّت به اللغة العربيّة من دون سائر اللغات: التّقديم والتأخير، والحذف، والإيجاز، والزيادة، والإعراب، بالحركات و التصريف. (٢)

وأبوعلي -رحمه الله- يرى وجهاً لذلك فيقول: "إنّما دخل هذا النّحو في كلامهم، لأنّهم ليست لهُم أصولٌ يُراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها، وإنّما تهجُمُ بهم طباعُهم على ما ينطقون به، فرُبّما استهواهُم الشيء فزاغوا به عن القصد"(٣).

هذا قوله وإن لم يكن صريح لفظه ، وهو يريد أنهم ينطقون على سجيتهم دون مراعاة للقوانين.

وفيما يلي أذكر ما جاز التقديم والتأخير فيه عند الجمهور ، وآراء من امتنعوا من إجازة ذلك، مفصّلةً وجه الجواز وأوجه المنع ممّن منع ذلك.

المطلب الأول: تقديم خبر المبتدأ عليه:

ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوزُ تقديم الخبر عليه، مفرداً كان أو جملةً، فالمفرد نحو: "قائمٌ زيدٌ وأخوهُ ذاهبٌ عمرٌو".

خلافاً للبصريين الذين يرون أنه يجوزُ تقديم خبر المبتدأ عليه مفرداً وجملةً.(١)

⁽۱) ينظر: مقتضى الحال عند البلاغيين: هو إيراد الكلام على صورة مطابقة لظرف الإطناب والإيجاز، لأنّ ذلك يقتضى هيئةً خصوصيةً من التعبير، (لكلّ مقامٍ مقال)، فعلى المتكلّم ملاحظة المقام أو الحال وهو الأمر الذي يدعوه أن يورد كلامه على صورةٍ خاصّةٍ من تشاكل عرضه وتلك الصورة هي المقتضى. ينظر: المعجم المفصّل في علوم البلاغة، لدكتور إنعام فوّال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلميّة بيروت، ط 2، 1417هـ-1996م، ص 657.

⁽٢) ينظر: المزهر في علوم اللغة وآدابها، لجلال الدين السُّيوطي بتحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ٢/٧١-333.

⁽٣) ينظر: الخصائص "باب أغلاط العرب": ٢٧٤/٢.

واحتج الكوفيون لقولهم: إنّما قلنا لا يجوز تقديم الخبر على المبتدأ؛ لأنّ ذلك يؤدى إلى تقدّم ضمير الاسم على ظاهره (الإضمار قبل الذّكر)؛ لأنك إذا قلت: "قائمٌ زيدٌ" كان في (قائم) ضمير زيد، وكذلك إذا قلت: "أبوه قائمٌ زيدٌ" ، كانت الهاء في (أبوه) ضميراً لزيد، فقد تقدّم ضمير (زيد) عليه ولا خلاف أنّ رُتبة الضمير بعد الظّاهر، فوجب أن لا يجوز تقديم الضمير على الظّاهر. (١)

ويُخبر ابن مالك أنه إذا لم يحدث لبس، جاز تقديم الخبر على المبتدأ في قوله:

والأصل في الأخبار أن تُوخّرا * وجوّزوا التّقديمَ إذ لا ضَررا(")

إلا أنّ الكُوفيين جوّزوا تقديم الخبر، إذا كان جارّاً ومجروراً نحو: "في داره زيدٌ" وفي هذا الرأي نقصُ لما أورده ابن الأنباري أعلاه. (٤)

وتمسّك البصريوّن بجواز تقديم الخبر؛ لأنّه ورد كثيراً في كلام العرب^(٥)، وأشعارهم وأمثالهم.

ومّمِا جاء في فصيح كلامهم قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ ﴾ (١).

قول أبي حيّان فيها وبقيّة المفسّرين: "لما ذكر تعالى الاستدلال بأحوال الأرض وهي المكان الكُلّى، ذكر الاستدلال بالليل والنّهار وهو الزّمان الكلى، وبينهما مناسبة؛ لأنّ المكان لا تستغني عنه الجواهر، والزّمان لا تستغني عنه الأعراض، لأنّ كلّ عرض فهو زمان، وتكون (آية) خبراً مقدّماً، و(اللّيلُ) مبتدأ مؤخراً، فالنّية

⁽۱) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: (مسألة رقم 9) ١٥/١، وينظر مغنى اللبيب (طبعة دار الطلائع): المارد: الأشباه والنّظائر في النّحو للسيوطي، ط1، ١٧٠/١.

⁽٢) ينظر: المصدر السابق نفسه، وينظر: نتائج الفكر في النّحو، للسُّهيلي ص 406-407 ، والأصول في النحو: ٢٣٨/٢.

⁽٣) ينظر: شرح ابن عقيل على الألفيّة: 212/1-212، وشرح قطر النّدي وبلّ الصّدي، للفاكهي، ط1، ص 231.

⁽٤) ينظر: شرح ابن عقيل هامش ٢١٣/١، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢٥/١.

^(°) ينظر: الكتاب: ١٢٨/٢ (فصل التقديم والتأخير، باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ ويسد مسده)، والخصائص: (باب في شجاعة العربيّة) ١٥٨/٢-159 وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١٥/١.

⁽٦) الآية (37) من سُورة يس وتمامها: ﴿ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾

فيه التأخير، والتقدير: واللّيلُ آية لهُم، كقولك: "قائم زيدٌ مُسرعاً" أي: "زيدٌ قائمٌ مُسرعاً" و (لهم) متعلّق بـ(آية) لا صفة لها" (١)

ومّمِا جاء في أمثالهم من فصيح الكلام قولهم: "في بيته يُؤتى الحكمُ" (١) ، لأن التّقدير فيه: يُؤتى الحَكمُ في بيته.

وأمّا ما جاء من ذلك في أشعارهم قول الفرزدق: (٦)

بنونا بنو أبنائنا، وبناتُنا * بنُوهُنّ أبناءُ الرّجال الأباعِدِ (٤)

والشّاهد فيه قوله: "بنُونا بُنو أبنائنا"، فإنّ هذه الجملة اشتملت على مبتدأ وخبر، وقد تقدّم الخبر وهو قوله "بنُونا" على المبتدأ وهو "بنُو أبنائنا" وقد اختار الشّاعر تقديم الخبر على المبتدأ مع كونهما في رتبةٍ واحدةٍ من التّعريف، وكلّ منهما يصلح للابتداء به، وذلك لوجود قرينة معنويّة تُرشد إلى المبتدأ وإلى الخبر. (٥)

وأضاف ابن هشام أنّه مراعاة للمعنى، ويضعفه أن تقدّر الأوّل مبتدأ على أنّه من التّشبيه المعكوس (المقلوب) للمبالغة وذلك نادرُ الوقوع، ومخالفٌ للأصول ، إلاّ أنّ المقام يقتضى المبالغة. (٢) ويكون التّقدير: بنو أبنائنا بنُونا. (٧)

ومّمِا جاء في الشّعر العربي، والخبر مقدّمٌ على المبتدأ؛ لأنّه جارّ ومجرور، قول جرير بن عطيّة: (١)

⁽۱) ينظر: البحر المحيط: ٣٣٤/٧- 335 ، وينظر الحُجَّة في على القراءات السّبع لأبي علي الفارسي، ٢١٠/٤

⁽٢) ينظر: مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النّيسابوري الميداني، بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1394هـ-1963م، 282 (وهذا المثل فيما زعمت العرب على ألسنة البهائم وقصته تدور حول الأرنب والتّعلب حينما اختصما إلى الضّب ليحكمُ بينهما)، وينظر الأصول في النّحو ٢٣٩/٢.

⁽٣) لم أجده في ديوان الفرزدق (في قافية الدّال).

⁽٤) ينظر في الإنصاف في مسائل الخلاف ٢٦٢، وينظر هامش شرح ابن عقيل: ٢١٧/١، وشرح الكافية للرضي ٧٨/١، و (شاهد رقم 153) في شرح الأشموني.

^(°) وهو يعنى: تشبيه أبناء الأبناء بالأبناء، فإنّ أصل المحبّة والحنان للأبناء، والغرض إثبات أنّ أنباء الأبناء مثلهم، لا العكس (وتروى القافية الأكارم).

⁽٦) ينظر: معنى اللبيب عن كتب الأعاريب طبعة دار الطلائع الأولى: ١١٤/٢.

⁽٧) ينظر: أوضىح المسالك لابن هشام الأنصاري (شاهد رقم 71) وشرح جمل الزّجاجي لابن عصفور، ١٨٤/٢.

لنا الفضلُ في الدُّنيا وأنفُك راغمٌ * ونحنُ لكم يومَ القيامِة أفضلُ (٢)

والشّاهدُ في قوله: "لنا الفضلُ"، حيثٌ تقدّمت شبه الجملة من الجارّ والمجرور خبراً للمبتدأ وهو قوله: "الفضلُ"، وذلك لاتساعهم في الجار والمجرور، خلافاً للجزولي الذي يرى أنّ الجارّ والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدّم لـ (الفضل)، و الثّاني مبتدأ مرفوع مؤخر (الفضلُ) وجملة (لنا الفضلُ)، جملة استئنافيّة لا محلّ لها من الإعراب. (٣)

أما ابن جنّي فرأيه أنّه لا يُوجد مرفوعٌ في الدّنيا يتقدّم على رافعه، وخبر المبتدأ عنده لم يتقدّم على رافعه لأنّ رافعه هو المبتدأ والابتداء، وليس المبتدأ وحده، فقد تقدّم الخبر على المبتدأ فقط، فهذا لا ينقض مبدأه في ذلك(٤). خلافاً للكوفيّين.

ويجب تقديم الخبر على المبتدأ إذا كان له صدر الكلام، وهذا كالاستفهام (٥)، كما في قول الشاعر: (٦)

أقاطِنٌ قومُ سلمى أم نووا ظعنا * إن يَظعنُوا فعجيبٌ عيشُ مَن قطنا(٧)

والشّاهد فيه قوله: "أقاطِنُ قومُ سلمى"، حيث استغني عن الخبر بالفاعل الذي سدّ مسدّه وهو (قومُ سلمى)، وقاطنٌ: مبتدأ ولا يحسنُ مجئ هذا إلا إذا اعتمد المبتدأ على ما يُقرّبُه من الفعل وهو الاستفهام أو النّفي (١). خلافاً لابن الحاجب. (٢)

⁽۱) ينظر ديوان جرير، بتحقيق دكتور يوسف عيد، ط 1 ، دار الجيل، ص 750، وينظر: نقائض جرير والأخطل لأبي تمام علّق على الحواشى الأب أنطون صالحاني اليسوعى، المكتبة الكاثوليكية، دار المشرق، بيروت، 1434هـ–1922م، ص 69 ، و وشرح الأشموني ٢٩١/٢ ، والجني الدّاني ص 102، والمعجم المفصل لشواهد النحو الشعرية ٢٩٥/٢.

⁽٢) من بحر الطّويل، قالها جرير في هجاء الأخطل. ينظر الخصائص: ١٥٩/٢ (في باب شجاعة العربيّة) وينظر: اللَّمع في العربيّة، لأبي الفتح عثمان بن جِنّي، بتحقيق دكتور سميح أبومغُلِي عمان دار مجدلاوي للنشر، 1409هـ-1988م، ص 32، وبنظر المغنى ٢٧٧/٢.

⁽٣) ينظر: المقدّمة الجزوليّة ص 320-321، ومجيب الندا في شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، ط 1 ص 231 ، وينظر شرح ابن عقيل: في قوله: "وأخبروا بظرفٍ أو بحرف جر * ناوين معنى "كائن" أو استقر، ١٩٧/١.

⁽٤) ينظر: الكتاب ١٨٢/٢ ، الأصول في النّحو: ٢٣٩/٢ ، الخصائص: ١٦٠/٢-١٦١.

^(°) ينظر: الكتاب: ١٢٨/٢ ، ومجيب الندا في شرح قطر الندي ص 235 ، ودراسات لأسلوب القرآن ١٣٥/١ ، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١٦٠/١، شرح ابن عقيل: ١٩٨/١-203 .

⁽٦) من بحر البسيط في شرح شذور الذهب ص 233.

⁽٧) ينظر: شرح قطر الندي ص 122 ، وشرح التّصريح ١٥٧/١ ، والمقاصد النّحويّة ٣٢٤/٢.

ويأتي الخبر مقدّماً على المبتدأ، إذا كان المبتدأ محصوراً بـ (إلا) كما يكون ذلك في قولك: (مالنا إلا اتباعُ أحمد)، وهذا محصور لفظاً، أمّا المحصور في المعنى نحو: إنّما قائِمٌ زيدٌ، إذ لو أُخِر لأوهم الانحصار في الخبر. (٦) وذلك لقول ابن مالك:

وخبر المحصور قدّم أبدا * ك "ما لنا إلا إتّباعُ أحمدا"

والشّاهد فيه قوله: "مالنا إلا إتّباعُ أحمد"، حيث جاء بالخبر (لنا) محصوراً بإلاّ وبعده (اتّباعُ أحمد) المبتدأ جاء متأخّراً لفظاً. (٤)

ويجوز تقديم الخبر على المبتدأ إذا كان وصفاً أو ظرفاً نحو قوله: "قائِمٌ زيدٌ، وخَلَفك بكرٌ "، والتقدير: زيدٌ قِائمٌ، وبكرٌ خلفك، فتقدّما اتساعاً ، وفيهما ضمير لأنّ النّيّة فيهما التأخير (عند البصريّين). (٥)

ومّمِا جاء فيه من شعر أبي الطيّب مقدّماً فيه خبر المبتدأ على (خبر كان) ، اتفاقاً مع البصريّين والكوفيّين^(٦) قوله: (^{٧)}

وللنفس أخلق تدُلُ على الفتى * أكان سخاءً ما أتى أم تساخِيا (^)

(۱) ينظر: مجيب الندا ص 232، والمقاصد النّحويّة ص ٢/٥/٢ وينظر المعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة ٩٧/٢.

⁽٢) الذي يشترط شرطين: أحدهما أن يكون حرف الاستفهام الهمزة، والثّاني أن يكون بعد (أم). ينظر رأى ابن الحاجب في شرح الكافية، للرضي، بتقديم بديع إميل يعقوب، ط84 1:4/4، و شرح ابن عقيل هامش ٢٠٣/٠.

⁽٣) ينظر: شرح الجمل لابن عصفور (باب المفعول المحمول على المعنى): ١٨٤/٢ ومجيب الندا ص 232 ، و شرح ابن عقيل: ٢١٩/١.

⁽٤) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، لابن هشام الأنصاري ومعه مصباح السالك إلى أوضح المسالك، ليوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1427هـ-2007م، ٢١٢/١. و وينظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي ط1 دار الكتب العلمية، 1405هـ-1984م، ٢٧٣١١.

⁽٥) ينظر: الكتاب: ١٨٢/٢، واللمع في العربيّة ص 32.

⁽٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٩٦.

⁽v) من بحر الطّويل، ص 442 ، بالدّيوان وينظر الديوان ص 292، قول أبي الطيّب يمدح سيف الدّولة وقد أمر له بغرس: وجاريةٍ: ولولا قُدرةُ الخلاّق قلنا * أعمداً كان خلقُكُ أم وِفاقا

ينظر فيها: الفسر ٤٨١/٢ ، ومعجز أحمد ١٢٦/٣ (جاء قول دكتور عبدالمجيد دياب في هامش التحقيق: وذلك أبعد الوهم أن يكون مثلك خُلق في جُودك وكرمك)، والعرف الطيّب: ٦٢/٢.

⁽١) يشير المحقّق دكتور رضا رجب بأن هذا البيت سقط بشرحه من نسخة المعهد البريطاني للفسر، وفي النسخة الأحمدية يقول المحقق: "لم يُصرّح بما في نفسه من العتب".

لم يشرح ابن جِنّي البيت (١)، وجاء المعرّى بقوله: "لُكلّ إنسانٍ أخلاقٌ يُستدلّ بها على ما يأتيه من الجُود، هل هو طبيعيُّ أو تكلُّفِي؟ فيعرف حاله، وأضاف اليازجي: "في قوله: أكان سخاءً أم تساخيا: بدل اشتمال من (الفتى)، وكان الوجه أن يقول: أسخاءً كان أم تساخبا على ما هو في حُكم الاستفهام بالهمزة، فقدّم وأخرّ لضرورة الوزن". (٢)

وترى الباحثة أنّ بالبيت موضعين لتقديم الخبر: أوّلهما: الجار والمجرور في صدر البيت (للنفس) والمبتدأ مؤخرٌ وهو (أخلاق) على رأى البصريين، والثّاني تقديم خبر كان، الذي أصله خبر المبتدأ في قوله: "أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا"، وهو مسبوقٌ بهمزة الاستفهام وجاءت للتسويّة قبل (أم).

وقال أبوالطيّب في تقديم الخبر مسبوقاً بالهمزة، وتعنى الاستفهام الإنكاري: (٣) إذا كان مدحّ فالنسّيبُ المُقدّمُ * أكل فصيحٍ قال شِعراً مُتيّمُ ؟(٤)

قال ابن جنّي أي: "هذا المألوف من مذاهب الشّعراء، ثم جاء بلفظ الاستفهام ومعناه الإنكار، فكأنّه قال: ليس كلُّ من قال شعراً مُتيّماً، ويريد بذلك: أي حُبّه للمدح أولى من قوله في النّسيب. (٥)

ويضيف المعرّى: (كان) -هُنا- بمعنى: (وقع)، لا تحتاج إلى خبر (ويعنى تامّة)، ومن عادتهم أن يقدّموا الغزل على المديح، ويجوز أن يكون فيهم من يمدح ولا ينسب، وجاء اليازجي بقوله: هو ينكر مذهب الشّعراء. (٦)

وقد جاء أبوالطيّب فيها بالخبر مقدّماً (كّلّ) مسبوقاً بهمزة الاستفهام دون أن يكون بعده (أم) على رأى جمهور النّحاة ، وخلافاً لابن الحاجب.

قال أبوالطيّب مقدّماً الخبر (جارّاً ومجروراً) على المبتدأ وقد كثر هذا النّوع من التّقديم في شعره، لأنّه سُمِع كثيراً في فصيح كلامهم وفيه اتسّاعٌ في قوله:(١)

⁽٢) ينظر: الفسر: ٣/٧٧٧.

⁽٣) ينظر: معجز أحمد: ١٧/٤ ، والعرف الطيّب: ٢٩٤/٠.

⁽٤) من بحر الطّويل، ص 302 بالدّيوان.

^(°) قالها أبوالطيّب عندما مر بميافارقين في خمسة آلاف من جُنده وألفين من غلمانه قاصداً قبر والدته ليزوره، في شوال سنة 330ه، وأبوالطيّب يعرفُ فيها بمخالفته مذهب الشّعراء في قرض الشّعر.

⁽٦) وهو التشبيب بالنساء. ينظر الفسر: ٣٥١/٣.

⁽٧) ينظر: معجز أحمد: ١٤٩/٣ ، والعرف الطيّب: ٧٥/٢.

بها الجبلانِ من فخرٍ وصخرٍ * أناف ذا المُغيثُ وذا اللُّكام (٢)

قال ابن جِنّي: "أنافا: عُلُوّاً وسُمّوّاً، وقدّم الفخر حذقاً وصنعة، وأضاف المعرّى: أي هذه الأرض فيها جبلان عاليان: أحدُهما من فخرٍ (وهو الممدوح)، والثّاني (من صخر)^(٣)، وقد جعل الممدوح كالجبل في عظِم قدره، ويُضيف اليازجي قوله: أنافا: أشرفا، واسم الإشارة (ذا) بدل تفصيل من قوله (الجبلان)، واتّفق مع صاحبيه في معنى البيت. (٤)

وقال أبوالطيّب مقدّماً الخبر نكرة مضافة: (٥)

أَبْعَدُ نَاي المَلِيحةِ البُخالُ * في البُغدِ ما لا تُكلَّفُ الإبالُ (٦)

قال ابن جنّي: قد تُمنع المحبوبة وهي مقيمةٌ ، فكأنّها بعيدةُ، والإبلُ لا تكُلّف البُخل المحبوب، وإنّما تكلّف السّير عنه وهذا كقول أبي تمام: (٧)

لا أظلِمُ النّاي قد كانت خلائِقُها * قبل وشكِ النّوي عندي نوى قُذُفا

وجاء فيه ابن جِنّي بتصريف بَخِل: بُخْلٌ وبُخُلٌ وبَخْلٌ وبَخْلٌ وبَخَلٌ، واكتفى بذلك. (^)
وأضاف الشّرّاح أي: أَبْعَدُ بُعدِ المحبوبة البُخلُ أي: إنّ بُخلها على مُحبّها أشدٌ
عليه من بُعدها لأنّه بعدٌ لا يُحتاجُ فيه إلى تكليف الإبل مشقّة السّير، ومثله قول أبي
تمام اتفاقاً مع ابن جِنّي، وأضاف اليازجي متّفقاً مع سابقيه بقوله: إن (ما): نكرة

⁽١) من بحر الطّويل، ص 102 بالدّيوان.

⁽٢) قالها أبوالطيّب يمدح فيها المُغيث بن عليّ بن بشر العِجلي التّميمي.

⁽٣) وهو جبل الدُّكام، ويُعرف بجبل الأبدال، وكانوا يسكنونه وهو مُشرفٌ على أنطاكيا ويعرف الآن بجبل لُبنان، وينطق بتشديد الكاف (اللَّكَام) وجاء به المتنبّي مخففاً. ينظر: معجم البلدان: ٢٢/٥.

⁽٤) ينظر: الفسر: ٥٠٥/٥، ومعجز أحمد: ١/٣٥٦، والعرف الطيّب: ١/٢٣١.

⁽٥) من بحر المُنسرح، ص 135 بالدّيوان.

⁽٦) قالها أبوالطيّب في أبي الحسين بدر بن عمّار بن إسماعيل الطبرستاني، وقد قصده الطبيب فجار مبضعه فأضرّ به سنة 328 (أشار المحقق إلى سقوط هذا البيت من النسخة المصرية والأحمديّة).

⁽٧) ينظر ديوان أبي تمام، بمراجعة دكتور محمد عزّت نصر الله، دار الفكر، بيروت 1391هـ-1970م، (يمدح أبادلف القاسم بن عيسى العجلي) ص 131 .

⁽٨) ينظر الفسر: ١٣٤/٣.

موصوفة بمعنى شيء، أي: أبَعدُ ما يكونُ من بُعد المليحة بُخلُها؛ لأن مسافته لا تقطع بالسير، وهذا نوعٌ من البُعد لا تُكلَّف الإبل قطعه. (١)

وقد جاء في شعر أبي الطيّب من دواعي تقديم الخبر، إذا كان شبه جملة في قوله: (٢)

لكِ يا منازلُ في القُلُوبِ منازِلُ * أقفرتِ أنتِ وهُنَ مِنكِ أواهِلُ (٣)

قال ابن جِنّي: "ذكر أنّ منازل الحُزن في قلبه ومغانيه آهلةً -وإن كانت منازل نفسها قفراً -، وفّي اللفظة والصّنعة حقّها ، وطابق فيها أبا تمام (٤) الذي ذكر أنّ أحشاءه منازلُ للأسى، ولكنّه لم يذكر أنّها آهلةً. (٥)

وجاء شرح المُعرَى واليازجي متّفقاً حول المعنى: يُخاطب منازل الأحبة بأنّها عامرةً بذكرك وذكر أهلها أي: منازلك التي في قلبي أراها ذات أهل، فأنت قد أقفرت من أهلِك، والقلوب ما برحت آهلةً بكِ. (٦)

وقد جاء قول أبي الطيّب بالخبر مقدّماً ، مع حذف المبتدأ للدّليل في المعنى في قوله: (٧)

وردٌ إذا وَرَدَ البُحيرِةُ شراباً * وردَ الفُراتَ زئيرُهُ والنِّديلا(^)

ينظر ديوانه: بتأليف إيليا الحاوي، ط 1 ، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1402هـ-1981م، ص 423.

⁽۱) ينظر: معجز احمد: ۱۲٤/۲ (ويقول المعرى: "رُدِى الفجيلة مكان (المليحة) وفي (البُخل) مكان في (البعُد) ويقول: (غير أن أباالطيّب ذكر المعنى في المصراع الأوّل (الصدر)، وزاد عليه في المصراع الثّاني (العجُز) ، والعرف الطيّب: ۲۸۳/۲.

⁽٢) من بحر الكامل، ص 177 بالدّيوان.

⁽٣) قالها أبوالطيّب يمدح القاضي أباالفضل أحمد بن عبيدالله بن الحسين الأنطاكي.

⁽٤) في قوله : وقفتُ وأحشائي منازلُ للأسى * به وهو قفرٌ قدّ تعفّت منازلُهُ

⁽٥)ينظر: الفسر: ١٨٩/٣.

⁽٦) ينظر: معجز أحمد ٢٠/٢ ، والعرف الطيّب: ١/٣٤٨.

⁽٧) من بحر الكامل، ص 145 بالدّيوان.

⁽٨) قالها أبوالطيّب يصف شجاعة بدر بن عمّار، حينما عاجل الأسد الذي هاجه بسوطه دون سيفه.

اكتفى ابن جِنّى بقوله: الورد هو المائل إلى الحمرة. (١)

وقال المعرّى: موضحاً المسافة بين بحيرة طبريّة والنيل تقدّر بأكثر من عشرة أيّام، ونُصب شارباً على الحال، وأضاف اليازجي: إنّ هذا الأسد يزأر في بُحيرة طبريّة بالأردن فيسمع، في مصر والعراق^(۲). (وهذا دليل قوّته).

وترى الباحثة أنّ (وردٌ) خبر لمبتدأ محذوف، والتّقدير: هو وردٌ وهذا يُفهم من باقى البيت والمعنى المؤدَّى.

المطلب الثاني: تقديم المفعُول به على الفاعل:

جاء عن ابن جِنّي في باب الاستحسان^(٣) أنّ علّته ضعيفةٌ، غيرُ مستحكمةٍ، إلاّ أنّ فيه ضرباً من الاتساع والتّصرف وأتى يقول: بعد أن مثّل للاستحسان غير ضرورة كتكسير جَبلَ وحُسن، في قولهم: فرس وورْدُ، وخيل وُرد، فهذا كسقف وسُقف، أتى إلى الاستحسان غير ضرورة، ومثل ذلك برفع الفاعل، ونصب المفعول فهو مُنقادٌ في هذا الباب. (٤)

أما قول الشّاعر: (٥)

حتى لحقنا بهِم تُعدِي فَوارِسُنا * كأنّنا رَعْنُ قُنْ يُرفِعُ الآلا(٢)

قيل فيه: رفع المفعول ونصب الفاعل، ولو لم يحتمل هذا البيت إلا ما ذُكر، لقد كان على سمتٍ من القياس ومطرب (طريق ضيق) متورّد بين النّاس، ألا تراهُ قد فرّق بين الفاعل والمفعول -وإن اختلفا- فهنا الفرق ، وكيف وجهه أن يكون الفاعل مرفوعاً، والمفعول منصوباً قائِمٌ صحيحٌ مقُولٌ به ؟ (٧)

(2) ينظر: معجز أحمد: ١٦٩/٢ ، والعرف الطيّب: ٢٩٨/١.

⁽¹⁾ ينظر: الفسر: ١٧٤/٣.

⁽³⁾ الاستحسان من مصطلحات أصول الفِقه، وهو ترك القياس والأخذ بما هو أرفق (أخفّ للنّاس) ينظر: معجم التعريفات ص 19.

⁽⁴⁾ ينظر: الخصائص: (باب في الاستحسان) ١٦٩/١.

⁽⁵⁾ من بحر البسيط، للنابغة الجعدي بديوانه بتحقيق عبدالعزيز رباح، المكتب الإسلامي، دمشق، 1385هـ- 1964م، ص 106 ، والمحتسب: (برواية كُفٍّ و بدلاً عن قُفٍّ) ٢٧/٢ ، وأمالي أبي علي القالي: ٢٢٨/٢، الإنصاف في مسائل الخلاف 1/158 ولسان العرب مادة (أول).

⁽⁶⁾ الرّعن: أوّل كل شيء والقُفّ: حجارة بعضها فوق بعض، وهو جبل ليس بطويل، والآل: السراب. ينظر شرح الجمل، لابن هشام، بتحقيق دكتور علي محمد عيسى من الله، ط 2، (باب المفعول المحمول على المعنى) ص 284.

⁽⁷⁾ ينظر: الخصائص: (في باب وجوب الجائز) ، ٢١٦٠/١، ١٧٠/١.

ويجوز هذا من باب التقديم والتّأخير، التقديم لفظاً وإن كان حقّه التأخير في الرّتبة.

وجُعل (الآل) هو الفاعل، والشّخص هو المفعول، وهذا جائزٌ وليس فيه دليك على أنّ غيره غير جائزٍ، ومثله قولك: ما جاءني غيرُ زيدٍ، فلم تثبت مجئ زيد ولكنك قلت: إن الذي هو غيره لم يأتِك (بالنّفي)، فقد يجوز أن يكون جاء أو لم يجئ وهذا لا نظير له في الاستقراء -وإن كان مأنوساً به- فلا يجب إيجاد نظيراً له. (١)

ومّمِا جاء عنهم في فصيح الكلام مقدّماً المفعول على الفاعل قول الشّاعر: (١) إنّما يرجو الحياة فتّصى * عاش في أمْنِ من المِدَنِ (٣)

والشّاهد فيه قوله: "يرجوُ الحيّاة فتَّى" ، حيثُ وُجدت دلالة من قِبل المعنى، فجاء به على التّقديم والتأخير؛ لأن المعنى مفهوم حيث الرّجاء من المعاني التي يصبو إليها الشّباب، فتأخير المفعول، ما يقوم مقام بيان الإعراب، وذلك خلافاً له: (أكلَ يحيى كُمِثرَي)، و (ضربت هذا هذه)، و (كلّم هذه هذا)، فلك أن تقدّم أو تؤخّر (٤)، لأنه يتّضح الغرض بالمعنى، أو بعض القرائن الأخرى مثل تأنيث الفعل أو تذكيره مع الفاعل.

ولعمري أنّ تقديم المفعول في البيت أعلاه إنما كان بسبب أنّ الفاعل جاء محصوراً بر (إنّما) وهو (فتًى) كما في : إنّما ضرب عمراً زيدٌ، وجاء ذلك في قول ابن مالك: (٥)

وما بإلا أو بإنّما انحْصَرْ * أخرْ وقد يَسبِقُ إنْ قَصْدٌ ظَهَرْ (٦)

⁽١) ينظر: الخصائص: (باب في عدم النّظير) ، ٢٢٢/١.

⁽٢) من بحر المديد، ولم ينسب لقائل.

⁽٣) ورد البيت في: المقاصد النّحويّة: ٢/٥٢٥ (ولم أقف عليه في بقية شروح الألفية حتى ابن عقيل).

⁽٤) ينظر: الأصول في النّحو: ٢٤٦/٢، والخصائص: (في باب القول على الإعراب) ٨٩/١، وشرح ابن عقيل: ٢/١٤٤.

⁽٥) ينظر: شرح ابن عقيل: ٤٤٣/١.

⁽١) ومنه قول عمرو بن معد يكرب: قد عَلِمتْ سلمي وجاراتُها * ما قطر الفارسَ إلا أنا

وما انحصر من الفاعل يقع بعد إلا متأخراً عن المفعول، بتقديمه على الفاعل، وما جاء من المفعول مقدّماً، لحصر الفاعل ب (إنّما) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَغْشَى ٱللّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَ وَأَلَّهُ ﴾ (١).

وفيها قيل: "إنما" في هذه الآية تخصيص العُلماء لا الحصر، وأيضاً تُصلح للحصر، وذلك على حسب المعنى الذي جاءت فيه، وجاءت بعد مخاطبة الرّسول – بقوله تعالى: "ألم ترّ حيث عدّد تعالى آياته وأعلام قدرته، وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس، وما يستدلُ به عليه وعلى صفاته، فكأنّه قال: "إنما يخشاهُ مِثلُك ومن على صفتك مِمّن عرفه حقّ معرفته" وقرأ الجمهور بنصب الجلالة (الله) ورفع (العُلماءَ)، وروى عن عمر بن عبدالعزيز وأبي حنيفة قراءة ذلك برفع الجلالة (الله) ونصب (العلماء) وتؤوّلت هذه القراءة على أنّ الخشية استعارة للتعظيم؛ لأنّ مَن خَشِي أجلّ وعظم (٢)، ولعلّ ذلك لا يصحّ عنهما، وكتب القراءات الشّاذة لم تذكر هذه القراءة وإنّما ذكرها الزّمخشريّ. (٢)

وترى الباحثة أنّ المعنى قد يفسد بالقراءة الثانية على رفع الجلالة ونصب العُلماء؛ لأنّ الذي يُخشى هو الله وأنّ الآية على تقديم المفعول والقرينة معنويّة هي تقديم المفعول وتأخير الفاعل(٤).

ويُعقِّب ابن جِنّي: "إنّ الفاعل إذا وقع مؤخراً؛ فإنّ موضعه التقديم؛ لأنّه إذا وقع مقدّماً فقد أخذ مأخذه ورست به قدمه، وإذا كان كذلك فقد وقع المُضمر قبل

من بحر السريع (لم أثر على ديوانه) ، ينظر شرح شذور الذهب ص 289 ، وشرح كتاب سيبويه ١٩٦/٢ ، وبنظر المعجم المفصل لشواهد الشعرية ٩٥٩/٢.

⁽٢) الآية 28 من سورة فاطر وقيل نزلت في أبي بكر الصديق - الله - وقد ظهرت عليه الخشية حتى عُرِفت فيه.

⁽٣) ينظر: البحر المحيط: ٣١٠-٣١٢ وينظر فصول في فقه العربيّة، لدكتور رمضان عبدالتواب، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ، ص 394-395.

⁽٤) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وتأويل عيون الأقاويل: دار الفكر 1399هـ -1979 ، ٣٠٨/٣ وإملاء مامنّ به الرّحمن: ٢٠٠/٢ (على معنى: إنّما يعظمُ الله من عباده العلماء) أي بحصر الفاعل.

^(°) ينظر: دلائل الإعجاز ، للشيخ عبدالقاهر الجرجاني، ط2، 1380هـ 1960م، ص 82-85.

مُظهره لفظاً ومعنّى ، وهذا ما لا يُجوّزُه القياس". (١) خلافاً للشاطبي (٢) الذي يرفع الفاعل وبنصب المفعول دائماً

وهناك طريقُ آخر قد شاع واطرد من مذاهبهم كثرةُ تقدّم المفعول على الفاعل، حتى دعا ذلك أبا علي إلى أن قال: "إنّ تقدّم المفعول على الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال مجيئاً واسعاً. (٣)

وقد كثر تقديم المفعول في القرآن، وفصيح كلامهم وهو غير مستنكر، فلمّا كثر وشاع تقديمه على الفاعل كان الموضع له، حتّى أنّه إذا أُخّر فموضعه التّقديم، وقد كانت هذه عادة العرب في الدّعاء، فلا تقول: جزي ربّ زيدٍ عمراً، وإنّما يُقال: جزاك ربّك خيراً، وذلك أوفق (٤)، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اَبْتَكَى إِبْرَهِعَمَ رَبُّهُ, بِكَلِهَتِ فَأَتّمَهُنَّ جَزاك ربّك خيراً، وذلك أوفق (٤)،

قال أبوحيّان: "مناسبتها أنّه لما غيرّ المؤمنون القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، عاداهم اليهود، لمّا قال تعالى: ﴿ مَا وَلَّنهُمْ عَن قِبْلَكِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ (٦)، ذكر تعالى حديث إبراهيم وما ابتلاهُ به الله واستطرد إلى ذكر البيت، وكيفية بنائه وقرأ

⁽۱) ينظر: الخصائص: ۲۰۱/۱ ، وينظر شرح الكافية: ۲۰٤/۱ ، وشرح ابن عقيل: ۲۰۲/۱، وقضايا المفعول به عند النحاة العرب، لدكتور محمد أحمد خضير، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1424هـ 2003م ص 288 – 290.

⁽۲) الشاطبي هو أبوإسحق، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي المالكي ، له أصول النحو والاعتصام بالسنة وعنوان الآفاق في علم الاشتقاق ، توفي في شعبان سنة 790هـ. ينظر ترجمته بهدية العارفين ص ١٨/١، وينظر رغبة الآمل من كتاب الكامل للمبرد ، لسيد بن علي المرصفي، ط1، العارفين ص ١٩/١، وينظر رغبة الآمل من كتاب الكامل المبرد ، لسيد بن علي المرصفي، ط1،

⁽٣) ينظر: الخصائص: ٣٠٢/١، والأصول في النّحو: ٢٤٥/٢، وينظر مقدّمة ابن خلدون، للعلامة عبدالرحمن بن خلدون العربي، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، بدون طبعة وتاريخ، فضل في أن لغة العرب لهذا العهد مغايرة مستقلة مُغايرة للُغة مُضر وحمير، ص 32.

⁽٤) ينظر: الخصائص: ٣٠٣/١ ، وينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح شواهد العيني ،دار الفكر، بيروت، 1424هـ 2003م، ٥٤٥/٢.

⁽٥) الآية (124) من سورة البقرة، وتمامها: ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًّا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيٌّ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّلِمِينَ ﴾

⁽٦) الآية (142) من سورة البقرة وهي : ﴿ سَيَقُولُ الشَّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَنَهُمْ عَن قِبْلَئِهُمُ الَّتِي كَافُوا عَلَيْهَا قُل يَلِمَ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَطٍ تُسْتَقِيمِ ﴾

الجمهور بنصب (إبراهيم) ورفع (ربّه) وقرأ ابن عبّاس، وأبوالشعثاء (١) وأبوحنيفة برفع (إبراهيم) ونصب (ربّه)، فقراءة الجمهور على أنّ الفاعل هو (الرّب) وهو الذي يبتلي عباده، ومعنى ابتلائه إيّاه هو المفعول، وقال ابن عطية: "قدّم المفعول للاهتمام بمن وقع الابتلاء؟.(٢)

ويتقدّم المفعول إذا كان مما له الصدارة في الكلام كالضمير المنفصل (٦) وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِيَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيثُ ﴾ (٤).

قال أبوحيّان: "إيّا": هو الضّمير الذي تلحقُه ياء المتكلم، وكاف المخاطب، وهاء الغائب، في قولك: "إياي، إياك، وإياه، ويُعبد -بالبناء للمفعول - فيكون ضمير نصب منفصلاً، وفيه خلافٌ مذكور في النحو وقرئ (نعبُدُ ويُعبدُ)، وهي قراءة مشكلة، وفيها استعارة والتفاتُ، فالاستعارة في إحلال المنصوب موضع المرفوع، وكأنّه قال: "أنت"، ثم التفت فأخبر عنه إخبار الغائب فقال (يُعبُدُ) وغرابة هذا الالتفات أنّه في جُملةٍ واحدةٍ (٥)، و (إيّاك) مفعولٌ مقدّمٌ على عامله (نعبد) ، خلافاً للزمخشري (٦) الذي يزعم أنّ العامل لا يقدّم إلا للتخصيص، فكأنّه قال: ما نعبدُ إلاّ

⁽۱) هو جابر بن زيد الأزدي اليحمدي، مولاهم البصري الخوفي (نسبة إلى الخوف ناحية في عمان) كان عالم أهل البصرة في زمانه، يُعدّ من الحسن وابن سيرين وهو من كبار تلاميذ ابن عبّاس الذي يُروى عنه قوله: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً عمّا في كتاب الله"، توفى سنة 93ه. ترجمته: في سير أعلام النبلاء، ، ٤/١٨٤-482 ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام أبي نُعيم بن عبدالله الأصفهاني المتوفى سنة 430هـ، بتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، عبدالله الأصفهاني المتوفى سنة 430هـ، بتخيي الكمال في أسماء الرجال، لجلال الدين أبي الحجاج يوسف المزني ، المتوفى 474هـ، حققه وضبط نصّه دكتور بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1422هـ - 2002م ، ٤٣٤/٤ - 436.

⁽۲) ينظر: البحر المحيط: 1/374، ومعجم القراءات القرآنية: 254-255 وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد ، عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق الرحالي الفاروق وآخرين ، ط1، الدوحة، 1398هـ - 1977م ، ۱۳/۱- 115 ، والخصائص: (باب في نقض المراتب إذا عرض هُناك عارضُ) ١٠٠/١ ، وشرح ابن عقيل: ٢/٤٤١، ينظر: نوادر البصائر لفرائد الضرائر، لمحمد سليم بن حسين بن عبدالحليم ، تحقيق ودراسة د. حازم سعيد يونس ، دار عمار ، الأردن ، (عمان) بدون تاريخ ص ٣٩٩.

⁽٣) ينظر الكتاب: ٣٥٨/٢ ، والخصائص: ٥٣/١ ، وإملا ما منّ به الرّحمن ٦/١.

⁽٤) الآيتان 4-5 من سورة الفاتحة.

^(°) وفائدة هذا الالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو: إظهار الملكة في الكلام والاقتدار على التصرّف فيه. ينظر: البحر المحيط: ٢٤/١.

⁽١) ينظر: الكشاف ، ط 1، 1397هـ - 1977م ، ٢٠/١ .

إيّاك، فالتقديم عندنا إنّما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول. (١) ، وهذا خلافاً لرأى الكوفيين.

ومّمِا جاء فيه المفعُول مقدّماً في شعر أبي الطيّب قوله: (٢) فما وردت رُوحَ (٣) امرئ رؤحُه * وما صدرت عن باخلٍ وَهُوباخل

قال ابن جنّي: إذا وردت السُّيوف رُوح امريء كانت أملك بهامته، وصار وإن كان باخِلاً - (بخيلاً) كأنّه غير باخلٍ؛ لأنّها قد نالت منه ما بغت. (٥)، ويضيف أن قول أبي الطيّب كقول أبي الأسود: (٦)

لعَمرِي (لا) خير إذا كنُتَ باخِلاً * وأروَحُ من قولٍ (نعم) ثُم تَبخل ل

وقال المعرّى في قول أبي الطيّب: "فهو يجودُ بنفسه التي هي أعزّ الأشياء - وإن كان بخيلاً - ويُضيف اليازجي أي قوله: "... مخاطباً الأعداء: بأنّه إلا تصدر عنه يجودُ بماله فداءً لروحه". (٧)

وترى الباحثة أنّ أبا الطيّب قدّم المفعول متصلاً به ضمير الفاعل عليه وهذا ما أجازه النّحويّون في السعة، وقد جاء مثله في القرآن الكريم كما سبق التعرّض له. (^)

وجاء قول أبي الطيّب مقدّماً المفعول والفاعل محصورٌ بإلاّ: (١)

⁽٢) ينظر: البحر المحيط ٢٣/١-24 ، والمحتسب ١١٥/١ ، ينظر معجم القراءات القرآنية١٥٣/١-154، وإتحاف فضلاء البشر ص 122، وينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النّحويّة، لعبدالعال سالم مكرم، دار المعارف مصر ، ص 151.

⁽٣) من بحر الطّويل، ص 35 بالدّيوان.

⁽٤) العرب تذّكر الروح ، ولكن المتنبي أنثها بمعنى النفس . ينظر: أزاهير الفصحى في دقائق اللغة ، لعباس أبي السعود ، دار المعارف، القاهرة، بدون طبعة وبدون تاريخ، ص 281.

⁽٥) قالها أبوالطيّب في صِباهُ.

⁽٦) ينظر: الفسر: (ويقول: باخلاً وبخيلاً) ٨١/٣ ، وينظر الخصائص: ١٩/١.

⁽٧) ينظر ديوان أبي الأسود الدُّؤلي، صنعة أبي سعيد الحسن السُّكَري، المتوفى سنة 275هـ، تحقيق الشِّيخ محمد حسن آل يس، (طبعة منقحة) ط 2، 1419هـ – 1998م، ص 175 ، وجاءت رواية صدر البيت بالدِّبوان: "ولا عندنا خبرُ إذا كُنت باخلاً".

⁽٨) ينظر: معجز أحمد: ١/٢٤/١، والعرف الطيّب: ١٣٣٧١.

⁽٩) ينظر: ص 236 من تقديم المفعول .

تجمع فيه كل لسنٍ وأُمّة * فما يُفهِمُ الحُداثَ إلا التّراجِمُ (١)

وترى الباحثة أن (عجزُ) هذا البيت من قبيل الاستثناء المنقطع، حيث تكون (إلا) فيه مُلغاة؛ لأنّ الجملة منفية، والمستثنى منه ليس من جنس المستثنى، والتقدير: يُفهمُ الحُدّاثَ التّراجِمُ.

وجاء قول أبي الطيّب في تقديم المفعول، ضمير مخاطب منفصلاً: (٣) ولا يدعُوك صاحِبُهُ فترضَي * لأنّ بصُحبةٍ يجبُ النّمامُ (٤)

قال ابنُ جنّي: "الوجه لأنّهُ يجبُ الذّمامُ"، فحذفُ الهاء جائزٌ في ضرورة الشّعر، يقول: إذا كُنتَ لا ترضى بأن يُنسبُ هذا المال إليك، وعطاياك تُمزّقُهُ وتُقرّقُه فلّمَ هذا المال؟. (٥)

قال المعرّى فيه: "لا تقرّ بأنّك صاحبه، لئلا يلزمك حفظه، وعدم بذله، ويُضيف اليازجي: "أنّ اسم (إنّ) محذوف ضمير الشأن، يقول: إذا دعوناك صاحب هذا المال، لا ترضى بذلك، لأنّك متى كُنتَ صاحبه وجب عليك أن تصونه على عادتك وتحرمه أصحابك. (٦)

من مواقع تقديم المفعول، وقوعه جواباً له (أمّا) في الجزاء لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْمَاهِ وَقُوعُهُ جَوَاباً له (أمّا) في الجزاء لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْمَاهِ وَقُوعُهُ وَاللَّهُ وَاللَّالُهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّالِمُواللَّاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ وَاللَّهُ وَاللَّا اللَّ

⁽١) من بحر الطّويل، ص 387 بالدّيوان.

⁽٢) سبق الحديث عنه في مبحث الأسماء ، المطلب الثالث (كلا وكلتا) ص 96 بهذا الفصل.

⁽٣) من بحر الطّويل ، ص 104.

⁽٤) قالها أبوالطيّب يمدح المُغيث بن علي بن بشر العجلي.

^(°) ينظر: الفسر: ٣/٥١٣ ، (ويُشير المحقق في الهامش إلى أنّ هذا البيت وشرحه سقطا من نسخة المعهد البريطاني والنسخة الأحمديّة).

⁽٦) ينظر: معجز أحمد: ٣٧٠/١ (ويشير محقق المعجز: أنها تروى "ندعُوك")، والعرف الطيّب: ٢٣٦/٢.

⁽٧) الآتات (9 -11) من سُورة الضحى.

(اليتيم والسائل) لأنّه وقع بعد الفاء الجزائيّة في جواب (أمّا) لئلا تلي الفاء (أمّا) بدون فاصل. ، وتأخير الفاء في الجزاء لإصلاح اللفظ بعد أمّا(١).

وجاء قول أبي الطيّب مقدّماً المفعُول ضمير غائبٍ متّصلاً في موضعين: (٢) تُحايدُهُ كأنّدك سلمريُّ (٣) * تُصافِحُهُ يدّ فيها جُدام

قال ابنُ جنّي: أي: تحيد عن هذا المال، وتُؤثِر ألا يبقي معك منه شيءٌ. (٤) ويُضيف المعرّى: هو يتجنّب هذا المال ويميل عنه، والهاء في "تُحايدُه" يجوز أن تعود للمال وللسّامري، ويجوز أن يكون هو السّامري المذكور في القرآن ويجوز أن يكون منسوباً إليه. (٥)

وجاء قول اليازجي: إنّه يتجنّب المال كما يتجنّب السّامري الأشياء النجسة، فأنت تأمُر بتوزيعه ولا تمسُّهُ. (٦)

ومّما تقدّم يتأكد إلمام أبي الطيّب بأساليب العرب في كلامها وفنون القول لديه معروفةٌ وجائزةٌ.

⁽۱) ينظر: البحر المحيط: ٨٥/٨، وينظر الكشاف: 4/265 ، إملا مامن به الرحمن ٢٨٩/٢٢ ، ومجيب الندا إلى شرح قطر الندى وبل الصدى ص 335، و أمالي ابن الشجري: ٣٤٣/٢ ، ورصف المباني ص 97، والجني الدّاني ص 211.

⁽٢) من بحر الطّويل، ص 104 بالدّيوان.

⁽٣) السّامري: مفرد السّوامرة وهُم قومُ يشتركون مع اليهود في بعض العقائد، ويُخالفونهم في بعضها، وهم قليلون يسكنون في نابلس، قالها أبوالطيّب -كما في الشاهد السابق- في مدح المغيث في قصيدة بعنوان (معدن الدّهب الرُّغام).

⁽٤) ينظر: الفسر: ٥١٣/٣، (ويأتي رأى المحقق في الهامش أن تشبيه أبي الطيّب "دنئ جداً" ورأى الباحثة أن تشبيهه جاء بليغاً لشدّة نفور المال من يده، وقد أدّى المعنى دون ملاحظة لألفاظه.

^(°) ينظر: معجز أحمد: ٣٧٠/١ "ويقول الجُذام: الأكلة التي تقع في اليد، وغرضه من التَّشبيه أنّه يُفرّق المال" خلافاً لليازجي الذي يعدّه داءُ تتآكل به الأعضاء وتتساقط.

⁽٦) ينظر: العرف الطيّب: ٢٣٦/٢.

المطلب الثالث تقديم خبر (ليس) على اسمها:

ذهب الكوفيون إلى أنَّه لا يجوز تقديم خبر ليس، وتبعهم في ذلك أبوالعبّاس المبرّد من البصريّين.

أما البصريون فقد ذهبوا إلى أنّه يجوز تقديم خبر ليس عليها، كما يجوز تقديم خبر كان عليها. (١) كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصُرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) وقال فيها أبوحيان: "وفي لفظة (حقاً) مبالغة في تكريم المؤمنين، والظاهر أن (حقاً) خبر كان، و (نصرُ المؤمنين) الاسم، وأخّر لكونه ما تعلق به، وللاهتمام بالخبر إذ هو محطّ الفائدة "(٣).

وقول الكوفيين بمنع جواز تقديم خبر ليس، لأنّ "ليس فعلٌ غير متصرّف، فلا يجرى مجرى الفعل المتصرّف (كان)؛ لأنّ الفعل الذي لا يتصرّف في نفسه، لا يتصرّف عمله، وعلى هذا حُمل (ليس) على معنى (ما) لأنّها تنفى الحال كما أن (ما) تنفى الحال، وهذا رأى متأخري البصريّين (عُ)، واختار هذا الرأي ابن مالك في قوله: (٥)

وضع سُبْقِ خَبِر ليس اصْطَفِي * وذو تَرَمامِ ما بِرَفْع يكتفِي

وذهب أبوعلي الفارسي وابن شقير (¹)إلى أن (ليس)حرف (^{۷)}، خلافاً لمن رأى أنها فعل، لأن تاء التأنيث، والضمائر المتصلة تلحق بها، وأصل (ليس)ك (صَيدَ

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١٦٠/١، وينظرابن جني النحوي ص ٢٨٤

⁽٢) الآية (47) من سورة الروم وهي:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ لَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِنَـٰتِ فَانَفَمْنَا مِنَ ٱلَذِينَ أَجْرَمُواْ ۚ وَكَاكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

⁽٣) ينظر البحر المحيط ١٧٧/٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ص 348 ، والنشر ٢٢٣/٢.

⁽٤) ينظر: المقتضب: والأصول في النّحو ٩٨/١ وارتشاف الضرب من لسان العرب والكتاب ٣٤٣/٤ وشرح التسهيل 1/338 ونتائج الفكر وشرح الكافية للرضي الاستراباذي: 4/201 وينظر المفصل في علم العربيّة لأبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط 2 دار الجيل، بيروت، ص 268-269.

⁽٥) ينظر الكتاب: ٢/١، شرح قطر الندي وبل الصدي لابن هشام: ص 175 ، شرح ابن عقيل على الألفيّة: ٢٥٧/١ .

⁽٦) وهو أحمد بن الحسن بن العبّاس بن الفرج بن شقير النّحوي الشقيري أبوبكر بغدادي في طبقة ابن السراج روى كتب الوافدي ألف مختصراً في النّحوا والمذكر والمؤنث والمقصور والممدود وكتاب المحلي المنسوب للخليلي مات 317ه ترجمته بُغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة ٣٠٢/١.

⁽٧) ينظر شرح قطر الندي وبل الصدى للفاكهي ص 244 وينظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢٨٥/١، وينظر نتائج الفكر في النّحو للسُّيهلي بتحقيق دكتور محمد إبراهيم البنا دار الاعتصام سوريا بدون طبعة وتاريخ ص 75.

البعيرُ)، فتقول: ليست، وليسا، وليسوا...، وهذا رأى محققي البصريّين الذين يذهبون إلى جواز تقديم خبر ليس، ومنهم ابن جنّي مستدّلين بقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْنِيهِمْ لَلْيَكَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ ليّس مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ (١).

وفيها يقول المفسرون: "والظّاهر أنّ (يوم) منصوبُ بقوله: "مصروفاً"، فهو معمول لخبر ليس، وقد أستُدلّ به على جواز تقديم خبر ليس لقولهم: إنّ تقدّم المعمول يؤذن بتقدّم العامل، ونُسب هذا المذهب لسيبويه وعليه أكثر البصريّين، خلافاً للكوفيين والمبرّد، بأنّه لا يجوز ذلك، وهذا ليس دليلاً على جواز تقدّم المعمول بتقدّم العامل. (٢)

ورد ابن هشام أنهم توسّعوا في الظرف ما لم يتوسّعوا في غيره ونقل عن سيبويه أنه يجوز ذلك ويمتنع^(٣)، ورُدّ نصب(يوماً) بـ (مصروفاً)، وقيل يجوز أن يكون منصوباً بفعلٍ مقدر لا بالخبر، أي: يعرفون،أو لأنه ظرف لتوسعهم فيه. (٤)

واستدل البصريّون على جواز تقديم خبر ليس من الشّعر العربي بقول السموأل: (٥)

سَلي إن جهِلتِ النّاس عنا وعنهُمُ * وليس سواءً عَالِمٌ وجه ول (١)

والشّاهد فيه قوله: "وليس سواءً عالمٌ وجهُول"، فقدّم خبر ليس (سواءً) على اسمها (عالم وجهول)، والتقدير: وليس عالمٌ وجهولٌ سواءً (بتوسط الخبر بين ليس واسمها) (٧).

⁽١) الآية (8) من سورة هود وتمامها : ﴿ وَمَافَ بِهِم مَاكَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾.

⁽٢) ينظر البحر المحيط: 5/206 ، وينظر التوضَيح والتكميل لشرح أبن عقيل، لمحمد عبدالعزيز النّجار، دار الفكر العربي، جدّة، بدون تاريخ، ص199، وشرح الجمل لابن عصفور ٣٩٥/١ ، وينظر القرآن الكريم وأثره في الدّراسات النّحويّة، لعبدالعال سالم مكرم ص 118، 128.

⁽٣) ينظر شرح كتاب سيبويه (لم يصرح بذلك بل جعله على التقديم والتأخير)، وينظر: شرح قطر النّدي وبلّ الصّدى، لابن هشام، ص 176،.

⁽٤) ينظر: مجيب الندا إلى شرح قطر الندي وبل الصدى ص 247.

^(°) هو السّموأل بن عريض بن عادياء، شاعرُ جاهليُ، يهودي، من أهل خيبر، يُضرب به المثل في الوفاء، له ديوان شعر مطبوع، مات سنة 65م. ينظر ترجمته: لمعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة 4/280.

⁽٦) من بحر الطّويل ، بديوانه، طبعة دار صادر ، بيروت ، ص 92.

⁽٧)ينظر والارتشاف ٣/١٧١-172 ، والتوطئة ، لأبي علىالشلوبيني(عمر بن محمد الأشبيلي)، المتوفى سنة 645هـ بتحقيق يوسف أحمد المطوع ، القاهرة، ، دار التراث العربي للطبع والنشر، 1393هـ-1973م ، ص 228 ، وينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين السيوطي، شرح وتحقيق عبدالسلام محمدهرون ، ودكتور عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ- 2001م ، ٢/٧٨ ، وشرح الأشموني ١/٢١١، والمعجم المفصل للشواهد النّحويّة ٢/٢٢٧، والمقاصد النّحويّة، ٢٢/٧ .

ومّمِا يؤيّد رأى البصريين في تقديم خبر (ليس) على اسمها، ما جاء في التنزيل، من قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ التنزيل، من قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ التنزيل،

قال أبوحيّان: "الباء زائدة في خبر ليس في (بأن تأتوا)، فيقدّر بمصدر الإتيان وهو من الإخبار بالمعنى عن المعنى، والأعرف عمّا دونه في التعريف، لأنّ (أنْ) وصلتها عندهم بمنزلة الضمير أي: يقصد أنّ اسمها وهو (المبتدأ) يجب أن يكون أعرف من خبرها، وهذا دليلٌ على تقدّم خبرها، لأنّ الباء تزيد في الخبر، وليس في المبتدأ. (٢)

وهذا خلافاً لقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ (٣).

قال أبوالفتح: "وذلك في قراءة أُبّي وابن مسعُود، وقال ابن مجاهد: إذا كان هكذا لم يُجز أن يُنصب البرّ؟". ويُضيف ابوالفتح قوله: الذي قاله ابنُ مجاهد هو الظّاهر في هذا، لكن قد يجوز أن يُنصب مع الباء في (بأن تُولّوا) وهو أن تجعل الباء زائدة كقولهم: "كفى بالله أي: كفى اللهُ أي: كُفينا، فلذلك (ليس البرّ بأن تُولّوا) بنصب (البرّ)، كما في قراءة السَّبعة، برفع (البرّ).

ويقرأ بالرفع والنصب لأن ما بعد ليس معرفتان، فلك الخيار في إعمالها والجمهور يقرأ بالرّفع (١) ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُ بِأَن تَأْتُوا ﴾.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢/٤٢، وينظر الحجُّة في القراءات السّبعة، لأبي عبدالله بن الحسين بن أحمد بن خالويه، بتحقيق أحمد فريد المزيدى، ص 69 ، وينظر إملاء ما منّ به الرّحمن ٨٤/١.

⁽١) الآية (189) من سورة البقرة وهي ﴿ يَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِـلَّةِ ۚ قُلْ هِي مَوْقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجّ

⁽٣) الآية (177) من سورة البقرة ، وتمامها : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرِّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَالْمَلَتِهِكَةِ وَالْكِنَٰتِ وَالنَّبِيتَ وَءَانَى الْمَالُ عَلَى عُرْبِهِ وَالْمَالَةِ وَمَا اللَّهِ وَالْمَوْوُرِكَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَهَدُولًا عُمْ الْمُنْقُونَ ﴾ وَالْفَدُرِيَّ فِي الْبِأْسَاءِ وَالفَمْرِينَ فِي الْبَائِسُ أَوْلَتِهِكَ اللَّذِينَ صَدَقُولًا وَأُولَتِكَ هُمُ الْمُنْقُونَ ﴾ والفَمْدِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالفَمْرِينَ فَوَيْنَ الْبَائِسُ أَوْلَتِهِكَ اللَّذِينَ صَدَقُولًا وَأُولَتِكَ هُمُ الْمُنْقُونَ ﴾

⁽٤) ينظر: المحتسب ٢٠٥/١، والبحر المحيط 2/2-3، وينظر الكشاف ٢٠٩/١، الكشف عن وّجوه القراءات السّبع ٢٨٠/١.

وما ذهب إليه ابن الأنباري هو عدم جواز تقديم خبر ليس، تبعاً للكوفيين، الذين يقولون: "إننا سلّمنا بأنّ (ليس) فعلّ، لشبهها الوضعي لـ(صَيدٍ)، ولكن سُلبت وصف الفعل وهوَ التصرّف(١)؛ حملاً لها على (عسى ونعم وبئس)؛ لأنّها جامدة.

ورد البصريون بأن (ليس) أخذت منزلة بين منزلتين هما: (كان) تقاس عليها بالفعليّة، وتنفي الحال كه (ما) وجاز تقديم خبرها خلافاً له (ما)؛ لأنّها أقرب إلى الحرفيّة، فلم يُجز تقديم خبر (ما) عليها، فهي حرف وليس فعلاً ، والفعل أقوى من الحرف. (٢)

وابن السّرّاج وسيبويه لم يُجيزا تقديم خبر كان على اسمها، فهذا قبيحٌ عندهما ، فالأولى أن لا يجيزا تقديم خبر (ليس) لأنّها اضعف في التّصرف من (كان)^(٣) وذلك يُفرَّق بين كان واسمها في نحو: زيدٌ كان قائمٌ، لأنّ (زيداً) ليس بخبر لها ولا اسم.

وبعد أن اتضح رأى النّحاة والمفسرين حول تقديم خبر (ليس)، وأثر المعنى على هذا التّقديم، ورأى ابن جنّي حول ما سبق نذهب مع صاحبه المتنبّي لنرى ما هو عليه من مذهب في شعره، قال أبوالطيّب: (٤)

اليوم عهدُكُمُ فَاينَ المَوعِدُ؟ * هيهاتَ ليس ليوم عِهدِكُمُ غَدُ(٥)

والشّاهد قوله: "ليس ليوم عهدكُمُ غَدُ" ، بتأخير اسم ليس وهو (غدُ) ، واتصال خبرها باللام (أي الجار والمجرور) وهذا متُسعٌ في كلامهم، ويضيف ابن جِنّي قوله: "ليس لذلك اليوم غدٌ عندي أي: قبل أن تبينوا (تبتعدوا) عنّي أموت، خوفاً لبعُدكم وقوله: لا تبتعدوا: دّعاءٌ ظريفٌ منه، واستعارته إياه للموت في لفظ الغزل يدلُ على

⁽١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١٦٣/١.

⁽٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١٦٤/١ وينظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٣٥٢/١.

⁽٣) ينظر الأصول في النّحو، ٢٣٧/٢، و الكتاب ٢٢١/٤.

⁽٤) من بحر الكامل، يمدح فيها أباالمنتصر شجاع بن محمد الطائي المنيجي.

⁽٥) ينظر الدّيوان ص 47(وهو يتساءل عن يوم اللقاء بعد الفراق ويقول إنّه لا يرجو الحياة بعد يوم الفراق).

قوة طبعه، ومن التفاتاته في الشّعر أنّه استفهم عن الموعد في أول البيت، ورجع يائساً في آخره بقوله: (هيهات)(١).

وقول المعرّى: "ورُويَ اليوم وعدكم، في الصدر والعجُز، لأنّهما متقاربان، فهو يُقرّر أن آخر يوم التقيا فيه هو يوم لقائه بهم، ويسأل أيّ يوم سنلتقيان فيه؟ ويستبعد ذلك بقوله: "هيهات أن أطمع في اللقاء، فإن هذا اليوم ليس له غدٌ عندي لأنّى لا أرجو العيش بعده". (٢)

وهذا الاستفهام في رأى الباحثة أنه بمعنى شدّة التأسّي بهذا الفراق واستبعاد، اللقاء بتمني الموت، وترى الباحثة أنه يمكن أن يكون خبر (ليس) محذوفاً في قول أبي الطيّب: "ليس ليوم عهدِكُمُ غدُ"، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف الخبر، الذي يفهم من سياق البيت، ويمكن تقديره ليس بقريبٍ أو موجودٍ غدٌ ليوم عهدِكُمُ.

وقال أبوالطيّب في تقديم خبر ليس: (٣) أتنكر ما أتيت به بديها * وليس بمُنكر سَبْقُ الجَوادِ (٤)

لم يشرح ابنُ جنّي البيت، والأصحّ أنّ المحقق لم ينقل شرحه، ويجوز أن يكون ابن جنّى قد تعمد ألا يشرحه ليختصم حوله الشرّاح. (٥)

وجاء قول المعرّى: "بديهاً" مصدر في موضع الحال، يقول: لا تُنكِر بديهتي، ولا تستبعد ارتجالي الشّعر، وأنا في ذلك بمنزلة الجواد الأصيل؛ لأنّه لا يُستنكر منه سبقُ سائر الخيل، واكتفى اليازجي بمعنى المعرّى. (١)

⁽۱) ينظر: الفسر: ۸۹٤/۱، وإعراب مشكل شعر المتنبّي ص 23، والمنصف في شرح تصريف المازني، بشرح أبي الفتح عثمان بن جِنّي، تحقيق وتعليق محمد عبدالقادر أحمد عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1419هـ-1999م، ۲۲٤/۱.

⁽٢) ينظر: معجز أحمد ١٧٤/١ ، والعرف الطيّب: ١٥١/١.

⁽٣) من بحر الوافر ، ص 246 بالدّيوان.

⁽٤) قالها أبوالطيّب حينما استنكر أبوالعشائر عليه سرعة خاطره في إنشاده قصيدة مطلعُها: وطائرة تتبُعها المنايا * على آثارِها زَجِلُ الجناح . حينما أرسل أبوالعشائر بازياً على حجلة : فأجابه بروي الدّال أعلاه.

^(°) ينظر: الفسر ١٠٥٢/١ والنظام: ٢٣٣/٥ (جاء قول ابن المستوفي فيه أن ابن الشّجري عدّ عجز البيت من الأمثال). ينظر الأمالي الشجرية، بتحقيق د. حاتم صالح الضامن، ص 149.

⁽٦) ينظر: معجز أحمد: ٥١٦/٢، والعرف الطيّب: ٤٥٤/١ ، والنظام في شرح شّعر أبي الطيّب وأبي تمام لابن المستوفي:

وواضح فيما سبق أنّ خبر (ليس) مقدّم مع اتصال الباء الزائدة فيه في قوله: (وليس بمنكر سبقُ الجواد).

وقال أبوالطيّب مقدّماً خبر (ليس) واسمها مصدرٌ مؤوّل: (١)

أليس عجيباً أنّ بين بني أب * لنجل يهوديّ تدِبُّ العَ قارِبُ (٢)

قال ابنّ جِنّي: "أراد أبوالطيّب أنّه بين بني أبٍ، فحذف الهاء ضرورة من (أنّ)". (٣)

وأضاف ابن جنّي أي: أنّه يقول: من العجائب أن تدِبّ عقاربُ وتنشأ نميمةٌ بين بني أب، ويُوقَع بينهم وهو يريد رجُلاً بعينه يشي بينهم. (٤)

ويجئ شرح المعرى: "وقد وصف الواشي بينهم بولد يهودي، لذلَته، ولاشتهار اليهود بمكايدة المسلمين وكتم عداوتهم والمشي بينهم، بالسّعايات، ويُضيف اليازجي قوله: وجعل السّاعي بينهم يهودياً مبالغةً في أجنبيته عنهم؛ لأن اليهود يُتهّمون بالخُيث. (٥)

وقال أبوالطيّب مقدّماً خبر (ليس):(٦)

حِذَار فتًى إذا لم يَرضَ عنهُم * فليس بنافع لُهُم الحِذُارُ (٧)

لم ينقل المحقّق شرح ابن جني. (^)

وشرح المعرّى بقوله: "جِذارَ نُصب، لأنّه مفعول له، ويقول: فعلُوا ذلك خوفاً من فتًى (دليل هيبته) إن لم يرضَ عنهم لا ينفعهم حذرهم. (٩)

(٢) قالها أبوالطيّب حينما سأله بنو عم محمد بن إسحق التَّتُوخي المتوفى أن يستزيدهم شعراً في نفى الشماتة عنهم والقصيدة بعنوان (ليس لله غالبٌ).

⁽١) من بحر الوافر، ص 75 بالديوان.

⁽٣) ينظر: الفسر: (يقول ابن جنّي: نجل الرّجل ولده) ٣٦٣/١.

⁽٤) ينظر: الفسر ١/٣٦٥.

⁽٥) ينظر: معجز أحمد 1/268، والعرف الطيّب: ١٩٤/١.

⁽٦) من بحر الوافر، ص 402 بالدّيوان.

⁽٧) قالها أبوالطيّب لما أوقع سيف الدّولة ببني عقيل وقشير والعجلان وبني كلاب حين عاثُوا في بلده وخالفوه، فظفر بهم.

⁽٨) ينظر: الفسر: ٤٨/٢ ، وجاء هامش المحقق بأنّ المقدّمة سقطت من نسخة المعهد البريطاني للفسر.

⁽٩) ينظر: معجز أحمد ٤٨٠/٣.

ويُضيف اليازجي: إذا كان ساخطاً عليهم فلا ينجون منه؛ لأنّه يدركهم فيقصدهم أينما كانوا. (١)

وهُنا لا يمكن تقدير متعلّق للجار والمجرور (بنافع)؛ لأنّ بعده شبه جملة (لهم) فالخبر (نافع)،اتصل بباء زائدة والتقدير: ليس نافعاً لهم الحذار (أو الحِذارُ لهم).

وقال أبوالطيّب مُقدّماً خبر ليس متصلاً بالباء: (٢)

غثاثــة عـيش أن تغـث كرامتـي * ولـيس بغـثٍ أن تغَـث المآكِــلُ(٣)

اكتفى ابن جِنّي بالناحية الصّرفية بقوله: "غثّ الشّئُ يغَثُّ غثاثةً، مثل: صبّ يَصَبُّ صبابةً، وغثٌ يغِثُ. (٤)

وقول الشّراح يعنى: إنّه إذا سلمت كرامتي، فلا بأس بغثاثة عيشي، فلا أُبالي بسوئه إذا كنتُ مُبجّلاً ذا كرامةِ. (°)

وقال أبوالطيّب بتقديم خبر (ليس) اسماً ظاهراً على اسمها وهو موصول في موضعين: (٦)

ليسَ عَزْماً ما مرّضَ المَرْءُ فيه * وليسَ هَمّاً ما عاق عنه الظّلامُ (٧)

لم ينقل المحُقّق شرح ابن جِنّي لما فيه من تقديم وتأخير، وجاء بشرح النسخة الأحمدية من الفسر. (^)

وشرح المعرّى قول أبي الطيّب: "نصب (عزماً) و (همّا)؛ لأنهما خبر (ليس) واسمه (ما) وصلته (مرض) و (عاق) وهو يعنى: كلّ عزمٍ يُقصّر فيه المرء ويفتر دون إمضائه فليس بعزم على الحقيقة، وكلّ همّ يمنع دون إمضائه ظلامُ الليل، فليس

⁽١) ينظر: العرف الطيّب ٢٢٣/٢.

⁽٢) من بحر الطّويل، ص 35 بالدّيوان.

⁽٣) قالها أبوالطيّب في صباه، وفيها يفخر بنفسه.

⁽٤) ينظر: الفسر: (والغثاثة هي الهُزال أو النقص) ٨٢/٣.

⁽٥) ينظر: معجز أحمد ١٢٩/١، والعرف الطيّب ١٣٥/١.

⁽٦) من بحر الخفيف، ص 164 بالدّيوان (وشرح مرّض: قصّر).

⁽٧) قالها أبوالطيّب يمدح أبا لحسين علي بن أحمد المرّى الخُراساني، وكان بينهما مودّة في طبريّة ، وهو في طريقه إلى جبل جرس سنة 333ه.

⁽٨) ينظر: الفسر بقوله: "ليس الهمُّ ما عاق عنه الظّلام؛ لأنّه إذا عاق الظّلامُ عنه هو أهونُ ما يُلاقيه من الشدائد، وهو أشدٌ منعاً من الظّلام كالقتال وغيره" ٥٣١/٣.

بهمٍّ؛ لأنّ حقّ العازم أن لا يُقصّر، وحقّ ذي الهمة أن لا يعوقه شيءٌ، ولم يُضف اليازجي أكثر مَمِا تقدّم. (١)

ومن الشّرح السابق يتأكد مجيء أبي الطيّب بخبر (ليس) مقدّماً واسمها (ما) الموصولة والخبر مؤكد بتقديمه للمعنى الذي أراده.

وقال أبوالطيّب مقدّماً خبر (ليس) في: (٢)

ليس جميلاً عِرضَا فيصُونَهُ * وليس جميلاً أن يكونَ جميلاً "

لم يأتِ المحقّق بشرح ابن جِنّي للبيت، وجاء قول المعرّى: "نفسه لا جمال لها ليصونها عن الهجاء، ولا يستحقُ أن يكون جميلاً"، ويُضيف اليازجي بأنّه من اللئام الذين لا شرف لهُم، ولا مروءة؛ لذلك لا يحسُن أن يكون عِرض مِثله جميلاً. (٤)

وقد سبق أن تحدّثت الباحثة عن رأي الفارسي، ومن تبعه في وضع ليس بأنّها حرف كـ (ما)، وهما ينفيان الحال، وقد جاء في الشّعر العربي لأحد المخضرمين قوله: (٥)

هي الشَّفاءُ لدائِي لو ظَفِرتُ بها * وليس منها شفاءُ الدّاء مبذولُ (١)

وجاء بعد (ليس) جارٌ ومجرورٌ في قوله (منها)، والحرف لا يمكن أن يدخل على الحرف، ويقول أبوسعيد السيرافي: "معناهُ ليس الأمرُ"، فكأنّما أهملوا العمل بها

⁽١) ينظر: معجز أحمد: ٢٢٠/٢، والعرف الطيّب: ٢٢٦٦.

⁽٢) من بحر الوافر ، ص 233 بالدّيوان.

⁽٣) قالها أبوالطيّب عندما بلغه -وهو بدمشق- أن إسحق بن كيغلغ يتوعدّه ببلاد الرُّوم.

⁽٤) ينظر: معجز أحمد: ٤٧٢/٢ (ويعُقّب المعرّى بأنّه هجاهُ، لأنّه ذليلُ لا قدر له) ، وينظر العرف الطيّب: 8٣٧/١

⁽٥) من بحر البسيط، ص ٢٠٤/٢ . بشرح شواهد المغني وهو لهشام بن عقبة (أخي ذي الرّمة) وبعده كما أورده التدمري في شرح شواهد تفسير الجمل على الجلالين:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت * كأنّه منهلً بالراح معلولً ولم أجد هذا البيت في قصيدة (بانت سعاد) بديوان كعب، ولا بكتاب الإسعاد في شرح بانت سعاد: (ورويت شفاء النفس بدلاً عن شفاء الداء).

⁽٦) فكأنّه قدر قول الشاعر: وما شفاءُ الدّاء مبذولٌ منها، فهي بمعنى (ما) النافية، حيث رفع بها المبتدأ والخبر. ينظر المقتضب للمبرّد ١٠١/٤، أمالي ابن الحاجب:٨٦٨/٢ ، رصف المباني في حروف المعاني ص 302 ، المعجم المفصل لشواهد النحويّة: ٧١٨/٢ .

في لغة أهل الحجاز، ولا يجوز أن يستكنّ ضمير الشّأن في (ما)، لأنّها ليست بفعل، بل حرف". (١)

وينقل السّيرافي رأى سيبويه بأنّه لا يستقيم أن يقدّم خبر (كان) و (ليس)، ولا يجوز أن تقدّم ما يعمل فيه الآخر، حيثُ لا يلي (ليس) منصوباً بغيرها إلاّ في لغة بنى تميم. (٢)

ويقول ابن هشام: "لا دليل ليكون في (ليس) -هنّا- ضمير شأن فهو يُثبت حرفيتها بمعنى(ما).^(٣)

ولم أجد في شعر أبي الطيّب استخدام (ليس) بمعنى (ما)، أو إهمال إعمالها وذلك دليلٌ قاطعٌ على أن حرفيتها لغة، لم تستعمل كثيراً في لسان العرب، والمتنبّي يُدرك ما دار في اللّسان من لهجات.

المطلب الرابع: الإعراب بالعطف على التوهم:

وقول ابن جِنّي عندما تحدّث عن العوامل النّحويّة التي قيل عنها إنها لفظيّة ومعنويّة ، فجاء رأيه صريحاً في الخصائص من أن الإعراب الذي يدخل من لفظي ومعنوي إنما يرجع إلى المتكلم نفسه. (٤)

وترى الباحثة أنّ هذا القسم من العطف على التّوهُم إنما هو مردّه حالة المتكلم النفسيّة لأنّ الوهم والظنّ وغيرهما من معاني أفعال القلوب إنما ترجع إلى نفس المتكلم.

وعليه جاء ابن الأنباري^(٥) وأنّ ما حكوه عن بعض العرب "إنّك وزيدٌ ذاهبان" فقد ذكر سيبويه أنّه غلطٌ من بعض العرب ؛ وهذا لأنّ العربي يتكلّم بالكلمة إذا استهواه ضربٌ من الغلط فيعدل عن قياس كلامه (٢)، وذلك كقول زهير:(٧)

بدا لي أنّي لستُ مَدرِكَ ما مضى * ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا(١)

⁽١) ينظر: شرح كتاب سيبويه، 1/352.

⁽۲) ينظر الكتاب ٢٣٣/٤ ، وشرحه ٢/٣٥٣.

⁽٣) ينظر: مُغنى اللبيب (طبعة دار الطلائع) ٣٠٩/١.

⁽٤) ينظر: الخصائص: ١٤٩/١ ، ومغنى اللبيب ٢/١٣٥. (٥) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١٩١/١ ، (ويقول الوجه سابقاً النصب) .

⁽٦) ينظر الكتاب: 1/165 ، ٢٩/٣ ، وينظر الخصائص: 2/134، 226.

⁽٧) ينظر ديوان زهير بن أبي سلمى ، بشرح أبي العباس أحمد بن يحيى "ثعلب"، الدار القومية للطباعة والنشر ، ص 287، والكتاب ١٥٥/٢ ، وشرح أبيات سيبويه ٧٢/١ ، والأشباه والنظائر : ٣٤٧/٢ ، ومغني اللبيب طبعة دار الطلائع: ١٣٨/٢ ، وشرح الأشموني 2/432 ، والمقاصد النّحويّة ٢٦٧/٢.

والشّاهد قوله: "ولا سابقٍ شيئاً"، حيث عطف على خبر (ليس)، وهو قوله (مُدرِكٍ) - بالجر - على توهّمه دخول الباء في خبر (ليس) في صدر البيت (بمدركٍ)، فحمل عليها توهُّماً ، وذلك لدخولها في خبر ليس كثيراً، وذلك حملاً على المعنى الذي هو: (ولستُ بمدركٍ ولا سابقٍ). (٢)

وأراد سيبويه بغلط العرب، ما عبّر عنه النّحويّون بالتّوهّم، ولكن ابن مالك فسّر هذا الغلط بالخطأ فاعترُض عليه بأنّا متى جوّزنا ذلك عليهم زالت الثقة بكلامهم، وامتنع أن تُثبت شيئاً نادراً لإمكان أن يقال في كل نادرٍ لقائله: "هذا غلطٌ". (٣)

وقد جاء في كلامهم العطف على الضمير المرفوع، والمنصوب المنفصل دون الحاجة إلى فصل نحو: زيدٌ ما قام إلا هو وعمرو، ونحو: زيدٌ ضربتُه وعمراً، وما أكرمتُ إلا إيّاك وعمراً. (٤)

أما الضمير المخفوض فلا يُعطف عليه إلا بإعادة الجارّ له، نحو: مررتُ بك وبزيد، وهذا مذهب الكوفيين، ولا يجوز: مررتُ بك وزيدٍ في مذهب الجمهور (٥)، واختاره المصنف بقوله:

وعَـوْدُ خـافضٍ علـى عطـفٍ علـى * ضَـميرِ خفـضٍ لازمـاً قـد جُعِـلا ولـيس عنـدي لازمـاً إذ قـد أتـى * في النثرِ والنّظم الصحيح مُثبتا(١)

⁽۱) ينظر: الخصائص: ١٣٤/٢ (باب في مراعاتِهم الأُصَول تارة وإهمالهم إياها أخرى) وينظر مُجيب الندا في شرح قطر الندي وبل الصدى ص 522.

⁽٢) ينظر الكتاب: ٣٠٦/١ ، وينظر : مغني اللبيب ١١٧/١ ، والمعجم المفصل لشواهد النّحو الشّعريّة (٢) ينظر الكتاب. ١٠٦٥/٢.

⁽۳) الكتاب : ۲۹۳/۲ ، 344.

⁽٤) ينظر: الكتاب ٣٧٧/٢ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/٥٥/٦، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢١٩/٢.

^(°) ينظر الكتاب (في ضرورة الشّعر) ٣٨٢/٢ ، الأصول في النّحو، ط4، ٧٩/٢ ، اللمع في العربيّة لابن جنّي ص 74 ، وشرح الزجاجي لابن عصفور ٢٤٦/١ - 247 ، والإنصاف في مسائل الخلاف (مسألة رقم 65): ٢٦٣/٢ ، والقرآن وأثره في الدراسات النّحويّة لعبدالعال سالم مكرم ص 148.

⁽٦) ينظر شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢٥٨/١ ، شرح ابن عقيل ٢/٢١٩-220

والذين ذهبوا لرواية العطف بالجرّ دون إعادة الجارّ ، استندوا على قراءة حمزة في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللّهَ الّذِي شَاءَ لُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامُ ﴾ (١) -بالجر - في قوله: (والأرحام) ، وقد جاء كثيراً من هذا القبيل في التنزيل الحكيم دون التحيز لرأي دون الآخر ، وزى رأى المفسرين فيه وهم متفقون على قراءة قوله تعالى (والأرحام) - بالحركات الثلاثة - وأشهرُها قراءة النصب (والأرحام) ، وأمّا عن هذه القراءة أن يُعطف على محل الجارّ والمجرور ، كقولك: مررتُ بزيد وعمراً ، وقد قرأ ابن مسعّود (وبالأرحام) ، بالجرّ بعطف الظاهر على المضمر (به والأرحام) وليس بسديد والقراءة بأنها على بالجرّ بعطف الظاهر على المضمر (به والأرحام) وليس بسديد والقراءة بأنها على الله دلالة على عظم ذنب قاطع الرّحم، وقيل النّصب عطفاً على موضع (به) ، أمّا الرّفع (والأرحام)، فوجهه أنّه مبتدأ والخبر محذوف والتقدير: والأرحام أهلٌ أن توصل، وقدره الزمخشري: والأرحام مما يتساءل به والأوّل أحسن، لأنّه يجوز العطف على ويذهب أبوعلي في حُجته على أن رأى الكوفيين أصحُ ، لأنّه يجوز العطف على ويذهب أبوعلي في حُجته على أن رأى الكوفيين أصحُ ، لأنّه يجوز العطف على الضمير المجرور ولكنهم منعوا ذلك العطف إلا بإعادة الجار (العامل) (٢) في قوله تعالى: ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَحُمُنُ اللّهِ وَحُمُ اللّهِ عِنْ الْمَرَاءِ وَإِخْرامُ أَهْلِهِ وَمُنْ الْمُرَاءِ وَالْمَاء المَرَاء وَالْمَاء أَمْ الْمَاء وَنْ الْمَاء اللّه اللّه والله العلى (١٤ على العامل) (٢) في قوله تعالى: ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَحُمُ اللّه عَنْ وَالْمَاء وَالْمَاء الله الله والمَاء المَاء الله الله والمَاء المَاء والمَاء المَاء المَا

وجاء قول ابن جِنّي فيها: "ليست هذه القراءة (والأرحام) عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضّعف، على ما رآه فيها وذهب إليه أبوالعبّاس المبرّد، بل الأمر فيها دون ذلك، وأقربُ وأخفُ وألطفُ، وذلك أن حمزة يقول لأبي العبّاس: "إنّي لم أحمل (الأرحام) على المضمر المجرور بل اعتقدتُ أن تكون فيه باء ثانية، حتّى

⁽١) الآية (1) من سورة النساء.

⁽٢) ينظر البحر المحيط: ٣/١٥٧-158 ، والكشاف: ١٩٣/١ ، وإتحاف فضلاء البشر ص 185 ، والحُجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي ، ط 1: ٣٣٥/٢-339 ، والكشف عن وُجوه القراءات لأبي طالب القيسي ٣٥٥/١ ، والسبعة في القراءات، لابن مجاهد ص 226، وشرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد بن عبدالله الأزهري، المتوفى سنة 905ه بتحقيق محمد باسل عُيون السود، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ، 1421هـ - 2000م ، ١٨٤/٢.

⁽٣) الآية (217) من سُورة البقرة وهي : ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالِ فِيهِ قُلُ قِتَ الَّفِهِ كَبِيرٌ أَوَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرًا بِهِ عَلَى اللّهَ عَن اللّهُ وَكُفْرًا بِهِ عَنْ اللّهُ عَن اللّهُ عَنْ اللّهُ وَكُفْرًا بِهِ عَنْ المحققين) وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ ٱكْبُرُ عِندَ اللّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبُرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ (لأن المصدر لا يعمل محذوف عند المحققين)

كأنّي قلتُ: (وبالأرحام)، ثم حذفتُ الباء لتقدّم ذكرها كما حُذفت لتقدّم ذكرها في نحو قولك: "بمن تمَرُرْ أمرُرْ ، ولم تقُلْ: "أمرُرْ به". (١)

وقد أطلق سيبويه في كتابه إعراب الاسم بمنزلته في النّية (٢). وهو ما عبر عنه النّحويّون بالإعراب (توهُماً) قائلاً: "ونظيرُ جعلهم لم آتك ولا آتيك وما أشبهه بمنزلة الاسم في النيّة، حتّى كأنّهم قالوا: لم يكُ إتيانٌ، وأنشد بعض العرب قول الأحوص: (٣)

مشائِيمُ ليسُوا مصِلحينَ عشيرةً * ولا ناعبِ إلاّ ببيْن غُرابُها (٤)

الشّاهد قوله: -ناعبٍ- بالجرّ وكان الوجه أن يقول: "ناعباً" بالنّصب، وقد توهم قوله: "بمصلحين" -بإدخال الباء على خبر (ليس) في صدر البيت (٥) - ويرى ابن الأنباري أنّه تأويلٌ لا يُلتفت إليه ولا يقاس عليه. (٦)

وترى الباحثة أنّ هذا قد جاء كثيراً في كلامهم المنثور، علاوةً على مجيئه في كلام الله، الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، وهذا ورد كثيراً في السعة، وجاز بأن حُمِل مرةً على الموضع ومرّة على المعنى.

ومن استقرائي لشعر المتنبّي بديوانه لم أظفر إلا بشاهدٍ واحدٍ، رأيتُ أن أحمله على المعنى، كما حمل المفسّرون الآية (بسورة النساء)، والتي سبق الحديث عنها، وذلك لأنّه ارتجل شعراً في توّه دون أن يرمى بالوهم أو الضعف إلا نادراً.

⁽۱) ينظر: الخصائص: (في أنّ المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حُكم الملفوظ به إلا أن يعترض هناك في صناعة اللفظ ما يمنع منه) ٢٩٣/١-294، وينظر مجاز القرآن ، صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد فؤاد سزيكين ، ط1، مصر، 1381هـ 1962م، ١١٣/١ .

⁽٢) ينظر: الكتاب: ٣/٢٨-29.

⁽٣) وهو زيد بن عمرو بن عتاب بن هرمي بن رباح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم، شاعر فارسي. ترجمته: المؤتلف والمختلف للآمدي، ص 60.

⁽٤) من بحر الطّويل، ينظر البيت بشرح الأشموني شاهد رقم 586 ، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، وينظر شرح شواهد المغني ٢/١٧٨–872، وينظر مغنى اللبيب: ١٣/٢ ، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١٩٣/١.

^(°) ينظر: الكتاب ١٦٥/١ ، والمؤتلف والمختلف ص 60، وشرح أبيات سيبويه ٧٤/١ ، ولسان العرب مادّة (شأم) ٣١٤/١٢ ، المعجم المفصل للشواهد الشّعريّة ٢/١٥-53

⁽٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ١٩٤/١.

قال أبوالطيّب: (١)

لا افتخارَ إلا لمّن لا يُضامُ * مدركِ أو مُحارب لا ينامُ (٢)

قال ابن جِنّي: "جعل (مَن) نكرةً، وجرّ (مدركٍ) و (مُحارِبٍ) لأنّهما وصفٌ له، كما تقول: مررتُ بمن عاقلِ أي: بإنسان عاقلِ". (٣)

اتقق المعرّى مع رأى ابن جِنّي حول ما سبق من إعرابٍ، وأضاف قوله: لا ينبغي أن يفتخر إلا من لم يلحقه ضيمٌ وذُلُّ من قِبل أحد، ولن يكون أحدٌ بهذه الصّفات إلا أنت، ومَن يكن مدركاً لما رامه، لم ينمُ عن أعدائه وعن محاربتهم. (٤)

ورأى اليازجي أنّ (لا) مشبهة بـ (ليس)، ولكن لا عمل لها، لانتقاض نفي خبرها، فالرّفع يعدُ بالتجرّد (الاستئناف)، و (من) نكرة تامّة، والجملة بعدها في محلّ جرّ نعت لها، ومدركٍ: نعت آخر لها. (٥)

ورأى الشّراح حول وضع (مدرك ومحارب) بأنهما يجوز أن يكونا بدلاً أو عطف بيان. كما ترى الباحثة ذلك لما لهما من اتّصال في الترّكيب والمعنى ، ويمكن تقديراللام الجارة لهماعطفاعلى الموصول(من) المجرورباللام .

⁽١) من بحر الخفيف، ص 164 بالدّيوان.

⁽٢) قالها أبوالطيّب ، يمدح أبا الحسن علي بن أحمد المُرّي الخُراساني في طريقه إلى جبل جرش، وكان بينهما مودةً بطبريّة ، وهي بُليدة مطلة على بحيرة طبرية. وهي أعجمية. ينظر معجم البلدان ط3، 2007م : 22-1٧/٥

⁽٣) ينظر الفسر: ٣/٥٣١.

⁽٤) ينظر: معجز أحمد ٢٢٠/٢ ، (وأورد المحقق دكتور عبدالمجيد دياب قوله: كان الوجه أن يقول (لا افتخاراً) حبالفتح - كقولك: لا رجل في الدار، وإنما الرّفع جائز مع النفي بلا)، (وروي "مدرك أو محارب" -بالرّفع - فيكونا خبرين لمبتدأ محذوف أي: هو مدرك ، و (مَن) تكون معرفة بمعنى الذي، ويجوز أن يكون الجر فيهما على البدل مِن (مَن) بمعنى الذي.

⁽٥) ينظر: العرف الطيّب: ٣٢٦/١.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تتحقق الغايات، والصلاة والسلام على النبي الأمي حامل خاتم الرسالات، وبعد.

هذا من فضل ربي، فإن أصبت فمن رحمة الله بنا، وآلائه المعدقة علينا، وإن أخطأت فمن نفسى ومن الشيطان الملعون إلى يوم الدين.

قد أعانني الله – تعالى – على مثل هذه الدراسات اللغوية في النحو والأدب، ووجدت فيها المتنبي لغوياً قبل أن يكون شاعراً ، لما كان له من ثقافة عربية ودينية عالية ، وقد عدّه بعض النقاد من شيوخ ابن جني ، تمتع أبوالطيب بهذه الثقافة التي تظهر جليةً في أشعاره ، كما تقدم وهو قد أفاد من صداقته ومعاصرته لأفذاذ اللغويين في القرن الرابع الهجري ، والفلاسفة ، وفحول الشعراء.

ومن خلال الدراسة توصلت الباحثة إلى:

أولاً: نتائج تتمنى أن تجد من يمعن فيها النظر ، ويتأمل مداها وهى:

1- ابتدع ابن جني قسماً رابعاً للسماع هو المطّرد في القياس والاستعمال ليتناول أضرب الكلام جميعها لا الشاذ وحده، خلافاً لشيخه أبى على.

2- أجاز ابن جني الاعتراض (الفصل) في القرآن وفي الشعر، وفي منثور الكلام، وهو جار عنده مجرى التأكيد، خلافاً لغيره.

3- عد ابن جني (الجر على الجوار) من باب حذف المضاف ، وقد ورد ذلك في فصيح كلام العرب (القرآن)كقوله تعالى: ﴿ وَسُكَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ ، وجاء ذلك في فصل الحذف (باب شجاعة العربية) قول ابن جني : "... أما أنا فعندي في القرآن نيّفاً على ألف موضع من حذف المضاف".

4- أجاز ابن جني تقديم خبر (ليس) على اسمها خلافاً للجمهور؛ للشبه اللفظي بينهما؛ لأنها على وزن الفعل خلافاً لابن السراج الذي لا يجيز إلا تقديم خبر المبتدأ.

5- تأثر المتنبي بألفاظ القرآن في شعره وهو أسلوب الاقتباس في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَالَ ٱلدِّيَارِ ۚ ﴾. وقراءة أبي السمّال: "فحاسوا"، وقوله

تعالى : ﴿ فَتَكُونَ لَمُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسُمَعُونَ بِهَا ﴾ كما جاء في قول أبي الطيب :

لو أن ثم قلوب يعقلون بها * لأنساهم الذعر مما تحتها الحسد.

واقتبس أبو الطيب من معاني الحديث والسنة في قوله:

كم قتيلٍ كما قتلت شهيد * لبياض الطُّلى ووردِ الخُدودِ .

وذلك من قوله - الله عشق فعف ثم مات مات شهيداً الله

- 6- لم يرد في شعر المتنبي العطف على اسم (إن) بالرفع قبل الخبر، ولا بالنصب على المحل؛ وذلك ما كان فيه خلاف بين النحاة .
- 7- خالف المتنبي الشعراء في مذهبهم في المديح بالألفاظ المعتادة (نعم وحبذا) ، ولم يأت بها ، وذلك لأنه لم يفرد قصائد بعينها لمدح الأمراء والملوك، بل كان ذلك من خلال العتاب ، والفخر ، والغزل
- ٨- استغل المتنبي بعد إعمال فكره ضرورة الشعر في الفصل بما لا يحسن فصله بالمفعول والجار والمجرور ، والظرف ، وذلك تبعاً لرأي ابن جني، وذلك في قوله :إذا كان مدح فالنسيب المقدم * أكل فصيح قال شعراً متيم؟
- 9- عد ابن جني التقديم والتأخير عاملاً معنوياً، دلالة على الإعراب بدلاً عن الحركات مع أمن اللبس، متفقاً مع ابن خلدون في مقدمته أن يكون لك الخيار (إذا وجدت دلالة أخرى من قبل المعنى) كقولك: أكل يحيى كمثرى.
- 10 من شواذ استخدام أبي الطيب في شعره (لغة أكلوني البراغيث) ، وقد وردت في القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجُوكَ ٱلَّذِينَ ظَامَوا ﴾ ، في قول أبي الطبيب:

يفديك من سيلٍ إذا سُئل الندى * هولٍ إذا اختلطا دمٌ ومسيح

11 - جاءت لولا في القرآن الكريم نافية في موضعين ﴿ فَلُولًا كَانَتْ قَرْيَةُ ءَامَنَتْ فَرْيَةُ ءَامَنَتْ فَنْفَعَهَآ إِيمَنُهُمْ إِلَا قَوْمَ يُونُسُ لَمَّا ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزِي فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيَا وَمَتَعْنَهُمْ إِلَى فَنَفَعَهَآ إِيمَنُهُمْ إِلَا قَوْمَ يُونُسُ لَمَّا ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزِي فِي ٱلْمَعْنَا وَلَا يُقِيَّةٍ يَنْهُونَ عَنِ ٱلفَسَادِ فِي حِينٍ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ فَلُولًا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أَوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهُونَ عَنِ ٱلفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنُ أَبْعَيْنَا مِنْهُمُ ﴾ ويليها الفعل الماضي خلافاً للأصل في التحضيض والتوبيخ.

ثانياً : التوصيات والمقترحات :

1- توصى الباحثة الطلاب - من بعدها - أن يُعنوا باللغويين القدامي، وفحول الشعراء؛ لزيادة محصولهم اللغوي والأدبي .

2- أن لا يغفلوا جانب العروض، مما يساعدهم على الرجوع إلى تحليل ودراسة الشعر؛ لأن شراح ديوان المتنبي والمحققين لم يأتوا بأبيات القصائد كاملة في فهارس القوافي .

3- أن لا يعتمد الباحث على الإنترنت أثناء البحث والدراسة ، ويترك العنان لنفسه بالقراءة والاطلاع؛ لأن متعة وحلاوة البحث في التنقيب عن الحقائق، إلا إذا انعدم المصدر أو فقد أو كان في عداد المخطوطات.

4- أن يستنيروا (فقط) بأخذ المصادر والمراجع من الرسائل الجامعية بالمكتبات وأن يضعوا الخطة تبعاً لمادة البحث وموضوعه؛ لأن خطط البحث متجددة بتجدد أفكار الباحثين، وطبيعة موضوعات الدراسة.

والله اسأله السداد لي ولكم

الباحثة